

علي مولا

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



موعد مع الجريمة

VELOCITY



رواية

دين كونتز

DEAN KOONTZ

١٥٤٦٥٦

**موعد
مع الجريمة**
VELOCITY

موعد مع الجريمة

VELOCITY

رواية

تأليف

دين كونتز

Dean Koontz

ترجمة

تيا معوض

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Velocity

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من

Bantam

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2005 by Dean Koontz

All rights reserved

Arabic Copyright © 2010 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.I.

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0069-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل.

التنضيد وفرز الألوان: أهد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

القسم الأول

الخيار خيارك

الفصل 1

مع شراب شعير وابتسامه، شرب نيد بيرسال نخب جاره الميت،
هنري فريدل، الذي أسره موته كثيراً.
قُتل هنري بسبب تمثال في الحديقة، سقط عن سطح منزله
المؤلف من طابقين، ووقع على ذلك التمثال المرح. كان التمثال
مصنوعاً من الباطون، أما هنري فلا.
عشق مكسور، مججمة متصدعة: فارق هنري الحياة على
الفور.

حصلت الوفاة الناجمة عن التمثال قبل أربعة أعوام. لا يزال نيد
بيرسال يشرب نخب موت هنري مرة على الأقل كل أسبوع.
الآن، عن كرسي قرب طاولة المشرب مصنوع من خشب
الماهوغاني المصقول، شعر رجل غريب، وهو الزبون الوحيد الآخر في
المشرب، بالفضول حيال حقد نيد المستمر.
"كم كان ذلك الرجل المسكين جاراً سيئاً لدرجة أنك لا تزال
تحتفل بموته؟"

بطبيعة الحال، تجاهل نيد السؤال، فالسياح لا يفيدونه بقدر ما
يفيده البسكويت المملح.

يقدم المشرب أوعية مجانية من البسكويت المملح لأنها رخيصة.
يفضل نيد إشباع توقه الشديد بالفول السوداني المملح.
لكي يستمر نيد في منح البقشيش، يعطيه بيلي وايلز، نادل
المشرب، كيساً من المكسرات بين الحين والآخر.

في معظم الأوقات، يتوجب على نيد دفع ثمن مكسراته، يلهب ذلك ضغينته لأنه لا يستطيع استيعاب الحقائق الاقتصادية لعمل المشرب أو لأنه يستمتع بالضغينة، وهذه هي الحال على الأرجح. بالرغم من أنه يملك رأساً يذكر بكرة المضرب وكتفين دائريتين كبيرتين مثل مصارع السومو، يعتبر نيد رجلاً رياضياً فقط في حال اعتبار ثرثرة المشرب، وتحمل الشكاوى بمثابة رياضة. في هذه الحالات، يعتبر بطلاً أولمبياً.

في ما يتعلق بهنري فريدل، يمكن أن يكون نيد ثرثاراً مع الغرباء بقدر ما هو مع السكان القدامى لفينيارد هيلز. الآن، بينما الزبون الوحيد الآخر غريب، وجد نيد الصمت أسوأ من الحديث مع شرير غريب.

لم يكن يوماً يبلي نفسه كثير الكلام، ولم يكن أبداً واحداً من أولئك التذلل الذين يعتبرون المشرب مسرحاً، إنه يحب الإصغاء. قال نيد للغريب: "هنري فريدل كان حيواناً مقززاً".

يملك الغريب شعراً أسود مثل غبار الفحم ذا خصل رمادية عند الصدغين، وعينين رماديتين تشعان بمرح جاف، وصوتاً رناناً مهدوء. "حيوان مقزز كلمة كبيرة".

"هل تعرف ماذا كان الغبي يفعل على سطحه؟ كان يحاول التبول على نوافذ غرفة الطعام في منزلي".

مسح يبلي وايلز طاولة المشرب، ولم ينظر حتى إلى السائح. لقد سمع هذه القصة مرات عدة بحيث يعرف كل رد فعل تجاهها. شرح نيد: "فريدل، حيوان مقزز، تصوّر أن الارتفاع سيمنح دفعه مسافة أكبر".

قال الغريب: "هل كان مهندس طيران؟".

"كان أستاذ جامعة، درّس الأدب المعاصر".
قال السائح: "قد تكون قراءة تلك الأشياء هي التي دفعته إلى
الانتحار". ما جعله يبدو أكثر إثارة مما ظن يبلي في البداية.
قال نيد بتلمل: "لا، لا. كان السقوط حادثاً".
"هل كان ثملاً؟".
تساءل نيد: "ولماذا تظن أنه كان ثملاً؟".
هزّ الغريب كتفه. "صعد إلى السطح للتبول على نوافذك".
شرح نيد، وهو ينقر بإصبعه على كأسه الفارغة للإشارة إلى
رغبته في كأس أخرى: "كان رجلاً مريضاً".
سكب يبلي شراب الشعير من البرميل وقال: "كان هنري فريدل
مشبعاً بالثأر".
بعد تبادل صامت مع شرابه، سأل السائح نيد بيرسال: "الثأر؟
هل قمت إذاً بالتبول أولاً على نوافذ فريدل؟".
حدّر نيد بنبرة خشنة نصحت الغريب بتفادي إصدار الأحكام:
"لم يكن الشيء نفسه على الإطلاق".
قال يبلي: "لم يفعلها نيد من على سطحه".
"هذا صحيح. دخلت إلى منزله، مثل رجل، ووقفت على
مرجه، ووجهت دفع البول إلى نوافذ غرفة طعامه".
قال يبلي: "كان هنري وزوجته يتناولان العشاء في ذلك الوقت".
قبل أن يعبر السائح عن استمزازة لتوقيت الاعتداء، قال نيد: "كانا
يتناولان طيور السماء، أليس كذلك".
"أمطرت نوافذهما بالبول لأنهما كانا يتناولان طيور السماء؟".
قال نيد بغضب: "لا، طبعاً لا. هل أبدو لك مجنوناً؟". برم عينيه
أمام يبلي.

رفع بيلى حاجبيه كما لو أنه أراد القول ماذا تتوقع من سائح؟
أوضح نيد: "أحاول أن أقول لك كم كانا متبحرين، يتناولان
دوماً طيور السماء أو البزاق أو السلق".

قال السائح بسخرية خفيفة، لم يستطع نيد بيرسال كشفها لكن
بيلى فعل: "حقيران متبحران".

أكد نيد: "بالضبط. كان هنري فريدل يقود سيارة جاغوار،
وكذلك زوجته تقود سيارة - لن تصدق هذا - سيارة مصنوعة في
السويد".

قال السائح: "كانت ديترويت شعبية جداً بالنسبة إليهما".
"بالضبط. كم يفترض أن تكون متبحراً حتى تحضر سيارة من
السويد؟".

قال السائح: "أراهن أنهما كانا خبيرين في الشراب الفرنسي".
"صحيح! هل كنت تعرفهما؟".
"أعرف هذا النوع من الأشخاص. يملكون الكثير من
الكتب".

أعلن نيد: "أصبت. كانا يجلسان على المصطبة الأمامية، يشمان
الشراب الفرنسي، ويطالعان الكتب".

"أمام العموم. تخيل ذلك. لكن إذا لم تبول على نوافذ غرفة
طعامهما لأنهما كانا متبحرين، إذاً لماذا فعلت ذلك؟".

طمأنه نيد: "لألف سبب وسبب، حادثة الظربان، حادثة سماد
المرجة، نباتات البطونية الميتة".

أضاف بيلى فيما شطف الأكواب في حوض الغسيل في المشرب:
"وتمثال الحديقة".

وافق نيد: "تمثال الحديقة كان القشة التي قصمت ظهر البعير".

قال السائح: "أفهم أن يعمد المرء إلى التبول العدائي بسبب طيور الفلامنغو البلاستيكية الوردية، ولكن لأكون صريحاً، لا أفهم أن يكون ذلك بسبب تمثال".

قطّب نيد وجهه، متذكراً الواجبة: "أريادن فعلتها".

"من هي أريادن؟"

"زوجة هنري فريدل. هل سمعت يوماً باسم أكثر تبجحاً؟".

"حسناً، اسم فريدل يجعله أكثر تواضعاً".

"كانت أستاذة للفنون في الجامعة نفسها. قامت بنحت التمثال،

وصنعت القالب، وسكبت الإسمنت، ودهنته بنفسها".

"إن وجود تمثال مقولب على شكلك قد يكون مصدر فخر".

رغوة شراب الشعير على شفة نيد العلوية جعلته يبدو مثل

المسعود فيما قال معارضاً: "كان تمثالاً، صديقي تمثال مُمل؛ كان الأنف

أحمر مثل التفاحة، وكان يحمل قنينة شراب شعير في كل يد".

أضاف بيلى: "وكان سحاب سرواله مفتوحاً".

دمدم نيد: "شكراً جزيلاً على تذكيري، والأسوأ من ذلك، كان

يتدلى من سرواله رأس وعنق إوزة ميتة".

قال السائح: "كم هذا مبدع".

"في البداية، لم أعرف ما معنى ذلك...".

"معنى رمزي، مجازي".

"نعم، نعم، عرفت، كل من كان يمرّ أمام منزلهما ويرى التمثال

يضحك على حسابي".

قال السائح: "لا حاجة لرؤية التمثال لفعل ذلك".

إنه سوء تفاهم، وافقه نيد الرأي. "صحيح. بمجرد سماع ذلك،

كان الناس يضحكون. لذا، حطمت التمثال بواسطة مطرقة كبيرة".

"وقاموا بمقاضاتك".

"أسوأ، صنعا تمثالاً آخر. تصورا أنني اكتفيت بالأول، فقامت أريادن بقولبة وطلاء واحد ثان".

"ظننتُ أن الحياة جميلة هنا في الريف".

تابع نيد القول: "قالا لي حينها إنه إذا حطمت التمثال الثاني، سيضعان تمثالاً ثالثاً على المرجة، وسيصنعان أيضاً مجموعة من التماثيل وبيعاها بسعر الكلفة لأي شخص يرغب في الحصول على نسخة تمثال عن نيد بيرسال".

قال السائح: "يبدو هذا تهديداً فارغاً. هل سيكون هناك أشخاص يرغبون فعلاً في الحصول على مثل هذا الشيء؟".
طمأنه بيلي: "بالعشرات".

قال نيد بحزن: "أصبحت هذه البلدة مكاناً حقيراً منذ أن بدأت حشود الباتيه وجبنة البري تنتقل إلى هنا من سان فرانسيسكو".
"إذاً عندما لم تجرؤ على تحطيم التمثال الثاني بالمطرقة، لم يعد لديك خيار إلا التبول على نوافذها".

"بالضبط. لكنني لم أفعل ذلك بصورة ارتجالية. فكرت في الوضع لمدة أسبوع. بعدها، قمت بالتبول عليهما".

"بعد ذلك، صعد هنري فريدل إلى سطحه مع مئانة ممتلئة بختاً عن تحقيق العدالة".

"نعم. لكنه انتظر إلى أن أقمت حفلة ذكري ميلاد أمي".

قال بيلي: "لا يمكن مساحته على ذلك".

سأل نيد بسخط: "هل تهاجم المافيا الأعضاء الأبرياء لعائلة رجل؟".

بالرغم من أن السؤال بلاغي، شارك بيلي في اللعبة. "لا. المافيا راقية".

قال نيد: "وهذه كلمة لا يستطيع أولئك الأساتذة لفظها حتى. كانت أمي في السادسة والسبعين. كادت تصاب بنوبة قلبية".

قال السائح: "إذاً، فيما كان يحاول التبول على نوافذ غرفة طعامك، سقط فريدل عن سطح منزله وكسر عنقه على تمثال نيد بيرسال. يا للسخرية".

أجاب نيد: "لا أعرف إذا كان مثيراً للسخرية. لكنه حتماً جميل".

أخبره بما قالته أمك".

بعدها ارتشف القليل من شراب الشعير، قال نيد: "قالت لي أمي: حمدًا لله حبيبي، ذلك نموذج للعدل".

بعدها احتاج إلى برهة لاستيعاب هذه الكلمات، قال السائح: "تبدو امرأة ملتزمة دينياً".

"لم تكن كذلك على الدوام. لكن في عمر الثانية والسبعين، أصيبت بالتهاب في الرئتين".

"من الملائم تذكر الله في مثل هذا الوقت".

"اعتقدت أن الله سينقذها إن كانت إمرأة صالحة وتضرعاتها مقبولة، وإن لم تكن كذلك فلن تخسر الكثير من الوقت".

قال السائح: "الوقت هو أهم شيء غملكه".

وافق نيد: "صحيح. لكن أمي لا تضيع الكثير من وقتها لأنها تستطيع التضرع في أثناء مشاهدة التلفاز".

قال السائح: "يا لها من قصة ملهمة". وطلب شراب شعير.

فتح بيلى قنينة شراب شعير فنلندية، وأحضر كأساً نظيفة باردة، وهمس: "هذه الكأس على حساب المشرب".

"هذا لطف منك. شكراً. كنت أفكر كم أنت هادئ ودمت بالنسبة إلى نادل مشرب، لكنني أفهم الآن السبب".

من مكانه المنزول في طرف المشرب، رفع نيد بيرسال كأسه لشرب النخب: "نخب أريادن. فلترقد بسلام".

بالرغم من أنه لم يشأ فعل ذلك ربما، عاد السائح إلى الانخراط في الحديث. سأل نيد: "مأساة تمثال أخرى؟".

"سرطان. بعد عامين من سقوط هنري عن السطح. أتمنى طبعاً لو لم يحصل ذلك".

سكب شراب الشعير الفنلندي من جانب كأسه المنحنية، وقال الغريب: "يملك الموت طريقة لوضع نزاعاتنا الصغيرة في منظورها الصحيح".

قال نيد: "أشتاق إليها".

ارتعش السائح.

تذكر نيد بطريقة حاملة تقريباً: "كانت تعمل في فناء المنزل أو تنزّه الكلب".

تحقق السائح من وجهه في مرآة المشرب، ليرى ربما إذا كان يبدو مرعوباً مثلما يشعر.

انزلق نيد عن كرسيه، وتوجه نحو حمام الرجال، وتوقف لبرهة أمام السائح. "حتى عندما أصابها السرطان، لم يتقلص ثدياها، كلما أصبحت أكثر ثخولاً، بدا ثدياها أكبر حجماً، حتى النهاية تقريباً. يا لها من خسارة، أليس كذلك بيلي؟".

"يا لها من خسارة" ردد بيلي فيما تابع نيد طريقه إلى حمام الرجال.

بعد صمت متبادل، قال السائح: "أنت رجل مثير، بيلي وايلز".

"أنا؟ لم أتبول يوماً على نوافذ أحد".

"أنت مثل الإسفنجة، حسبما أظن. تمتص كل شيء".

رفع بيلى فوطه صحون، ولمع بعض الأكواب الزجاجية التي تم غسلها وتجهيفها قبلاً.

قال السائح: "لكنك مثل الحجر أيضاً، لأنه إذا تم عصرك، لا يخرج أي شيء منك".

تابع بيلى تلميع الأكواب الزجاجية.

العنان الرماديتان الساطعتان بالمرح، سطعتا أكثر. "أنت رجل صاحب فلسفة، وهذا أمر غير اعتيادي هذه الأيام، إذ لا يعرف معظم الأشخاص من هم أو بماذا يعتقدون، أو لماذا".

هذا أيضاً أسلوب نادل مشرب كان بيلى معتاداً عليه، بالرغم من أنه لا يسمعه غالباً. مقارنة مع كلام نيد بيرسال الصاحب، قد تبدو مثل هذه الملاحظات الثملة واسعة المعرفة؛ لكنها مجرد تحاليل مرتكزة على شراب الشعير.

كان خائب الأمل. خلال فترة وجيزة، بدا السائح مختلفاً عن الرجال الاعتياديين الذين يقفون على أرضية المشرب.

ابتسم بيلى وهزّ رأسه وقال: "فلسفة. هذا إطراء كبير لي".

ارتشف السائح شراب الشعير الفنلندي.

بالرغم من أن بيلى لم يشأ قول المزيد، سمع نفسه يتابع القول: "ابقَ منخفضاً، ابقَ هادئاً، دع الأمور بسيطة، لا تتوقع الكثير، واستمتع بما لديك".

ابتسم الغريب. "كن مكتفياً ذاتياً، لا تتورط في المشاكل، ودع العالم يذهب إلى الجحيم إذا أراد ذلك".

اعترف بيلى: "ربما".

قال السائح: "صحيح أن هذا ليس كلام أفلاطون، لكنه فلسفة".

سأل بيلى: "هل تملك فلسفة خاصة بك؟".

"في الوقت الحاضر، أعتقد أن حياتي ستكون أفضل وأكثر معنى إذا استطعت تفادي المزيد من المحادثة مع نيد".
قال له بيلي: "ليست هذه فلسفة. إنها حقيقة".

* * *

عند الرابعة وعشر دقائق، جاءت آيفي إيلجين إلى العمل. إنها نادلة جيدة جداً ومصدر إغراء من دون منافس. يستلطفها بيلي لكنه لا يتوق إليها. افتقاده إلى الرغبة جعله فريداً بين الرجال الذين يعملون أو يشربون في المشرب. تملك آيفي شعراً بلون الماهوغياني، وعينين صافيتين حمريتي اللون، وجسماً أمضى هيوغ هيفنر كل حياته يبحث عنه. بالرغم من أنها في الرابعة والعشرين، بدت غير مدركة أبداً أنها نزوة الرجل الأساسية بحدّ ذاتها. لم تلجأ يوماً إلى الإغراء، قد تكون مغناجة أحياناً، وإنما بطريقة مرحة. جمالها وشكل جسمها كانا مزيماً مثيراً جداً بحيث إن ابتسامتها وحدها كفيلة بتدوير قلب أي رجل.

قالت آيفي وهي تتوجه مباشرة إلى المشرب: "مرحبا بيلي. رأيت حيوان أهرسوم ميتاً على طريق أولد ميل، على مسافة ربع ميل تقريباً من كورنيل لاين".

سأل: "هل مات بصورة طبيعية أم قتل على الطريق؟".
"قتل على الطريق".

"ماذا يعني ذلك برأيك؟".

قالت وهي تعطيه حقيبة يدها ليضعها لها وراء المشرب: "لا شيء محدد بعد. إنه أول شيء ميت أراه منذ أسبوع، ولذلك يرتبط الأمر بما إذا كانت ستظهر جيف أخرى أم لا".

تعتقد آيفي أنها ضالعة. الضالعون، وهم فئة من متوقعي روما القديمة، يتوقعون المستقبل من أحشاء الحيوانات المقتولة في قرابين. كانوا محترمين، لا بل مبجلين، من بقية الرومان، لكنهم لم يتلقوا على الأرجح الكثير من الدعوات إلى الحفلات. لم تكن آيفي مروعة، فالتوقع بالمستقبل لم يحتل مركز حياتها، نادراً ما تتحدث مع الزبائن بشأن ذلك، ولا تملك أيضاً جرأة للتفتيش بين الأحشاء. بالنسبة إلى ضالعة، تعتبر جبانة. عوض ذلك، وجدت معنى في نوع الجيفة، في ظروف اكتشافها، في موقعها نسبة إلى نقاط البوصلة، وفي جوانب سرية أخرى من حالها. نادراً ما صدقت توقعاتها، لكن آيفي مصرّة. أخبرت بيلي فيما حملت دفتر الطلبات وقلم رصاص: "مهما تبين معنى ذلك، تبقى إشارة سيئة. فحيوان أبوسوم ميت لا يبشر أبداً بحظ جيد".

"لاحظت ذلك بنفسى".

"خصوصاً حين يكون أنفه متجهاً إلى الشمال وذيله متجهاً إلى الشرق".

دخل الرجال العطاشى عبر الباب وراء آيفي، كما لو أنها سراب واحة كانوا يبحثون عنه طوال اليوم، جلس عدد قليل منهم فقط أمام طاولة المشرب. استمر الآخرون في ملاحظتها من طاولة إلى أخرى. بالرغم من أن زبائن الطبقة الوسطى للمشرب ليسوا أغنياء، فإن مدخول آيفي من البقشيش يتعدى ما كان يمكن أن تجنيه لو حصلت على شهادة دكتوراه في الاقتصاد.

بعد ساعة، أي عند تمام الخامسة، وصلت شيرلي تروبلاد، نادلة المساء الثانية، إلى العمل، هي طويلة وبدينة، تضع شيرلي عطر ياسمين

ولها حاشيتها الخاصة. بعض الرجال في المشارب يريدون دوماً مظهر الأم، وبعض النساء أيضاً.

غادر طاهي النهار، بين فيرنون، إلى منزله، ووصل طاهي المساء، رامون باديلو. يقدم المشرب وجبات سريعة فقط: تشيزبرغر، وبطاطا مقلية، وأجنحة بافلو، وكيساديلاس، وناتشوز...

لاحظ رامون أنه في الليالي التي تعمل فيها آيفي إيلجين، تباع الأطباق الغنية بالتوابل بأعداد أكبر من الليالي التي لا تعمل فيها. يطلب الرجال المزيد من الأطباق بصلصة الطماطم، ويسرفون في استعمال قناني التاباسكو، ويطلبون إضافة شرائح الفليفلة الحريفة إلى أطباق البرغر خاصتهم.

قال رامون ذات مرة لبيلي: "أظن أنهم يخزنون الحرارة في أجسامهم ليكونوا جاهزين إذا جاءت إليهم".
طمأنه بيلي: "لا يملك أي رجل في هذا المشرب فرصة مع آيفي".

قال رامون بخجل: "لا تعرف أبداً".

"لا تخبرني أنك تتناول الفليفلة أنت الآخر".

قال رامون: "تناولت الكثير منها لدرجة أنني أعاني من حرقة في المعدة أحياناً، لكنني جاهز".

وصل مع رامون، نادل مشرب المساء ستيف زيليس، الذي يتداخل دوامه مع دوام بيلي ساعة واحدة. عمره أربعة وعشرين عاماً، وهو أصغر من بيلي بعشرة أعوام وإنما أقل نضوجاً منه بعشرين عاماً.

بالنسبة إلى ستيف، المرح المتكلف، أي قصيدة فكاهية بذئبة كفاية لجعل الرجال الناضجين يتوردون خجلاً.

يستطيع ربط العقد في عنق حبة كرز بواسطة لسانه، وحشو منخره الأيمن بجبات الفول السوداني وإطلاقها بدقة في كأس زجاجية، ونفخ دخان السجائر من أذنه اليمنى.

كالعادة، قفز ستيف فوق البوابة الخلفية في المشرب بدل الدخول عبرها. "كيف الحال أيها الرفيق؟".

أجاب بيلى: "ساعة واحدة وأذهب، وأستعيد حياتي".

احتج ستيف: "هذه هي الحياة. مركز العمل".

مأساة ستيف زيليس هي أنه يقصد فعلاً ما قاله. بالنسبة إليه، يعتبر المشرب الشعبي مثل ناد ليلى فخماً.

بعد ربط المتر، أخذ ثلاث حبات زيتون من وعاء، ولعب بها بسرعة مذهلة، ثم أدخلها إلى فمه الواحدة تلو الأخرى.

حين صفق رجلان ثملان أمام المشرب بصوت عالٍ، استمتع ستيف بتصفيقهما كما لو أنه المغني النجم في أوبرا المتروبوليتان وحظي بتصفيق جمهور خبير وراق.

بالرغم من بشاعة صحبة ستيف زيليس، مرّت الساعة الأخيرة من دوام بيلى بسرعة. كان المشرب مزدحم كفاية لإبقاء نادلي المشرب مشغولين فيما تأخر زبائن بعد الظهر في العودة إلى منازلهم ووصل زبائن المساء.

أحب بيلى المكان خلال هذا الوقت الانتقالي بقدر ما استطاع، حيث يكون الزبائن في ذروة التناغم وأكثر سعادة مما يصبحون عليه لاحقاً، حين يدفع بهم الشراب نحو الكآبة.

بما أن النوافذ متجهة إلى الشرق والشمس تغيب إلى الغرب، بُح ضوء النهار الخفيف في تلوين الألواح الزجاجية. كشفت ثريات السقف عن تألق نحاسي فوق الطاولات والكراسي المصنوعة من خشب الماهوغاني الأحمر.

كان الهواء مشبعاً بروائح خشب الأرضيات المبللة بشراب الشعير والشمع والتشيزبرغر وحلقات البصل المقلي. إلا أن بيلي لا يحب المكان كفاية للبقاء فيه بعد انتهاء دوامه. غادر عند تمام الساعة.

لو كان ستيف زيليس، لأعدّ إخراجاً لمغادرته. إلا أنه رحل بدل ذلك همدوء مثل الشبح الذي يغادر ملاذه.

في الخارج، بقي أقل من ساعتين من ضوء النهار. كانت السماء باللون الأزرق الكهربائي في الشرق، مع أزرق أكثر شحوباً في الغرب، حيث لا تزال الشمس موجودة.

فيما اقترب من سيارته الفورد إكسبلورر، لاحظ ورقة بيضاء مستطيلة تحت مساحة الزجاج الأمامي.

جلس وراء عجلة القيادة، وترك بابه مفتوحاً، وفتح الورقة، متوقفاً العثور على إعلان من نوع ما، لمغسل سيارة أو لمكتب خدم. إلا أنه اكتشف رسالة مطبوعة بترتيب على الآلة الكاتبة:

إذا لم تأخذ هذه الورقة إلى الشرطة وتورطها، سأقتل معلمة مدرسة
شراء جميلة في مكان ما من منطقة نابا.
وإذا أخذت هذه الورقة إلى الشرطة، سأقتل بدل ذلك امرأة عجوز
ناشطة في العمل الخيري.
أمامك ست ساعات لتقرر. الخيار خيارك.

لم يشعر بيلي في تلك اللحظة أن العالم ينهار حوله، لكنه كان
بنهار فعلاً، لم يبدأ الغوص بعد، لكنه سيفعل قريباً.

الفصل 2

تلقى ميكي ماوس رصاصه في الحنجرة.
طقطق مسدس من عيار 9 ملم ثلاث مرات إضافية في تسلسل
سريع، مفتتاً وجه دونالد داك.
يعيش لاني أولسن، القنّاص، في نهاية زقاق متصدع قرب هضبة
صخرية حيث لا تنمو الكرمة أبداً. لا يستطيع رؤية وادي نابا.
تعويضاً عن العنوان غير اللائق، تم تظليل المكان بأشجار خوخ جميلة
وأشجار شاهقة، بالإضافة إلى نباتات الأزاليا البرية. وكان مكاناً خاصاً.
فأقرب جار يعيش على مسافة بعيدة جداً بحيث يستطيع لاني
إقامة الحفلات 7/24 من دون إزعاج أحد. لا يوفر ذلك أي فائدة
بالنسبة إلى لاني لأنه يخلد عادة إلى السرير عند التاسعة والنصف. فكرته
للحفلة هي عبارة عن كأس شراب شعير وكيس من رقائق البطاطا
المقلية ولعبة ورق.
إلا أن موقع منزله مثالي للتقنيص، إنه القنّاص الأكثر براعة في
قسم الشريف.
عندما كان ولداً، أراد أن يكون رسّام صور متحركة، يملك
الموهبة، صور ميكي ماوس ودونالد داك الرائعة المثبتة على الجدار
الخلفي المغطى بالقش هي من أعمال لاني.
أخرج الرصاصات الفارغة من مسدسه، وقال: "كان يجدر بك
التواجد هنا البارحة. أصبت اثني عشر رسماً لرود رانر دفعة واحدة، من
دون تفويت أي هدف".

قال بيلى: "لن يتحمس وايل إي. كويوت لذلك. هل أطلقت النار يوماً على أهداف عادية؟".

"وأين المتعة في ذلك؟".

"هل أطلقت النار يوماً على رسوم سمبسون؟".

أجاب لاني: "هومر، بارت، الجميع باستثناء مارج. مارج أبداً".

أراد لاني الذهاب إلى كلية الفنون لو لم يصرّ والده المستبد أنسل، على أن يجذو ابته حذوه في العمل على تطبيق القانون، تماماً مثلما حذا أنسل نفسه حذو والده.

كانت بيرل، والدة لاني، داعمة بقدر ما سمح لها مرضها. حين كان لاني في السادسة عشرة من عمره، تم تشخيص مرض بيرل على أنه ورم للمفاوي من غير فئة هودجكين.

قضى عليها علاج الأشعة والعقاقير، حتى في الفترات التي تمت خلالها السيطرة على الورم للمفاوي، لم تستعد عافيتها تماماً.

خشى لاني ألا يهتم والده جيداً بأمه، فلم يذهب أبداً إلى كلية الفنون. بقي في المنزل، وانخرط في وظيفة تطبيق القانون، واعتنى بأمه. إلا أن أنسل مات أولاً؛ أوقف درّاجاً بسبب السرعة الزائدة، وأوقفه الدرّاج برصاصة من عيار 0.38 ملم.

بما ألما أصيبت بالورم للمفاوي في عمر صغير نسبياً، عاشت بيرل لوقت طويل، ماتت قبل عشرة أعوام، حين كان لاني في السادسة والثلاثين.

كان لا يزال شاباً كفاية لتبديل مهنته والذهاب إلى كلية الفنون، إلا أن الكسل كان أقوى من الرغبة في حياة جديدة.

ورث المنزل، وهو منزل فيكتوري جميل مع ديكور دقيق ومصطبة محيطة به، حافظ على وضعه الأصلي، مع مهنة كانت بمثابة

فرض وليست شغفاً، ومن دون عائلة خاصة به، امتلك الكثير من وقت الفراغ ليخصمه للمنزل.

فيما أدخل لاني رصاصات جديدة إلى المسدس، أخرج بيلى الرسالة المطبوعة من جيبه. "ما رأيك في هذا؟".
قرأ لاني الفقرتين فيما عادت الطيور السوداء إلى أعالي أغصان الأشجار الشاهقة.

لم ترسم الرسالة ابتسامة ولا تقطياً على وجه لاني، بالرغم من أن بيلى توقع أحد الأمرين. "من أين لك هذه؟".
"تركها أحد تحت مساحة الزجاج الأمامي لسيارتي".
"أين ركنت سيارتك؟".
"أمام المشرب".
"مع مغلف؟".
"لا".

"هل راقبك أحد؟ أقصد، حين نزعنا الورقة عن المساحة وقرأتها".

"لا أحد".

"ماذا ستفعل بها؟".

ذكره بيلى: "أوجه هذا السؤال إليك".

"مزحة. نكتة مقرفة".

حدّق بيلى إلى السطور المطبوعة وقال: "في البداية، كان هذا رد فعلي، لكن...".

تنحى لاني جانباً ليحاذي نفسه مع رسوم جديدة لإيلمر فاد وباغس باني معلقة على الجدار. "لكنك سألت نفسك بعدها ماذا لو...؟".

"ألا تفعل ذلك أنت؟".

"طبعاً. كل شرطي يفعل ذلك، طوال الوقت، وإلا لانتهى ميتاً قبل الوقت المحدد، أو يطلق النار حين لا يجدر به ذلك".

قبل زمن غير بعيد، جرح لاني رجلاً ثملاً ظن أنه مسلح، لكن بدل المسدس، كان الرجل يحمل هاتفاً خلويًا.

تابع القول: "لكن لا يمكنك الاستمرار في القول ماذا لو إلى الأبد. عليك التماشي مع الفطرة. وفطرتك مثل فطرتي، إنها نكتة، بالإضافة إلى ذلك، تعرف من خلال حدسك من فعلها".

قال بيلي: "ستيف زيليس".
"هدف".

اتخذ لاني وقفه تقنيص؛ أرجع الساق اليمنى قليلاً إلى الخلف للتوازن، وثنى الركبة اليسرى، ووضع يديه على المسدس. أخذ نفساً عميقاً، وأطلق النار على إيلمر خمس مرات فيما هربت مجموعة من الطيور السوداء من الأشجار الباسقة وحلقت عالياً في السماء. أصاب أربع إصابات قاتلة وجرحاً واحداً، قال بيلي: "المشكلة هي... لا يبدو ذلك من فعل ستيف - أو يمكن أن يفعله".
"ولم لا؟".

"إنه رجل يحمل مائة مطاطية صغيرة في جيبه بحيث يستطيع إصدار صوت عال حين يظن أن الأمر قد يكون مضحكاً".
"ما معنى ذلك؟".

طوى بيلي الورقة المطبوعة، وأعادها إلى جيب قميصه. "يبدو هذا معقداً جداً بالنسبة إلى ستيف، دقيقاً جداً".
وافقه لاني الرأي بالقول: "الشباب ستيف دقيق بقدر بذاءة التفاح الخضراء".

استعاد لاني وقفته، وأطلق النصف الثاني من الرصاصات على
باغس باني، وسجل خمس إصابات قاتلة.
سأل بيلي: "ماذا لو كان التهديد حقيقياً؟".
"ليس حقيقياً".
"لكن ماذا لو كان كذلك؟".

"وحدهم المجانين المحبون للقتل يلعبون مثل هذه اللعب في الأفلام
السينمائية. في الحياة الحقيقية، يكفي القتل بالقتل، القوة هي ما يمثلونه،
القوة وأحياناً الجنس العنيف، من دون المزاح معك بالأحجيات والألغاز".
وقعت الرصاصات الفارغة على العشب. عكست الشمس
المتجهة غرباً أشعتها على أنابيب النحاس فجعلتها تشع باللون الذهبي
المحمر.

أدرك لاني أنه لم يُزل شك بيلي فتابع القول: "حتى لو كان
التهديد حقيقياً- وهو ليس كذلك- ما الذي يمكن فعله بهذه الورقة؟".
"معلمات المدارس الشقراوات والنساء المتقدمات بالسن".
"في مكان ما من مقاطعة نابا".
"نعم".

قال لاني: "مقاطعة نابا ليست سان فرانسيسكو، لكنها ليست
أيضاً أرضاً مهجورة. هناك الكثير من الأشخاص في الكثير من البلدات.
قسم الشريف، إضافة إلى كل قوى الشرطة في المقاطعة، لن تملك ما
يكفي من الرجال لتغطية كل تلك القواعد".
"ليست بحاجة إلى تغطيتها كلها. إنه يحدد أهدافه؛ معلمة مدرسة
شقراء جميلة".

عارض لاني: "هذا حكم نسبي. فمعلمة المدرسة الشقراء التي
تجدها جميلة قد تكون بشعة بالنسبة إلي".

"لم أكن أعرف أنك تفرض مثل هذه المعايير العالية عند النساء."
ابتسم لاني. "أنا نتيق".
"على كل حال، هناك أيضاً المرأة الكبيرة بالسن الناشطة في العمل
الخيري".

أدخل لاني رصاصة ثالثة في المسدس، وقال: "الكثير من النساء
المتقدمات بالسن ناشطات في العمل الخيري، إنهن يتحدرن من جيل
كان يهتم بجيرانه".

"إذاً لن تفعل أي شيء؟".

"ما الذي تريدني أن أفعله؟".

لا يملك بيلى اقتراحاً، وإنما فقط ملاحظة: "يبدو وكأنه يجدر بنا
فعل شيء ما".

"في الأساس، تكون الشرطة تفاعلية وليست سبابة للتفاعل".

"إذاً عليه أن يقتل شخصاً أولاً؟".

"لن يقتل أحداً".

عارض بيلى: "يقول إنه سيفعل".

"إلهام مزحة. تخرج ستيف زيليس أخيراً من مدرسة الفكاهة
السعيدة".

أوما بيلى برأسه. "ربما أنت على حق".

"أنا حتماً على حق". أشار لاني إلى بقية الرسوم الملونة المثبتة على
الجدار السميك وأضاف: "والآن، قبل أن يفسد الشفق هدفي، أريد قتل
صورة شريك".

"كنت أظن أنه فيلم جميل".

قال لاني بتحمل: "لست ناقدًا، لكنني مجرد رجل يستمتع قليلاً
ويحسّن مهارات عمله".

"حسناً، لا بأس، سأذهب من هنا. أراك يوم الجمعة خلال لعبة الورق".

قال لاني: "أحضر معك شيئاً".

"مثل ماذا؟".

"سيحضر جو بخنة الأرز واللحم، وسيحضر لوروي خمسة أنواع من الصلصة والكثير من رقاقت الذرة. لماذا لا تحضر فطيرة الطامال؟".
فيما تحدث لاني، جفل بيلي. "نبدو مثل مجموعة من العوانس اللواتي يخططن لحفلة تطريز".

قال لاني: "نحن مرضى لكننا لم نمت بعد".

"كيف نعرف؟".

قال لاني: "لو كنت ميتاً وفي الجحيم، لما سمحوا لي بالاستمتاع برسم الصور المتحركة، وهذه ليست نقيض الجحيم حتماً".
حين وصل بيلي إلى سيارة الإكسبلورر، بدأ لاني أولسن يطلق النار على شريك، والأميرة فيونا، والحمار دانكي، وغيرها من الرسوم. أصبحت السماء شرقاً ياقوتية اللون. عند الجهة الغربية، بدأ اللون الأزرق يختفي ليظهر مكانه لون ذهبي، مع لمسة حمراء تحت الظلال الذهبية.

وقف بيلي قرب سيارته الرباعية الدفع تحت الظلال الطويلة، وراقب لاني وهو يصقل مهاراته في الرماية ويحاول، للمرة الألف، القضاء على حلمه غير المشبع في أن يكون رسام صور متحركة.

الفصل 3

لا يمكن لأميرة مسحورة، نائمة في برج عالٍ، تحلم لسنوات طويلة أن توقظها قبله، أن تكون أجمل من باربارة ماندل النائمة في وايسرينغ باينز.

تحت ضوء المصباح الخفيف، انتشر شعرها الذهبي على الوسادة، وكان لامعاً مثل السبيكة الذهبية المسكوبة من المصهر. واقفاً قرب سريرها، لم يشاهد بيلي وايلز أبداً دمية خزفية لها بشرة شاحبة أو خالية من العيوب بقدر بشرة باربارة. بدت بشرتها شفافة، كما لو أن الضوء تغلغل عبر السطح ثم أشرق وجهاً من الداخل. لو أزاح جانباً البطانية الرقيقة والشرشف، لكشف عن إهانة غير موجودة عند الأميرات المسحورات. فقد تم إدخال أنبوب للتغذية إلى معدتها بواسطة عملية جراحية.

أمر الطبيب بالتغذية البطيئة المستمرة. خرخرت مضخة القطرات هدهد، فيما زودت غذاء متواصلًا.

إنها في غيبوبة منذ أربعة أعوام تقريباً. غيبوبتها ليست من النوع الأكثر وخامة. فهي تتأهب أحياناً، وتنهدهد، وتحرك يدها اليمنى إلى وجهها، وحنجرتها، وتديها.

سرن الحين والآخر، تتحدث، ولكن ليس أكثر من بضع كلمات غامضة، غير موجهة إلى أحد في الغرفة وإنما إلى شبح معين في عقلها. لكن حتى عندما تتحدث أو تحرك يدها، تبقى غير مدركة لكل شيء حولها. إنها فاقدة الوعي، وغير مستجيبة للتحفيز الخارجي.

في الوقت الحاضر، استلقت بهدوء تام، من دون حتى أن تتحرك
عينها تحت جفنيها، فيما انفرجت شفتاها قليلاً عن بعضهما. لا يتنفس
الشبح بهدوء أكبر.

أخرج بيلى من جيب سترته دفترًا صغيراً مع قلم صغير الحجم
مثبت عليه، وضعهما على المنضدة الصغيرة.

كانت الغرفة صغيرة مفروشة بأثاث بسيط: سرير مستشفى
واحد، منضدة واحدة، وكرسي واحد. أضاف بيلى قبل فترة طويلة
كرسيًا من دون مسند يسمح له بالجلوس على علو كافٍ لمراقبة
باربارة.

يوفر دار الرعاية وايسرينغ باينز عناية جيدة وإنما بيئة متقشفة.
نصف المرضى يتمثلون إلى الشفاء، فيما يعتبر النصف الآخر مخزنين فيه
تقريباً.

جلس على الكرسي العالي قرب السرير، وأخبرها عن نهاره، بدأ
بوصف شروق الشمس وانتهى بجملة تقنيص لاري الرسوم الكرتونية
الشهيرة.

بالرغم من أنها لم تستجب أبداً لأي شيء قاله، شك بيلى في أن
تتمكن باربارة من سماعه خلال نومها العميق، يريد التصديق أن
حضوره، وصوته وعاطفته قادرة على موااساتها.

حين لم يعد لديه المزيد لقوله، تابع التحديق إليها، لا يراها دوماً
مثلما هي الآن، رآها مثلما كانت قبلاً- مليئة بالحياة والحيوية -
ومثلما كان يفترض أن تكون اليوم لو كان القدر أكثر لطفاً.

بعد برهة، أخرج الرسالة المطوية من جيب قميصه، وقرأها مجدداً.
انتهى للتو من القراءة حين تحدثت باربارة همساً بسرعة أكبر مما
تستطيع الأذن سماعها. "أريد أن أعرف ماذا يقول..."

شعر بيلي بالذعر وهض عن الكرسي. انحنى فوق درابزون السرير
للتحديق إليها عن كذب أكبر.

لم تقل أبداً قبلاً، خلال غيبوبتها، أي شيء بدا مرتبطاً بشيء قاله
أو فعله هو في أثناء الزيارة. "باربارة؟".

بقيت ساكنة، مع عينين مغمضتين، وشفيتين مبتعدتين عن
بعضهما، ولم تكن أكثر حيوية من جثة هامدة في تابوت.
"هل يمكنك سماعي؟".

لمس وجهها بأطراف أصابعه المرتعشة، فلم تستجب.
أخبرها قبلاً ما أفادت به الرسالة الغريبة، لكنه قرأها الآن مجدداً في
حال كانت كلماتها المتممة تشير إليها.

حين انتهى، لم تتفاعل، لفظ اسمها من دون تأثير.
جلس على الكرسي العالي مرة جديدة، ورفع الدفتر الصغير عن
المنضدة، دوّن بالقلم الصغير كلماتها السبع وتاريخ لفظها لها.
يملك دفترًا لكل سنة من سنوات نومها غير الطبيعي. وبالرغم من
أن كل دفتر يحتوي فقط على مئة صفحة صغيرة، لم يمتلئ أي منها،
لأنها لا تتحدث في أثناء كل زيارة- أو حتى في معظم الزيارات.
أريد أن أعرف ماذا يقول.

بعد تأريخ الجملة المكتملة على غير عادة، قلب الصفحات،
وتصفح الدفتر مجدداً، ولم يقرأ التواريخ وإنما فقط بعض كلماتها.

الخرف لا تسامح

أولاد بوجوه أبقار

لساني الصغير

سلطة شاهده

بابا، بطاطا، دجاج، نحوخ، منشور

موسم الظلمة
يتورم إلى الأمام
ارتفاع عظيم
كل الومضات بعيدة
ثلاثة وعشرون، ثلاثة وعشرون
في كلماتها، لم يستطع يبلي العثور على تناسق أو تلميح في أي
منها.
بين الوقت والآخر خلال الأسابيع، والأشهر، تبتسم ابتسامة
خفيفة. ضحكت بهدوء مرتين فقط.
لكن في مناسبات أخرى، همس كلمات تبعث فيه الاضطراب،
وأحياناً القشعريرة.
ممزق، مرضوض، لاهت، نازف
دم ونار
فؤوس، سكاكين، حراب
أحمر في عيونهم، عيونهم المسغورة
لم تُلَفِظ هذه الكلمات المرعبة بنبرة حزينة، بل جاءت بالتمتمة
نفسها التي تُلَفِظ فيها الكلمات الأخرى الأقل إزعاجاً.
إلا أنها أقلقَت يبلي، خشي أن تكون في أعماق غيبوبتها، موجودة
في مكان مظلم ومخيف، تشعر فيه أنها عالقة ومهددة ووحيدة.
قطّبت الآن حاجبيها وتحدثت مجدداً. "البحر..."
حين دوّن ذلك، قالت المزيد: "ما هو..."
أصبح السكون في الغرفة أكثر عمقاً، كما لو أن ذرات لا متناهية
من الجو الكثيف سحبت كل التيارات من الهواء بحيث يصل صوتها
الناعم إلى يبلي.

رفعت يدها اليمنى إلى شفيتها كما لو أنها أرادت تحسس كلماتها.
"ما الذي يستمر في قوله".

إنها الجملة الأكثر تناسقاً والتي لفظتها في أثناء غيبوبتها، ونادراً ما
قالت هذا القدر من الكلمات في زيارة واحدة.
"باربارة؟".

"أريد أن أعرف ماذا يقول... البحر".

أخفضت يدها إلى ثديها، واختفى التقطيب عن حاجبيها، عادت
عينها اللتان تحركتا تحت الجفنين فيما تحدثت، إلى الجمود مرة جديدة.
ثبّت بيلى القلم فوق الورقة، وانتظر، لكن باربارة تناغمت مع
صمت الغرفة. وازداد الصمت عمقاً، والسكون، إلى أن شعر بضرورة
الذهاب أو ملاقة مصير مماثل لمصير ذبابة مما قبل التاريخ محفوظة في
عنبر.

تبقى في هذا السكون لساعات أو لأيام، أو للأبد.

قبلها ولكن ليس على فمها، سيبدو ذلك مثل اعتداء، كانت
وجنتها ناعمة وباردة على شفيتها.

ثلاثة أعوام، وعشرة أشهر وأربعة أيام مضت على غيبوبتها، التي
سقطت فيها بعد شهر واحد فقط من قبولها خاتم الخطوبة من بيلى.

الفصل 4

لا يملك بيلى العزلة التي يستمتع بها لاني، لكنه يعيش في أرض محاطة بالأشجار الحرجية وأشجار الأرز، على طول ممر فيه عدد قليل من المنازل.

لا يعرف جيرانه، ما كان ليعرفهم حتى لو عاشوا أقرب، إنه ممنن للامبالاهم.

تفاوض المالك الأساسي للمنزل مع المهندس المعماري لجعل المنزل هجيناً، نصف بنغالو ونصف كوخ مرتب. التصميم الإجمالي هو تصميم بنغالو، لكن الواجهة المصنوعة من خشب الأرز، والتي أصبحت بيضاء بفعل عوامل الطقس، هي واجهة كوخ، تماماً مثل المصطبة الأمامية مع الأعمدة الكبيرة الداعمة للسقف.

على عكس معظم المنازل الثنائية القطبين، بدأ هذا المنزل حميماً. بالفعل، تبدو النوافذ المصنوعة من الزجاج المشطوب والألواح الماسية - بنغالو صرف - مثل الجواهر المتألفة عند إشعال الأنوار. في النهار، تيرم دوائر الطقس على السطح برشاقة كسولة حتى في عزّ ثورات الرياح.

أما المرأب المنفصل، المشتغل أيضاً على مشغل لنحت الخشب، فموجود وراء المنزل.

بعدما ركن بيلى سيارة الإكسبلورر، وأغلق البوابة الكبيرة ورائه، مشى عبر الفناء الخلفي متوجهاً إلى المنزل، فيما ناحت بومة من مكان جثومها على سطح المرأب.

لم تعجب البومات الأخرى. لكن يبلي ظن أنه سمع صوت فئران، واستطاع تقريباً الإحساس بها وهي ترتجف بين الشجيرات، تواقفة إلى العشب الطويل وراء الفناء.

شعر بتلبد في عقله وتشوش في أفكاره. توقف لبرهة وأخذ نفساً عميقاً، مستنشقاً الهواء المليء برائحة اللحاء العطرة وإبر أشجار الأرز، نجحت الرائحة المطهرة في تنقية رأسه.

لكن بدا أن الوضوح غير مرغوب فيه الآن. لا يشرب الكثير في العادة، لكنه أراد الآن شرب شراب الشعير والشراب الاسكتلندي. بدت النجوم قاسية. إنها ساطعة أيضاً في السماء الصافية، لكنه تلقى منها إحساساً بالقساوة.

لم يصدر صوت طقطقة من الدرجات الخلفية أو من ألواح الأرضية في المصطبة. لديه الكثير من الوقت لإبقاء المكان في حال جيدة ومرتبّة. بعدما أتلّف الجزء الداخلي من المطبخ، تولى شخصياً صناعة الخزانات، إنها مصنوعة من خشب الكرز الداكن. ركّب بنفسه الأرضية المصنوعة من مربعات الغرانيت الأسود. تطابقت ألواح الغرانيت في الجلي مع الأرضية. نظيف وبسيط، أراد جعل المنزل كله على هذا الشكل، لكنه أضاع طريقه بعد ذلك.

سكب قنينة باردة من مشروب غينيس في كوب وأضاف إليها القليل من الشراب الاسكتلندي. حين يشرب، يرغب في الحصول على قوة في التركيبة والمذاق في الوقت نفسه.

كان يحضر سندويش بسطرما حين رنّ الهاتف. "آلو؟".

لم يجب المتصل حتى عندما قال يبلي آلو مجدداً.

في العادة، كان ليظن أن الخط انقطع. لكن ليس هذه الليلة.

أصغى جيداً، وأخرج الرسالة المطبوعة من جيبه، فتحها وسطحها على رف الغرانيت الأسود.

كان الخط المفتوح فارغاً مثل جرس، وإنما جرس من دون لسان، ولم يسمع أزيز السكون، لم يستطع يبلي سماع المتصل وهو يشهق أو يزفر، كما لو أن المتصل مات وتوقف عن التنفس.

سواء أكان مازحاً أو قاتلاً، غرض الرجل هو التخويف والترهيب. لم يرضه يبلي بقول آلو الثالثة.

أصغيا إلى صمت بعضهما بعضاً، كما لو أنه يمكن معرفة شيء ما من اللاشيء.

بعد دقيقة كاملة ربما، بدأ يبلي يتساءل إذا كان يتخيل حضوراً في الطرف الآخر من الخط.

إذا كان على اتصال حالياً مع كاتب الورقة، فإن إقفال الخط أولاً سيكون خطأ، سيتم اعتبار قطعه للاتصال بمثابة علامة خوف أو ضعف على الأقل.

لقد علمته الحياة الصبر، بالإضافة إلى ذلك، انطوت صورته الذاتية على احتمال أن يكون أحمق، ولذلك لم يقلق في أن يبدو مغفلاً. انتظر. حين أقفل المتصل الخط، أثبت صوت انقطاع الخط أنه كان موجوداً هناك، ثم جاء صوت الخط.

قبل أن يتابع إعداد السندويش، دخل يبلي إلى الغرف الأربع والحمام. أسدل الستائر فوق كل النوافذ.

أمام طاولة الطعام في المطبخ، تناول السندويش مع قطعتين من الشبث المخلل. شرب كأساً أخرى، ولكن هذه المرة من دون إضافة الشراب الاسكتلندي.

لا يملك تلفازاً، فبرامج التسلية تضجره، ولا يحتاج إلى الأخبار.

أفكاره كانت صحبته الوحيدة خلال العشاء. لم يتأخر في تناول
سندويش البسطرما.

* * *

اصطفت الكتب على جدار واحد في غرفة الجلوس من الأرض
إلى السقف. لطالما كان يبلي مطالعاً هماً في معظم حياته.

فقد الاهتمام في المطالعة قبل ثلاثة أعوام، وعشرة أشهر وأربعة
أيام. فالحب المشترك للكتب، للخيال بكل أنواعه، جمعه وباربارة معاً.

ثمة مجموعة من كتب ديكنز ذات أغلفة متناسقة موضوعة على
رف واحد، أهدهت إياها باربارة لمناسبة الميلاد، كانت تحب ديكنز كثيراً.

هذه الأيام، يحتاج إلى إبقاء نفسه مشغولاً فبمجرد الجلوس على
كرسي مع كتاب يجعله يشعر بالتملل، يشعر بالضعف نوعاً ما.

بالإضافة إلى ذلك، احتوت بعض الكتب على أفكار مقلقة،
تجعلك تفكر في أمور تريد نسيانها، وبالرغم من أن أفكارك تصبح لا
تتحمل، لا يمكنك دفعها إلى الراحة.

كان السقف المزخرف لغرفة الجلوس نتيجة حاجته إلى إبقاء نفسه
مشغولاً، فقد تم إعداد كل زخرفة غائرة بقالب خاص. كشف وسط
كل زخرفة عن مجموعة من أوراق الأقمشة المنحوتة باليد من السنديان
الأبيض، والملونة بلون مطابق للون الماهوغاني المحيط.

لا يعتبر أسلوب هذا السقف ملائماً لكوخ ولا لبنغالو، لكنه لا
يبالي، فالمشروع أبقاه مشغولاً لأشهر عدة.

في مكتبه، كان السقف المزخرف أكثر تعقيداً من السقف في
غرفة الجلوس.

لم يتوجه إلى المكتب، حيث الكمبيوتر غير المستعمل يضجره،
جلس بدل ذلك أمام طاولة عليها أدوات النحت خاصته.

هنا أيضاً توجد كدسات من كتل السنديان الأبيض، تفوح منها رائحة خشب حلوة. هذه الكتل هي المواد الأولية للزخرفات التي ستزين سقف الحمام الذي هو حالياً من الجص العاري. على الطاولة يوجد مشغل للأقراص الموسيقية ومكبران صغيران للصوت. كان مشغل الأقراص محملاً بموسيقى زيديكو، فأدار المشغل. نحت الخشب إلى أن ألمته يدها، وارتجت رؤيته، أطفأ حينها الموسيقى، وذهب إلى السرير.

استلقى على ظهره في الظلمة، وحدق إلى السقف الذي لم يستطع رؤيته، وانتظر حتى تغمض عيناه، انتظر. سمع شيئاً على السطح، شيئاً يخربش على ألواح الخشب، إنها البومة بلا شك، لم تنعب البومة، إنه ربما حيوان راكون، أو شيء ما. ألقى نظرة على الساعة الرقمية الموضوعية على المنضدة، مرّت عشرون دقيقة بعد منتصف الليل.

لديك ست ساعات لتقرر. الخيار خيارك.

سيكون كل شيء بخير عند الصباح. لطالما كان كل شيء بخير. حسناً، ليس تماماً، وإنما جيد كفاية لتشجيع المثابرة. أريد أن أعرف ماذا يقول البحر. ما الذي يستمر في قوله.

أغمض عينيه بضع مرات، لكن هذا لم ينفع، يجب أن تغمض العينان وحدهما حتى يأتي النوم، نظر إلى الساعة وهي تتبدل من 12:59 إلى 1:00.

كانت الورقة تحت مسّاحة الزجاج الأمامي حين خرج من المشرب عند الساعة مساءً. مرّت ست ساعات.

تم قتل أحدهم، أو لا. طبعاً لا.

تحت المخالب المخربشة للبومة، إذا كانت بومة، نام.

الفصل 5

لا يملك المشرب اسماً، أو بالأحرى وظيفته هي اسمه. اللافتة على أعلى العمود، عندما تعطف من الطريق السريع إلى مرأب السيارات المحاط بشجر البقّ، تشير إلى مشرب فقط.

جاكي أوهارا هو صاحب المكان، إنه بدين، مليء بالنمش، لطيف، وهو مع الجميع بمثابة صديق أو عم حنون. لا يرغب في رؤية اسمه على اللافتة.

حين كان ولداً، أراد جاكي أن يكون رجل دين، أراد مساعدة الناس، أراد إرشادهم إلى طريق الله.

علّمه الوقت أنه قد لا يتمكن من ضبط شهواته، فيما كان لا يزال شاباً، استنتج أنه سيكون رجل دين سيئ، وليست هذه طبيعة حلمه.

وجد الاحترام الذاتي في إدارة مشرب نظيف وودود، لكن بدا له أن الرضى البسيط في إنجازاته سيتحول إلى غرور إذا أسمى المشرب تيمناً به.

برأي بيلي وايلز، كان جاكي ليصبح رجل دين جيداً، فكل كائن بشري يملك شهوات تصعب السيطرة عليها، لكن عدداً قليلاً من الناس يملكون التواضع، والرفقة، والإدراك لمواطن الضعف.

مشرب فينيارد هيلز، مشرب أشجار البق المظلمة، مشرب ضوء الشموع، مشرب جانب الطريق، يقدم بانتظام الزبائن الدائمون اقتراحات لتسمية المكان، وجد جاكي اقتراحاتهم غريبة أو غير ملائمة.

حين وصل بيلي عند الحادية عشرة إلا ربع من صباح يوم الثلاثاء، قبل خمس عشرة دقيقة من افتتاح المشرب، كانت السيارات الوحيدة الموجودة في مرأب السيارات سيارة جاكوي وسيارة بين فيرنون طاهي النهار.

وقف قرب سيارته الإكسبلورر، وتأمل سلسلة الهضاب المنخفضة في البعيد، في الطرف البعيد من الطريق السريع، إنها هضاب باللون البني الداكن حيث كشطتها الجرافات، وباللون البني الشاحب حيث ذبل العشب البري نتيجة حرارة الصيف القوية.

كانت شركة بيرلس بروبرتيز، وهي شركة دولية، تشيّد منتجعاً سياحياً عالمياً، سيطلق عليه اسم **فاينلاند**، على مساحة تسعمئة أكر. بالإضافة إلى فندق وملعب غولف، وثلاثة أحواض سباحة، ونادي تنس، ومرافق تسلية أخرى، اشتمل المشروع على منازل بقيمة 190 مليون دولار لبيعها لأولئك الذين يأخذون التسلية على محمل الجد.

بدأ العمل بالأساسات في بداية الربيع. والجدران ترتفع الآن. على مسافة أقرب من التشييدات الضخمة على الهضاب العلوية، وعلى مسافة أقل من مئة قدم من الطريق السريع، ثمة لوحة جدارية هائلة شارفت على الانتهاء إلى مرج. ارتفاعها سبعون قدماً، وعرضها 150 قدماً، هي ثلاثية الأبعاد، مصنوعة من الخشب ومطلية بالرمادي مع ظلال سوداء.

في تقاليد الفنون، تمثل اللوحة الجدارية صورة أنيقة للآليات القوية، بما في ذلك عجلات القيادة وقضبان الوصل في الآلية. هناك أيضاً ناقلات حركة عملاقة، ودروع غريبة، ومجموعة من الأشكال الميكانيكية التي ليس لها علاقة بقطار.

لثة صورة عملاقة وأنيقة لرجل بملابس العمل موضوعة في القسم الموحى بآلية، الجسم مزوى من اليسار إلى اليمين كما لو أنه ينحني أمام رياح قوية، بدا كأنه يدفع إحدى عجلات القيادة العملاقة، كما لو أنها عالقة في الآلية، ويضغط إلى الأمام بخوف وتصميم كبيرين، كما لو أنه إذا ارتاح لبرهة ستخرج الآلية عن مسارها وتتحطم قطعاً.

لا يعمل أي من الأقسام المتحركة في اللوحة الجدارية، إلا أنها تعطي صورة مقنعة للحركة، والسرعة. تولى فنان شهير له اسم واحد- فاليس- تصميم اللوحة وتنفيذها مع فريق عمل من ستة عشر شخصاً. اللوحة الجدارية ترمز إلى الوتيرة المحمومة للحياة العصرية، والفرد المنهك من قوى المجتمع.

يوم يتم افتتاح المنتجع لبدء العمل به، سيقوم فاليس شخصياً بإشعال النار في الجدارية وإحراقها لتجسيد التحرر من السرعة المخنونة للحياة التي يمثلها المنتجع الجديد.

معظم السكان المحليين في فينيارد هيلز والمنطقة المحيطة سخروا من الجدارية، وحين يطلقون عليها اسم فن، يقولون فن بين قوسين. أحب بيلي اللوحة الجدارية، لكنه وجد إحراقها أمراً غير منطقي.

قام الفنان نفسه بتثبيت عشرين ألف بالون أحمر معبأة بالهليوم على جسر في أستراليا، بحيث بدا الجسر مدعوماً بها، وبواسطة جهاز تحكم عن بعد، فجر العشرين ألف بالون دفعة واحدة. في تلك الحال، لم يفهم بيلي الفن أو كما يقولون الفن بين قوسين أو الجدوى من تفجيره.

بالرغم من أنه ليس ناقدًا، شعر أن هذه الجدارية فن وضع أو حرفة يدوية بارعة، وإحراقها ليس منطقيًا بالنسبة إليه أكثر من قيام متحف برمي لوحات رامبراند الفنية في النار. هناك الكثير من الأمور في المجتمع المعاصر التي ترعبه بحيث لن يستغرب هذه المسألة الصغيرة. لكن ليلة الإحراق، لن يأتي لمشاهدة النار.

دخل إلى المشرب.

حمل الهواء رائحة غنية بدت وكأن فيها نكهة. بين فيرونون يطهو بخنة من الفليفلة الحريفة.

وراء المشرب، كان جاكسي أوهارا يقوم بمجردة لمخزون المشروبات. "بيلي، هل رأيت ذلك البرنامج الخاص على القناة السادسة الليلة الماضية؟".
"لا".

"لم تشاهد ذلك التقرير الخاص عن الصحون الطائرة وخطف الكائنات الغريبة؟".

"كنت أنحت على وقع موسيقى زيديكو".

"قال هذا الرجل إنه تم أخذه إلى مركبة فضائية تدور حول الأرض".

"وما الجديد في ذلك؟ تسمع هذه الأمور طوال الوقت".

"يقول إنه خضع لامتحان بروتوكول من قبل مجموعة من كائنات الفضاء الغريبة".

دفع بيلي بوابة المشرب. "هذا ما يقولونه جميعاً".

"أعرف، أنت محق، لكنني لا أفهم". قطب جاكسي وجهه. "لماذا

يجتاز عرق من الكائنات الغريبة المتفوقة، أذكي منا بآلاف المرات،

مسافة ملايين الأميال عبر الكون مجرد النظر إلينا؟ ما هي قصتها-
منحرفة؟"

طمأنه بيلي: "لم يأتوا أبداً إليّ. وأشك في أنهم أتوا أصلاً إلى ذلك
الرجل أيضاً".

"لديه الكثير من المصادقية، إنه مؤلف كتب. أقصد، حتى قبل هذا
الكتاب، نشر مجموعة من الكتب الأخرى".

أخرج بيلي مفرراً من الدرج، وربطه، وقال: "بمجرد نشر كتاب لا
يعطي أحداً مصادقية. هتلر نشر كتباً".

سأل جاكي: "حقاً؟".

"نعم".

"هتلر؟".

"حسناً، لم يكن بوب هتلر".

"أنت تتلاعب بأعصابي".

"اسأل عن ذلك".

"ماذا كتب - قصصاً جاسوسية أو ما شابه؟".

أجاب بيلي: "ما شابه".

"كتب هذا الرجل علماً خيالياً".

"مفاجأة".

شدد جاكي: "علم خيالي. كان البرنامج مقلقاً فعلاً". رفع طبقاً
أبيض صغيراً عن سطح العمل، وأصدر صوت تململ وقرق. "كيف
سأبدأ بحرمان ستيف من التوابل؟".

في الطبق هناك من خمس عشرة إلى عشرين حبة كرز. تم ربط
كل واحد منها في عقدة.

قال بيلي: "يجده الزبائن ممتعاً".

"لأنهم نصف مجانين. على كل حال، يزعم أنه رجل مضحك،
لكنه ليس كذلك".

"يملك كل واحد فكرته الخاصة عما هو مضحك".
"لا، أقصد أنه يزعم أنه خفيف الظل ومرح، لكنه ليس
كذلك".

قال بيلي: "لم أره يوماً إلا بهذه الطريقة".

"إسأل سيليا رينولدز".

"من هي؟"

"جارية ستيف".

اقترح بيلي: "قد يملك الجيران أحقاداً. لا يمكن دوماً تصديق ما
يقولونه".

"تقول سيليا إنه يكشف عن نوبات غضب في الفناء الخلفي".

"ماذا يعني ذلك - نوبات غضب؟"

"تقول إنه يصبح مثل المجنون، يفرم الأغراض".

"أي أغراض؟"

"مثل كرسي طاولة الطعام".

"التي تخص من؟"

"هو. فرمها حتى لم يبقَ منها شيء إلا الفتات".

"لماذا؟"

"يشتم ويغضب حين يكون في النوبة، يبدو وكأنه يخرج الغضب
من داخله".

"في كرسي".

"نعم. ويقطع البطيخ بفأس".

قال بيلي: "ربما يحب البطيخ".

"لا يأكله. يعمد فقط إلى تقطيعه وتقطيعه حتى لا يبقى منه شيء".

"مع الشتم طوال الوقت".

"هذا صحيح. شتائم وتمتمة وعويل مثل الحيوان، رؤوس بطيخ كاملة، قام مرتين بتقطيع تماثيل".

"أي تماثيل؟".

"تلك التي يضعونها في متاجر النساء".

"العارضات؟".

"نعم. حطمها بالفأس والمطرفة".

"من أين حصل على العارضات؟".

"لا أعرف".

"لا يبدو هذا صحيحاً".

"تحدث إلى سيليا. ستخبرك".

"هل سألت ستيف لماذا يفعل ذلك؟".

"لا. تخاف".

"هل تصدقها؟".

"سيليا لا تكذب".

سأل بيلي: "هل تظن أن ستيف خطر؟".

"ربما لا، لكن من يعرف".

"ربما، يجدر بك طرده".

رفع جاكبي حاجبيه. "ثم يتبين أنه واحد من أولئك الرجال الذين

تراهم في الأخبار؟ يأتي إلى هنا مع فأس؟".

قال بيلي: "على كل حال، لا يبدو هذا صحيحاً. لا تصدق

الأمر أنت".

"بلى أصدقه. تذهب سيليا إلى الاحتفال الديني ثلاث مرات أسبوعياً."
"جاكي، أنت تمزح مع ستيف، أنت مرتاح معه."
"لكنني حذر قليلاً على الدوام."
"لم ألاحظ ذلك أبداً."
"حسناً، أنا كذلك. لكنني لا أريد أن أكون غير منصف معه."
"غير منصف؟"

"إنه نادل جيد، وينجز عمله". طفني تعبير الخجل على وجه
جاكي، احمرّت وجنتاه المتلفتان. "لم يكن يجدر بي التحدث عنه
هكذا. كل ذلك بسبب أعناق حبات الكرز. أزعجني ذلك قليلاً".
قال بيلى: "عشرون حبة كرز. ما هي كلفتها؟".
"ليس للأمر علاقة بالمال، وإنما لتلك الخدعة بلسانه؛ الأمر شبه
فاحش".

"لم أسمع أبداً أي شخص يتذمر من ذلك. تحب الكثير من
الزبونات مراقبته وهو يفعل ذلك".
قال جاكي: "والشاذون. لا أريد أن يتحول هذا المشرب
للعازبين، أو الشاذين، أو المستقيمين. أريده مشرباً عائلياً".
"هل يوجد شيء اسمه مشرب عائلي؟".
"طبعاً". بدا جاكي متأثراً بالرغم من اسمه العمومي، لم يكن
مشرباً سيئ السمعة. "نحن نقدم حصصاً من البطاطا المقلية وحلقات
البصل للأولاد، أليس كذلك؟".

قبل أن يتمكن بيلى من الإجابة، دخل أول زبون لليوم عبر الباب.
إنها الساعة 11:04. أراد الرجل فطوراً: بلادي ماري مع كرفس.
يدير جاكي وبيلى المشرب معاً خلال زحمة وقت الغداء، يقدم
جاكي الطعام على الطاولة فيما يسكبه بين في الأطباق.

كان الازدحام أكثر من المعتاد لأن الثلاثاء هو يوم الفليفلة الحريفة، لكنهم لا يحتاجون بالرغم من ذلك إلى نادلة في الدوام الأول. يتناول ثلث الزبائن غداءهم في كؤوس، ويرضى ثلث آخر بالفول السوداني أو النقائق من الصحون الموضوعة على المشرب، أو بالبسكويت المملح المجاني. فيما خلط بيلى وايلز المشروبات، وسكب شراب الشعير، أقلقته صورة دائمة في عقله: ستيف زيليس يفرم عارضة إلى قطع، يفرم ويفرم ويفرم.

فيما مرّت ساعات دوامه، ولم يتفوه أحد بكلمة عن قتل معلمة مدرسة أو امرأة عجوز محبة لعمل الخير، هدأت أعصاب بيلى. في منطقة فينيارد هيلز الوديعه، وفي وداي نابا الهادئ، تنتشر أخبار الجريمة المروعة بسرعة، لا بد أن الورقة كانت مزحة.

بعد فترة بطيئة بعد الظهر، وصلت آيفي إيلجين إلى العمل في تمام الساعة الرابعة، ولحق بها الرجال العطاشى على حال تجعلهم يلوّحون بذيولهم لو أنهم يملكون ذيولاً.

سألها بيلى: "هل من شيء سيئ اليوم؟" ووجد نفسه يجفل من السؤال.

قالت آيفي: "السرعوف يتضرع على مصطبتي الخلفية، مباشرة أمام عتبة منزلي".

"ماذا يعني ذلك برأيك؟"

"ما كان يتضرع له مات".

"لم أفهم".

"ما زلت أحاول التصور".

وصلت شيرلي تروبلاد في تمام الخامسة، وهي ترتدي بذلة باللون الأصفر الشاحب مع ياقة وكمين أبيضين.

بعدها وصل رامون باديلو، الذي شمّ رائحة الفليفلة الحريفة وتمتم: "يجب إضافة رشّة من الكمون".

حين وصل ستيف زيليس عند السادسة، وفاحت منه رائحة عطر ما بعد الحلاقة وغسول الفم برائحة النعناع، قال: "كيف حالكم أيها الرفاق؟".

سأل بيلي: "هل اتصلت بي الليلة الماضية؟".

"من أنا؟ ولماذا أفعل؟".

"لا أعرف. تلقيت اتصالاً، اتصالاً سيئاً، لكنني ظننت أنك أنت المتصل ربما".

"هل عاودت الاتصال بي؟".

"لا. بالكاد استطعت سماع الصوت، ظننت فقط أنك أنت ربما".

اختار ثلاث حبات زيتون ممتلئة من الوعاء، قال ستيف: "على

كل حال، كنت خارج المنزل الليلة الماضية مع صديق".

"غادرت العمل عند الثانية بعد منتصف الليل، ثم خرجت؟".

ابتسم ستيف ابتسامة عريضة وغمز بعينه. "كان هناك قمر، وأنا

كلب".

"إذا غادرت العمل عند الثانية بعد منتصف الليل، أدخلد مباشرة

إلى السرير".

"ليست إهانة يا رجل، لكنك لا ترن الجرس جيداً وفق مقياس

زنغ".

"ماذا يعني ذلك؟".

هزّ ستيف كتفه، ثم بدأ يقذف حبات الزيتون في الهواء ببراعة فائقة.

"يتساءل الناس لماذا يعيش شاب وسيم مثلك مثل عانس عجوز".

راقب بيلي الزبائن وقال: "أي ناس؟".

"الكثير من الناس". التقط ستيف أول حبة زيتون في فمه، ثم الثانية، ثم الثالثة، ومضغها بقوة للحصول على تصفيق الجمهور المتفرج. خلال الساعة الأخيرة من دوامه، حرص بيلي على مراقبة ستيف زيليس أكثر من المعتاد. إلا أنه لم يلاحظ أي شيء مثير للريبة. إما الرجل ليس صاحب المزحة أو أنه أكثر ذكاءً ودهاءً مما يبدو ظاهرياً.

حسناً، لا يهم، لم يتم قتل أحد، تلك الورقة كانت مزحة. وستعرف النتيجة عاجلاً أم آجلاً.

فسيما كان بيلي يغادر المشرب عند الساعة مساءً، جاءت إليه آيفي إيلجين، كابحة الحماسة في عينيها الملوتين. "سيموت أحد في دار العبادة". "كيف عرفت؟".

"ما كان يتضرع له السرعوف مات".

سأل: "أي دار عبادة؟"

"علينا أن ننتظر لنرى".

"لن يكون في دار العبادة ربما. قد يموت رجل دين محلي".

تسمرت عيناها الساحرتان في عينيه. "لا أظن ذلك. قد تكون محقاً. لكن أين هو دور حيوان الأبوسوم؟".

"ليست لدي فكرة آيفي. لا أملك موهبة التوقع، مثلك أنت".

"أعرف، لكنك لطيف، أنت دواماً مهتم، ولا تسخر مني أبداً".

بالرغم من أنه يعمل مع آيفي خمسة أيام في الأسبوع، يجعله تأثير جمالها المذهل وجاذبيتها الفائقة ينسى أحياناً أنها نوعاً ما فتاة أكثر مما هي امرأة، لطيفة وبريئة، خالية من العيوب إن لم تكن نقية.

قال بيلي: "سأفكر في حيوان الأبوسوم، لديّ ربما القليل من

القدرة على التوقع لا أزال أجهلها"

تستطيع ابتسامتها سلبك كل التوازن. "شكراً بيلي. في بعض الأحيان، تكون هذه الهدية... عبثاً، أستعمل بعض المساعدة معها".
في الخارج، كان هواء الأمسية الصيفية باللون الأصفر الليموني مع أشعة الشمس المائلة، وكانت ظلال أشجار البق الزاحفة شرقاً بلون أرجواني واحد مائل إلى الأسود.
فيما اقترب من سيارة الفورد إكسبلورر، رأى ورقة تحت مساحة الزجاج الأمامي.

الفصل 6

بالرغم من عدم الإبلاغ عن جثة شقراء أو امرأة عجوز ميتة، توقف بيلى فجأة أمام سيارة الإكسبلورر، متردداً في المتابعة، رافضاً قراءة هذه الرسالة الثانية.

لا يريد شيئاً أكثر من الجلوس مع باربارة لبعض الوقت، ومن ثم العودة إلى المنزل. لا يراها سبع مرات في الأسبوع، لكنه يزورها في معظم الأيام. زيارته إلى وايسيرينغ باينز كانت من الركائز الأساسية في حياته البسيطة. يتطلع إليها بشوق مثلما يتطلع إلى وقت ترك العمل والنحت. إلا أنه ليس رجلاً غيبياً، ولا حتى ذكياً بمستوى متوسط، عرف أن حياته الانعزالية قد تغرقه بسهولة في الوحدة.

ثمّة خط رفيع يفصل بين المنعزل المنهك والناسك الخائف، ويصبح الخط أرفع بين الناسك والمريض المبغض للبشر. إن رفع الورقة من تحت المسّاحة، والإطباق عليها في قبضة يده ووضعها جانباً ستسهم حتماً في تجاوز الخط الأول من تلك الخطوط، ولن تكون هناك عودة ربما.

لا يملك الكثير مما أراده في الحياة. لكنه بطبيعته حذر كفاية لمعرفة أنه إذا رمى الورقة، فإنه سيرمي أيضاً كل شيء يعيله الآن. لن تكون حياته مختلفة فقط، وإنما أسوأ.

بينما كان يحاول اتخاذ قراره، لم يسمع سيارة الشرطة تدخل إلى المراب، فيما رفع الورقة من تحت المسّاحة، تفاجأ بالظهور المفاجئ للاني أولسن قربها، في بذلته العسكرية.

أعلن لاني: "ورقة أخرى". كما لو أنه كان يتوقع الورقة الثانية.

كشفت صوته عن نبرة مكسورة، كان وجهه مليئاً بالخوف، وعيناه نافذتين على مكان مسكون بالأشباح. قدر بيلى أن يعيش في زمن ينكر وجود الأشياء المقيمة جداً، يعطي كلمة رعب لكل شيء مقيت، ويعيد تحديد كل رعب على أنه جريمة، وكل جريمة على أنها إهانة، وكل إهانة على أنها إزعاج عادي. إلا أن الاشتزاز نشأ داخله قبل أن يعرف بالضبط سبب مجيء لاني أولسن إلى هنا.

"بيلى. الله، بيلى."

"ماذا؟"

"أنا أتعرق. أنظر إليّ وأنا أتعرق."

"ماذا؟ ما الأمر؟"

"لا أستطيع التوقف عن التعرق. ليس الجو حاراً بهذا القدر."

فجأة شعر بيلى بالخوف. مرر يداً عبر وجهه ثم نظر إلى راحة يده متوقفاً رؤية العرق، إلا أن اليد بدت نظيفة للعين المجردة.

قال لاني: "أحتاج إلى كأس شراب شعير. إلى اثنتين، أحتاج إلى

الجلوس، أحتاج إلى التفكير."

"أنظر إليّ."

لم ينظر لاني إلى عينيه. كان انتباهه مركزاً على الورقة التي في يد

بيلى.

بقيت تلك الورقة مطوية، لكن شيئاً فتح في أحشاء بيلى، وتفتح

مثل الزهرة الدبقة والمتعددة البتلات. الغثيان الناجم عن الحدس.

السؤال الصحيح ليس ماذا. السؤال الصحيح هو من، وطرحه بيلى.

لعق لاني شفثيه. "جيزيل وينسلو".

"لا أعرفها".

"ولا أنا".

"أين؟".

"إنها تدرّس الإنكليزية في نابا".

"شعراء؟".

"نعم".

أضاف بيلى: "وجميلة؟".

"كانت جميلة، ضربها أحدهم حتى الموت تقريباً، تشوهت كثيراً على يد شخص عرف كيف يقضي على جمالها ويجعل التشويه دائماً.

"حتى الموت تقريباً".

"انتهى بنقنها بسروالها الداخلي".

شعر بيلى بضعف في ساقيه، اتكأ على سيارة الإكسبلورر، لا

يستطيع التكلم.

"عثرت عليها أختها قبل ساعتين".

بقي نظر لاني محققاً إلى الورقة المطوية في يد بيلى.

تابع لاري: "لا يملك مكتب الشريف حق التدخل هناك. ولذلك

فإن المسألة في عهدة شرطة نابا، هذا شيء، على كل حال، يمنحني مساحة للتنفس".

وجد بيلى صوته، لكنه كان خشناً وليس مثلما اعتاد عليه.

"أفادت الورقة أنه سيقتل معلمة مدرسة إذا لم أذهب إلى الشرطة، لكنني ذهبت إليك".

"قال إنه سيقتلها إذا لم تذهب إلى الشرطة وتورطها".

"لكنني ذهبت إليك. جربت. بالله. حاولت، أليس كذلك؟".

نظر لاني أخيراً في عينيه. "جئت إليّ بطريقة غير رسمية. لم تذهب فعلياً إلى الشرطة. ذهبت إلى صديق صودف أنه شرطي".
احتج بيلى "لكنني ذهبت إليك". وانكمش خوفاً من الإنكار في صوته، من التبرير الذاتي.

زحف الغثيان على جدران معدته، لكنه أطبق أسنانه، وحاول السيطرة على نفسه.

قال لاني: "لم تفح منها رائحة الحقيقة".
"مم؟".

"من الورقة الأولى، كانت مزحة، كانت مزحة سخيفة، ما من شرطي حيّ يملك الفطرة لشمّ الحقيقة من تلك الورقة".
سأل بيلى: "هل كانت متزوجة؟".

دخلت سيارة تويوتا إلى مرأب السيارات، وركنت على مسافة سبعين أو ثمانين قدماً من الإكسلورر.

راقبا بصمت السائق وهو يخرج من السيارة ويدخل إلى المشرب. لا يمكن سماع حديثهما من تلك المسافة. إلا أنهما توخيا الحذر. صدحت الموسيقى الريفية من المشرب فيما كان الباب مفتوحاً.

كان آلان جاكسون ينشد أغنية عن القلب المحطم.
سأل بيلى مجدداً: "هل كانت متزوجة؟".

"من؟".

"المرأة، معلمة المدرسة، جيزيل وينسلو".

"لا أظن ذلك، لا. على الأقل لا يوجد زوج في الصورة في الوقت الحاضر. دعني أرى الورقة".

احتفظ بيلى بالورقة المطوية وقال: "هل لديها أولاد؟".
"وهل يهم ذلك؟".

قال بيلى: "هذا بهم".
أدرك أن يده الفارغة تحولت إلى قبضة محكمة، إنه صديق الذي يقف أمامه، مثلما يسمح لنفسه بالأصدقاء، إلا أنه أرخى قبضته بجهد.
"الأمر مهم بالنسبة إليّ لاني".
"أولاد؟ لا أعرف. ربما. حسبما سمعت، كانت تعيش وحدها على الأرجح".
مرّت بمجموعتان من السيارات على الطريق السريع: هدير محركات، صوت الهواء المتحرك.
في الهدوء الذي تلا ذلك، قال لاني: "اسمع بيلى. أنا في ورطة ربما".
"ربما؟" وجد هذا الاختيار للكلمات مضحكاً، ولكن ليس من النوع الذي يجعله يضحك.
"ما من أحد آخر في القسم كان سيأخذ تلك الورقة على محمل الجد. لكنهم سيقولون إنه كان يجدر بي فعل ذلك".
قال بيلى: "أنا من كان يجدر به فعل ذلك ربما".
بدا لاني مضطرباً وقال: "هذا إدراك مؤخر، هراء، لا تتحدث هكذا، نحتاج إلى دفاع متبادل".
"دفاع ضد ماذا؟".
"أي شيء، اسمع بيلى، أنا لا أملك بطاقة مثالية".
"أي بطاقة؟".
"بطاقة سجلتي في الخدمة، ملف أدائي، حصلت على بعض التقارير السلبية".
"ماذا فعلت؟".
جفلت عينا لاني حين سمع السؤال. "اللجنة، لست شرطياً فاسداً".

"لم أقل إنك هكذا".

"أنا في السادسة والأربعين، لم أحصل يوماً على قرش من المال الفاسد، ولن أفعل ذلك أبداً".

"حسناً. لا بأس".

"لم أفعل أي شيء".

قد يكون كلام لاني مجرد ادعاء، لا يستطيع تحمله، أو أن صورة حزينة ربما تخيفه ولذلك اتسعت عيناه، قضم شفته السفلية كما لو أنه يقضم فكرة مقلقة أراد القضاء عليها، وعدم التفكير فيها أبداً مجدداً.

بالرغم من أنه نظر إلى ساعة يده، انتظر بيلى.

قال لاني: "ما هو صحيح كفاية هو أنني شرطي كسول أحياناً، بسبب الضجر، تعرف، وربما لأني... لم أرغب يوماً في هذه الحياة".

طمأنه بيلى: "لا تدين لي بأي شرح".

"أعرف. لكن القصة هي... سواء أكنت أريد هذه الحياة أم لا، فإنها ما أملكه في الوقت الحاضر. إنها كل ما لدي، أريد فرصة للاحتفاظ بها، أريد قراءة هذه الورقة الجديدة، بيلى، أرجوك أعطني الورقة".

شعر بيلى بالتعاطف لكنه لم يشأ تسليم الورقة، التي باتت الآن رطبة بفعل عرقه، ففتحها وقرأها.

إذا لم تذهب إلى الشرطة وتورطها، سأقتل رجلاً غير متزوج لن يشناق إليه العالم كثيراً.

وإذا ذهبت إلى الشرطة، سأقتل أما شابة لطفلين.

أمامك خمس ساعات لتقرر. الخيار خيارك.

عند قراءتها في أول مرة، استوعب بيل كل تفصيل مرعب في الورقة، لكنه قرأها مجدداً. ثم تخلّى عنها.

القلق، صبدأ الحياة، أكل وجه لاني أولسن فيما تصفح السطور.
"إنه ابن ساقطة حقيقي".
"عليّ الذهاب إلى نابا".
"لماذا؟".

"لإعطاء الورقتين إلى الشرطة".
قال لاني: "انتظر، انتظر، انتظر. لا تعرف أن الضحية الثانية
ستكون في نابا. قد تكون في سانت هيلينا أو روثفورد...".
قاطعته بيلي: "أو في أنغوين أو كاليستوغا".
أراد لاني التشديد على النقطة، فقال: "أو يونتفيل أو سيركل
أو كس، أو أو كفيل. لا تعرف أين. لا تعرف أي شيء".
قال بيلي: "أعرف بعض الأشياء. أعرف ما هو صحيح".
نظر لاني إلى الورقة، ومسح العرق عن أهدابه، وقال: "القتلة
الحقيقيون لا يلعبون هذه الألعاب".
"لكن هذا يفعل".

طوى لاني الورقة، ووضعها في جيب قميص بذلته العسكرية
وقال: "دعني أفكر لفترة وجيزة".
أخرج بيلي الورقة فوراً من جيب لاني وقال: "فكر في ما تريده.
أنا ذاهب إلى نابا".

"أوه، أيها الرجل، هذا سيئ، هذا خطأ، لا تكن سخيفاً".
"إنها نهاية لعبته إذا لم ألعبها".
"ستقتل إذاً أمّاً لطفلين. هكذا، أليس كذلك؟".
"سأزعم أنك لم تقل هذا".
"إذاً سأقولها مجدداً. ستقتل أمّاً لطفلين".
هزّ بيلي رأسه. "لن أقتل أحداً".

قال لاني: "الخيار خيارك. هل ستختار جعل ولدني يتيمين؟".
ما رآه يبلي الآن على وجه صديقه، في عينيه، لم يكن شيئاً رآه قبلاً،
على طاولة ورق اللعب أو في أي مكان آخر، بدا وكأنه أمام غريب.
كرر لاني: "الخيار خيارك".

لم يشأ يبلي إحداث هوة بينهما، فهو يعيش على الجانب الأيسر
من الخط الفاصل بين العزلة والتنسك، ولا يريد أن يجد نفسه يتجاوز
ذلك الخط الفاصل.

أحسّ لاني ربما بقلق صديقه، فاعتمد نبرة ألطف: "كل ما أطلبه
هو منحي فرصة، أنا في مأزق هنا".
"بالله عليك لاني".

"أعرف، هذا مقرف، لا مجال أبداً لإنكار ذلك".
"لا تحاول التلاعب بي هكذا مجدداً. لا تضغط علي".
"لن أفعل. أنا آسف. المشكلة هي أن الشريف يملك رأساً صلباً.
أنت تعرف ذلك. ومع ملف أدائي، هذا كل ما يحتاج إليه لنزع
الشارة مني، ولا يزال أمامي ست سنوات من العمل الفعلي".
حين نظر إلى عينيّ لاني رأى اليأس فيهما، ورأى شيئاً أسوأ من
اليأس لا يريد تسميته، لم يستطع التوصل إلى تفاهم معه. اضطر إلى
النظر بعيداً والادعاء أنه يتحدث إلى لاني الذي عرفه قبل هذا اللقاء.
"ماذا تريدني أن أفعل؟".

فههم المغزى من السؤال، فتحدث لاني بصوت أكثر هدوءاً. "لن
تندم على هذا يبلي، سيكون كل شيء على ما يرام".
"لم أقل إنني سأفعل ما تريده، أريد فقط أن أعرف ما هو".
"أفهم، أقدّر ذلك، أنت صديق حقيقي، كل ما أسأله هو ساعة،
ساعة واحدة للتفكير".

أزاح يبلي نظره عن المشرب إلى الزيت الأسود المتشقق عند قدميه، وقال: "لا يوجد الكثير من الوقت، في الرسالة الأولى، كانت هناك ست ساعات. والآن، خمس ساعات".

"أنا أطلب فقط ساعة واحدة، ساعة واحدة".

"يعرف بلا شك أنني أترك العمل عند الساعة، وفي هذا الوقت تبدأ عقارب الساعة بالتكتكة على الأرجح، منتصف الليل، سيقتل قبل الفجر هذا أو تلك، وأكون اتخذت خياراً بتصرفي أو عدم تصرفي، سيفعل ما يفعله، لكنني لا أريد التفكير أنني قررت له".

وعد لاني: "ساعة واحدة، ثم أذهب إلى الشريف بالمر، أريد فقط تصور الطريقة، الزاوية التي ستقذني".

صراخ مألوف، وإنما نادر سماعه في هذه المنطقة، رفع انتباه يبلي عن زيت الطريق إلى السماء.

حلقت ثلاثة طيور نورس، بيضاء وزرقاء، في الناحية الشرقية، نادراً ما تصل إلى هذه المسافة شمالاً من خليج سان بابلو.

"يبلي، أحتاج إلى هاتين الورقتين للشريف بالمر".

راقب يبلي طيور النورس وقال: "أفضل الاحتفاظ بهما".

قال لاني بتوسل: "هاتان الورقتان هما دليل، ذلك اللعين بالمر

سيقضي عليّ إذا لم أحصل على الأدلة وأحميها".

فيما اتجهت الأمسية الصيفية إلى الظلمة التي تدفع دوماً طيور النورس نحو المساكن قرب البحر، بدت هذه الطيور الثلاثة خارج مكائها وكأها تنذر بشيء ما.

أحدث صراخها القوي والبارد قشعريرة في عنق يبلي.

قال: "أملك فقط الورقة التي وجدتها للتو".

سأل لاني: "أين هي الورقة الأولى؟".

"تركها في مطبخي، قرب الهاتف".
فكّر بيلى في دخول المشرب لسؤال آيفي إيلجين عن معنى الطيور.

قال لاني: "حسناً. لا بأس. أعطني فقط الورقة التي لديك، سيأتي بالمر حتماً للتحدث إليك، يمكننا الحصول على الورقة الأولى عندئذ".
المشكلة هي أن آيفي تزعم قدرتها على توقع المستقبل فقط عبر تفاصيل الأشياء الميتة.

حين تردد بيلى، ازداد لاني إصراراً. "بالله عليك، انظر إليّ. ما المشكلة مع الطيور؟".
أجاب بيلى: "لا أعرف".
"لا تعرف ماذا؟".

"لا أعرف ما المشكلة مع الطيور". أخرج بيلى الورقة من جيبه على مضض وأعطها إلى لاني. "ساعة واحدة".
"هذا كل ما أحتاج إليه، سأتصل بك".
فيما استدار لاني، وضع بيلى يداً على كتفه لإيقافه. "ماذا تقصد بأنك ستتصل؟ قلت إنك ستحضر بالمر".
"سأتصل بك أولاً، ما إن أعرف كيف أحول القصة لحماية نفسي".
قال بيلى وهو ينفر من الكلمة: "محزن".
ساد الصمت، وابتعدت طيور النورس في اتجاه الغرب نحو مغيب الشمس.

قال لاني: "حين أتصل، سأخبرك بما سأقوله لبالمر، بحيث نكون على الموجة نفسها، بعدها أذهب إليه".
تمنى بيلى لو أنه لم يسلم الورقة أبداً، لكنها دليل، ويقول المنطق أن يحصل لاني عليها.

"أين ستكون خلال ساعة؛ في وايسبرينغ باينز؟".
هزَّ بيلى رأسه. "سأمر إلى هناك، وإنما فقط لخمس عشرة دقيقة،
سأعود بعدها إلى المنزل، اتصل بي في منزلي، لكن ثمة أمراً آخر".
قال لاني بتململ: "منتصف الليل، بيلى. تذكر؟".
"كيف يعرف هذا المهووس الخيار الذي اتخذته؟ كيف يعرف أنني
ذهبت إليك وليس إلى الشرطة؟ كيف يعرف ماذا سأفعل خلال الأربع
ساعات ونصف الساعة التالية؟".
لم يعط لاني جواباً وإنما قطّب وجهه.
قال بيلى: "إلا إذا كان يراقبني".
راقب لاني السيارات في المرأب، والمشرب، وأشجار البق المتعانقة،
وقال: "كان كل شيء هادئاً".
"حقاً؟".
"مثل نهر. والآن هذه المشكلة".
"دوماً مشكلة".
قال لاني: "هذا صحيح كفاية". ومشى بعيداً نحو سيارة الشرطة.
بدا الابن الوحيد للأُم أولسن مهزوماً، مترهلاً ومنهك القوى.
أراد بيلى سؤاله إذا كان كل شيء على ما يرام بينهما، لكن هذا
السؤال صريح جداً، لم يستطع التفكير في طريقة أخرى لطرح السؤال.
ثم سمع نفسه يقول: "ثمة أمر لم أخبرك به أبداً ويجب أن تعرفه".
توقف لاني، ونظر إلى الخلف وراقبه بإيماءة.
"كل تلك السنوات التي كانت أمك خلالها مريضة، اعتنيت بها
وتخلّيت عما تريده... يتطلب ذلك شجاعة أكبر من عمل الشرطي".
كما لو أنه شعر بالإحراج، نظر لاني إلى الأشجار مجدداً، وقال
بإحباط: "شكراً بيلى". بدا متأثراً فعلاً لسماع الاعتراف بتضحيته.

بعدها، كما لو أن شعوراً بالخجل أجبره على كبت فضيلته، إن لم يكن السخرية منها، أضاف لاني: "لكن كل ذلك لا يتركني مع راتب تقاعد".

راقبه يبلي يدخل إلى السيارة، وينطلق بعيد. بصمت طيور النورس المختفية، مضى النهار منقطع الأنفاس، فيما تظلمت الهضاب والمروج الخضراء والأشجار أكثر فأكثر. في الجانب البعيد من الطريق السريع، كافح الرجل الخشبي البالغ ارتفاعه أربعين قدماً لإنقاذ نفسه من عجلات الصناعة الساحقة أو الإيديولوجيا الفظة، أو الفن العصري.

الفصل 7

كان وجه باربارة على الوسادة بمثابة يأس بيلي وأمله، خسارته وتوقعه.

إنها مرساة بمعنيين، الأول مفيد، فرؤيتها تجعل بيلي ثابتاً ومستقراً مهما كانت تيارات النهار، لكن بطريقة أقل رحمة، تعتبر كل ذكرى منها من الوقت الذي كانت فيه في عزّ الحياة، ومليئة بالحياة، بمثابة سلسال يطوقه. لو انتقلت من الغيبوبة إلى النوم التام، سيخنقه هذا السلسال وسيغوص معها في أعماق الظلمة.

لا يأتي إلى هنا فقط للبقاء بصحتها على أمل أن تدرك وجوده حتى في سجنها الداخلي، وإنما يأتي أيضاً ليتعلم كيف يهتم ولا يهتم، كيف يجلس ساكناً، وربما يعثر على السلام المحيّر. هذا المساء، بدا السلام محيراً أكثر من المعتاد.

نقل انتباهه من وجهها إلى ساعته، وإلى النافذة التي تحوّل وراءها النهار الأصفر الحمضي إلى شفق خفيف.

حمل دفتره الصغير. تصفحه، وقرأ الكلمات الغامضة التي لفظتها.

كلما وجد عبارة تحيّر، قرأها بصوت عالٍ:

"- رذاذ أسود ناعم -"

"- موت الشمس -"

"- فزاعة بذلة -"

"- أكباد إوزات بدنية -"

"- شارع ضيق، منازل عالية -"

"- حوض لاحتواء الضباب -"

"- أشكال غريبة... حركة شبحية -"

"- أجراس واضحة -"

أمله هو حين تسمع كلامها الغريب الذي قالته في غيبوبتها، تشعر برغبة في التحدث، والتوسع ربما في هذه العبارات وجعلها مفهومة أكثر.

في ليالٍ أخرى، يستمد أداؤه جواباً منها. إلا أنها لا توضح أبداً ما قالته قبلاً، تعطي بدل ذلك تسلسلاً جديداً ومختلفاً من كلمات أخرى غير مفهومة.

هذا المساء استجابت بصمت، وبين الحين والآخر بتنهيدة غير مصبوغة بعاطفة، كما لو أنها آلة تتنفس بإيقاع خفيف مع زفير أعلى ناجم عن دفع طاقة عشوائي.

بعد قراءة عبارتين بصوت عال، أعاد يبلي الدفتر إلى جيبه. كان مضطرباً، فقرأ كلماتها بالكثير من القوة، والكثير من العجلة، في مرحلة ما، سمع نفسه وشعر أنه غاضب، وهذا لا يفيد باربارة أبداً.

مشى بسرعة في الغرفة. جذبته النافذة.

كان دار وايسبرينغ باينز محاذياً لكرمة منحينة برفق، وراء النافذة، اصطفت الكروم بأوراقها الخضراء الزمردية التي تصبح قرمزية في الخريف، فيما تدلت منها عنقايد عنب صغيرة لا تزال تحتاج إلى أسابيع عدة للنضوج.

الممرات الضيقة بين صفوف الكروم كانت مرقطة بالأسود مع ظلال آخر ساعة من النهار، وبالأرجواني من ثفل العنب الذي تم بسطه سعاداً.

على مسافة سبعين أو ثمانين قدماً من النافذة، وقف رجل وحده في أحد تلك الممرات، لا يحمل أدوات ولا يبدو كأنه يعمل. إذا كان مزارعاً خرج للقيام بنزهة، لا يفترض أن يكون على عجلة، وقف في مكان واحد، وأبعد قدميه عن بعضهما، ووضع يديه في جيبي سرواله.

بدا وكأنه يتأمل دار الرعاية.

من هذه المسافة وفي هذا الضوء، لا يمكن تمييز أي تفاصيل من شكل الرجل. وقف في الممر بين الكروم، وأدار ظهره للشمس الغائبة، فلم تظهر منه إلا صورة ظليلة.

مصغياً إلى صوت أقدام متسارعة على درج أجوف، وهو في الواقع صوت خفقان قلبه، حذر يبلي نفسه من الرهاب، مهما كانت الورطة التي قد تحصل، فإنه يحتاج إلى أعصاب هادئة وعقل صافٍ للتفكير. استدار بعيداً عن النافذة، وتوجه إلى السرير.

تحركت عينا باربارة تحت جفنيها. قال الاختصاصيون إن هذا يشير إلى حال حلم.

على اعتبار أن أي غيبوبة هي نوم أعمق كثيراً من النوم نفسه، تساءل يبلي إذا كانت غيبوبتها أكثر كثافة من الأحلام العادية؛ مليئة بالعمل المحموم، وغنية بالصوت، ومشبعة بالألوان.

خشى أن تكون أحلامها كوابيس، حيوية ومستمرة.

حين قبل جبينها، تمتت: "الرياح هي في الشرق..."

انتظر، لكنها لم تقل المزيد، بالرغم من أن عينيها برمتا من شبح إلى شبح تحت جفنيها المغمضين.

بما أن هذه الكلمات لم تنطو على تهديد ولأنه لم يظهر في صوتها إحساس بالخطر، قرر الاعتقاد أن حلمها الحالي حميد على الأقل.

بالرغم من أنه لم يشأ ذلك، أخذ عن المنضدة مغلفاً قشدياً صغيراً
كُتب عليه اسمه بأحرف كبيرة. وضعه في جيبه، من دون قراءته، لأنه
عرف أن طبيب باربارة، جوردان فيرييه، تركه له.

حين تبرز الحاجة إلى مناقشة مسائل طبية مهمة، يستخدم الطبيب
الهاتف دوماً، يلجأ فقط إلى الرسائل المكتوبة حين ينتقل من الطب إلى
عمل أخرق.

توجه إلى النافذة مجدداً، واكتشف يبلي أن المراقب في الكرمة
اختفى.

بعد لحظات، حين غادر وايسبرينغ باينز، توقع جزئياً رؤية
ملاحظة ثالثة على زجاج سيارته. إلا أنه أعفي من هذا الاكتشاف.

لقد كان الرجل الواقف بين الكروم رجلاً عادياً على الأرجح
منخرطاً في عمل نظيف، لا شيء أكثر، ولا شيء أقل.

توجه يبلي مباشرة إلى المنزل، ركن السيارة في المكان المنفصل،
وصعد درجات المصطبة الخلفية، وجد باب مطبخه مفتوحاً على غير
عادة.

الفصل 8

لم يتعرض بيلى للتهديد في أي من الورقتين، فالخطر المحدق به ليس خطراً على حياته، كان يفضل الخطر الجسدي على الخطر المعنوي الذي يواجهه.

لكن عندما وجد الباب الخلفي للمنزل مفتوحاً، فكّر في الانتظار في الفناء الخلفي إلى أن يصل لاني مع الشريف بالمر.

شغل هذا الخيار باله لبرهة فقط. لا يبالي إذا قال عنه لاني وبالمر إنه جبان، لكنه لا يريد قول ذلك عن نفسه.

دخل المنزل، لا أحد ينتظر في المطبخ.

بلل ضوء النهار الخفيف النوافذ أكثر مما دخل غيرها. أشعل الأضواء بحذر فيما دخل عبر الباب.

لم يعثر على أحد في أي غرفة أو خزانة، واللافت أنه لم يلاحظ أي علامات اعتداء أيضاً.

عندما عاد إلى المطبخ، بدأ يتساءل إذا كان أخفق في إغلاق الباب وإقفاله عندما غادر المنزل في وقت باكر من النهار.

إلا أنه حذف هذا الاحتمال عندما وجد المفتاح الاحتياطي على رف المطبخ، قرب الهاتف. كان ملصقاً على قعر واحدة من عشرين علبة من طلاء الخشب الموضوعة على رف في المرأب.

استخدم بيلى المفتاح الاحتياطي قبل خمسة أو ستة أشهر، لا يحتمل أنه كان تحت المراقبة طوال كل هذه الفترة.

شكّ في وجود مفتاح، فرأى القاتل أن المرأب هو المكان الأكثر احتمالاً لتخبئته.

يحتل محترف بيلي المجهز مهنيًا ثلثي تلك المساحة، ويشتمل على العديد من الأدراج والخزانات والرفوف حيث يمكن إخفاء مثل هذا الغرض الصغير. لذا، فإن البحث عنه قد يستغرق ساعات.

إذا أراد القاتل، بعد زيارة المنزل، إعلان دخوله عبر ترك المفتاح الاحتياطي في المطبخ، يقول المنطق إنه وفر على نفسه عناء البحث ومشقته. وإلا، لماذا لم يكسر أحد الألواح الزجاجية الأربعة في الباب الخلفي؟

فيما احتار بيلي في هذه المسألة، أدرك فجأة أن المفتاح موضوع في المكان نفسه على رف الغرانيت الأسود حيث ترك أول رسالة تهديد من القاتل، لقد اختفت.

استدار دورة كاملة، ولم يرَ الورقة على الأرض ولا على رف آخر. فتح الأدراج القريبة، لكنها ليست في هذا أو ذاك أو ذاك... أدرك فجأة أن قاتل جيزيل وينسلو لم يكن هنا في النهاية. فالمتطفل هو لاني أولسن.

يعرف لاني مكان المفتاح الاحتياطي، حين سأل عن الورقة الأولى، بمثابة دليل، أخبره بيلي أنها موجودة هنا، في المطبخ. سأله لاني أيضاً أين يمكنه العثور عليه خلال ساعة، وما إذا كان ذاهباً مباشرة إلى المنزل أو إلى وايسبرينغ باينز.

طغى إحساس عميق بالريبة على بيلي، وبدأ الشك وعدم الارتياح يزعزعان ثقته.

إذا نوى لاني أساساً الهجاء إلى هنا وأخذ الورقة بمثابة دليل أساسي، ليس لاحقاً مع الشريف بالمر وإنما في الحال، كان يجدر به قول

ذلك. أوحى خيبة أمله أنه ليس في مزاج للخدمة وحماية الناس، أو حتى لدعم صديق، وإنما ركّز أساساً على إنقاذ نفسه.

لم يشأ يبلي تصديق ذلك، بحث عن أعذار للاني.

بعدما ابتعد ربما عن المشرب في سيارة الشرطة، قرر في النهاية أنه يجدر به امتلاك الورقتين قبل التحدث مع الشريف بالمر. وربما لم يشأ الاتصال بدار وايسبرينغ باينز لأنه يعرف مدى أهمية هذه الزيارات بالنسبة إلى يبلي.

لكن في تلك الحال، كان ليكتب شرحاً وجيزاً لتركة مكان رسالة القاتل حين أخذها.

إلا... إذا كانت نيته إتلاف الورقتين بدل الذهاب إلى بالمر، والادعاء لاحقاً أن يبلي لم يأت أبداً إليه قبل جريمة وينسلو، لأن هذه الورقة تكون دليلاً لدحضه.

لطالما بدا لاني أولسن رجلاً طيباً، غير نحال من العيوب، وإنما كان جيداً وعادلاً ومحترماً. لقد ضحى بأحلامه للبقاء قرب أمه المريضة طوال أعوام عدة.

وضع يبلي المفتاح الاحتياطي في جيب سرواله. لأنه لا ينوي لصقه مجدداً على كعب علبة في محترفه.

تساءل عن عدد التقارير السيئة الموجودة في ملف أداء لاني، وكم كان كسولاً بالضبط.

في المقابل، سمع يبلي إحباطاً كبيراً في صوت صديقه لم يسمعه عنده من قبل:

لم أرغب يوماً في هذه الحياة... لكن المشكلة هي... سواء أردتها أو لا، فإنها كل ما أملكه الآن. إنها كل ما لدي. أريد فرصة للاحتفاظ بها.

حتى أفضل الرجال يملكون نقطة ضعف، كان بيلى أقرب إلى نقطة ضعفه مما ظن بيلى.

ساعة الجدار أشارت إلى 8:09.

في أقل من أربع ساعات، بغض النظر عن الخيار الذي يتخذه بيلى، سيموت شخص، أراد إزاحة هذه المسؤولية عن كتفيه.

يفترض أن يتصل به لاني عند الساعة 8:30.

لا ينوي بيلى الانتظار، رفع السماعة عن هاتف الجدار، وطلب رقم الهاتف الخليوي الخاص بلاني.

بعد خمس رنات، جاء صوت البريد الصوتي: "هذا أنا بيلى. أنا في المنزل. ما الأمر؟ ماذا فعلت؟ اتصل بي الآن."

شعر بفطرته بعدم محاولة الاتصال بلاني في مكتب الشريف. سيرك أثراً قد تكون له عواقب لا يستطيع توقعها.

خيانة صديقه، إذا كانت هذه الحقيقة، جعلت بيلى يجري حسابات الرجل المذنب، بالرغم من أنه لم يرتكب أي ذنب.

من الطبيعي الشعور ببعض الألم والغضب، إلا أن الاستياء تعاضم بقوة داخله، وبسرعة كبيرة بحيث أحس بضيق في صدره ووجد صعوبة في الابتلاع.

إتلاف الورقتين والكذب بشأهما قد يحولان دون طرد لاني من الخدمة، لكن وضع بيلى سيصبح أسوأ، فمع الافتقاد إلى الأدلة، سيجد صعوبة أكبر في إقناع السلطات بأن قصته صحيحة وأنها قد تلقي الضوء على نفسية القاتل.

إذا ذهب الآن إلى الشرطة، قد يبدو مثل من يسعى وراء الشهرة أو مثل نادل بدد الكثير من بضاعته، أو مثل مشتبه به.

راودته تلك الفكرة، فوقف ساكناً لدقيقة، متأملاً، مشتبه به.

أصبح فمه جافاً، التصق لسانه بسقف حلقه.
ذهب إلى حوض غسل الصحون في المطبخ، وسكب كوباً من
الماء البارد من الصنبور. في البداية، بالكاد استطاع ابتلاع الماء، لكنه
شرب الكوب بعد ذلك في ثلاث رشقات طويلة
كان الماء بارداً جداً، شربه بسرعة كبيرة جداً، فسبب له ألماً حاداً
في صدره مع غثيان في أحشائه، وضع الكوب في حوض غسل
الصحون، انحنى فوقه إلى أن اختفى الانزعاج.
غسل وجهه الشاحب بالماء البارد، وغسل يديه بالماء الساخن.
مشى في المطبخ، جلس لبرهة أمام الطاولة، ثم مشى مجدداً في
المطبخ.

عند الساعة 8:30، وقف أمام الهاتف، وحدث إليه، بالرغم من أنه
يملك كل الأسباب للاعتقاد بأنه لن يرنّ.
عند الساعة 8:40، استخدم هاتفه الخليوي للاتصال برقم هاتف
لاني الخليوي، تاركاً هاتف المنزل مفتوحاً. سمع البريد الصوتي مجدداً.
كان المطبخ دافئاً جداً. شعر بالاختناق.
عند الساعة 8:45، خرج يبلي إلى المصطبة الخلفية، احتاج إلى
هواء منعش.

ترك الباب مفتوحاً خلفه، بحيث يستطيع سماع الهاتف إذا رنّ.
كانت السماء كحلية اللون في الشرق، فيما ارتعشت فوقه وإلى
الغرب القليل من الذبذبات القزحية للغروب اليرتقالي والأخضر.
الغابات المحيطة المظلمة أصلاً، أصبحت أكثر ظلاماً. إذا اتخذ
مراقب عدائي موقفاً له في تلك الأشجار، جالساً القرفصاء بين الخنشار
والنباتات، لن يعرف أحد بوجوده هناك إلا كلب صاحب حاسة
شم قوية.

بدأت مئات الضفادع، وكلها غير مرئية، تصدر أصواتاً في العتمة، لكن الصمت المطبق ساد في المطبخ، وراء الباب المفتوح. احتاج لاني ربما إلى المزيد من الوقت الإضافي للعثور على طريقة لتحريف الحقيقة.

لا شك في أنه يهتم لشيء أكثر من نفسه، لا يمكن أن يتحول بهذه الشمولية، وبهذه السرعة، إلى الأنانية المطلقة. لا يزال شرطياً، سواء أكان كسولاً أو لا، يائساً أو لا. سيدرك عاجلاً وليس آجلاً أنه لا يستطيع الاستمرار هكذا إذا كانت عرقلته للتحقيق ستسهم في المزيد من الوفيات. اللون الكحلي الطاغي شرقاً أشبع السماء فوق رأسه، فيما بقي اللون في الغرب أحمر مثل النار والدم.

الفصل 9

عند الساعة 9:00، غادر بيلي المصطبة الخلفية، وعاد إلى الداخل. أغلق الباب خلفه وأقفله.

خلال ثلاث ساعات فقط، سيتقرر مصير، ويصدر أمر بوفاة، وإذا اتبع القاتل نمطاً، سيتم قتل شخص قبل الفجر.

كان مفتاح السيارة الرباعية الدفع على طاولة الطعام. رفعه بيلي. فكّر في الخروج بحثاً عن لاني أولسن. ما ظن أنه استياء، قبلاً، كان غضباً حقيقياً، شعر الآن باستياء حقيقي، وباكتئاب كبير ومرير، بالكاد أراد المواجهة.

أحمني من العدو الذي يملك شيئاً لكسبه، ومن الصديق الذي يملك شيئاً لخسارته.

عمل لاني خلال النهار، إنه خارج الدوام الآن. سيكون على الأرجح موجوداً في منزله. إذا لم يكن في المنزل، هناك فقط عدد ضئيل من المطاعم والمشارب ومنازل الأصدقاء التي قد يتواجد فيها.

ثمة حسّ بالمسؤولية ونوع غريب من الأمل أبقيا بيلي سجين مطبخه، قرب هاتفه، لم يعد يتوقع اتصال لاني، لكن القاتل قد يتصل.

المستمع الصامت على الخط في الليلة الفاتنة كان قاتل جيزيل وينسلو. لا يملك بيلي دليلاً، ولا أي شك أيضاً.

قد يتصل هذه الليلة أيضاً، إذا استطاع بيلي التحدث إليه، قد يحصل شيء ما، يتم تعلم شيء ما.

لم يتوهم ببلي أبداً أن الوحش قد يتحول إلى كائن وديع، وأنه يمكن التغلب على مهووس بالقتل، أو إقناعه بإنقاذ حياة. لكن سماع الرجل يتحدث بضع كلمات قد يكون مفيداً. بالفعل، يمكن استنتاج العرق، والدين، والتربية، والعمر التقريبي، والمزيد بمجرد سماع الصوت.

إذا حالفه الحظ، قد يكشف القاتل أيضاً عن غير قصد عن حقيقة مهمة بشأنه. يمكن لتلميح واحد، لجزء صغير من المعلومات تجلى بفعل التحليل الجيد أن يمنح ببلي شيئاً موثقاً لأخذه إلى الشرطة. قد تكون مواجهة لاني أولسن مرضية عاطفياً، لكنها لن تخرج ببلي من الورطة التي وضعه فيها القاتل.

علّق مفتاح سيارته الرباعية الدفع على لوحة خشبية. مساء البارحة، وفي لحظة عصبية، أسدل الستائر فوق كل النوافذ، هذا الصباح، قبل الفطور، رفع فقط ستائر المطبخ. عاد الآن، وأسدها مجدداً.

وقف وسط المطبخ. ألقى نظرة على الهاتف. أراد الجلوس أمام الطاولة، فوضع يده اليمنى على متن كرسي لكنه لم يحركه. وقف هناك، متأملاً أرضية الغرانيت السوداء اللامعة تحت قدميه.

يبقي منزله نظيفاً دوماً، الغرانيت لامع ونخال من البقع. بدا وكأن السواد تحت عينيه لا يملك مادة، كما كان واقفاً في الهواء، عالياً في الليل، مع خمسة أميال من الجو المتائب تحته، من دون أجنحة.

سحب الكرسي من تحت الطاولة، جلس، مرّت أقل من دقيقة قبل أن يقف على قدميه.

في هذه الظروف، لا يملك بيلي فكرة عن كيفية التصرف، عما يجب فعله. المهمة البسيطة لتمرير الوقت تغلبت عليه، بالرغم من أنه لم يفعل شيئاً آخر طوال أعوام.

بما أنه لم يتناول العشاء، ذهب إلى البراد، لا يملك شهية، لم يرق له أي شيء موجود على تلك الرفوف الباردة.

ألقي نظرة على مفتاح سيارته المعلق على اللوحة الخشبية. ذهب إلى الهاتف، ووقف يحدّق إليه.

جلس أمام الطاولة.

علمنا أن نهم ولا نهم. علمنا أن نجلس بسكون.

بعد برهة، ذهب إلى غرفة الجلوس، حيث يمضي ليالٍ عدة وهو ينحت زخرفات هندسية على طاولة في الزاوية.

أحضر مجموعة من الأدوات وكتلة من خشب السنديان الأبيض التي حفر فيها فقط نصف مجموعة من الأوراق الشائكة. عاد معها إلى المطبخ.

ثمّة هاتف في غرفة الجلوس، لكن بيلي فضل المطبخ هذا المساء. ثمّة أريكة مريحة أيضاً في غرفة الجلوس، قلق أن يميل إلى الاستلقاء عليها ويغلد إلى النوم ولا يوقظه اتصال القاتل، أو أي شيء.

سواء أكان هذا القلق واقعياً أم لا، جلس أمام طاولة المطبخ مع كتلة الخشب والأدوات.

من دون ملزمة النحت، يستطيع العمل فقط على التفاصيل الدقيقة في الأوراق، وهذا عمل يتطلب إتقاناً وبراعة. أصدرت الشفرة صوت كشط فارغ من السنديان، كما لو أنه عظم وليس خشباً.

عند العاشرة وعشر دقائق، قبل أقل من ساعتين على الموعد النهائي المحدد، قرر فجأة أن يذهب إلى الشريف.

ليس منزله في أي منطقة. يملك الشريف صلاحية هنا. يقع المشرب في فينيارد هيلز، لكن القرية صغيرة جداً لتملك قوتها الخاصة من الشرطة. لذا، يعتبر الشريف بالمر مسؤولاً عن القانون هناك أيضاً. أخذ بيلي المفتاح عن اللوحة الخشبية، وفتح الباب، وخرج إلى المصطبة الخلفية، ثم توقف.

إذا ذهبت إلى الشرطة، سأقتل أمّاً شابة لطفلين.

لا يريد الاختيار. لا يريد أن يموت أي كان.

في كل مقاطعة نابا، قد تكون هناك عشرات الأمهات الشابات مع طفلين، ربما مئة، مع مئتين، أو أكثر.

حتى خلال خمس ساعات، لا يمكن التعرف إليهن جميعاً وإنذارهن. لا بد من استعمال الإعلام لإنذار الناس، وقد يستغرق ذلك أياماً.

الآن، مع أقل من ساعتين، لا يمكن فعل أي شيء مهم، قد تستغرق الشرطة وقتاً أطول في استجواب بيلي.

الأم الشابة، التي انتقاها القاتل قبلاً بلا شك، سيتم قتلها.

ماذا لو استيقظ الولدان؟ قد تتم تصفيتهما لأنهما شاهدان.

لم يعد الرجل المجنون بقتل الأم فقط.

في هواء الليل الرطب، فاحت رائحة عطرة من الطبقات الغنية لثمار البلوط على أرض الغابة وانتقلت من الأشجار إلى المصطبة.

عاد بيلي إلى المطبخ وأغلق الباب.

لاحقاً، وحز إهامه وهو ينحت تفاصيل الورقة، لم يحضر ضمادة،

مكان الوخز صغير، سيختم بسرعة.

حين جرح مفصل إصبعه، بقي منهمكاً كثيراً في النحت بحيث لم يزعج نفسه للاهتمام بالجرح. عمل بصورة أسرع، ولم ينتبه حين تعرض لجرح ثالث.

بالنسبة إلى مراقب، لو كان هناك واحد، لأمكن القول إن يبلي أراد النزف.

ولأن يديه بقيتا مشغولتين، استمرت الجروح في النزف. تبلل الخشب بالدم.

مع الوقت، أدرك أن لون السنديان تبدل تماماً، وضع المنحوتة جانباً وكذلك الشفرة.

جلس لبرهة، محققاً إلى يديه، متنفساً بصعوبة من دون سبب، مع الوقت، توقف النزف ولم يبدأ مجدداً حين غسل يديه فوق حوض غسل الصحون.

عند الساعة 11:45، بعدما جفف يديه بفوطة مطبخ، أحضر قنينة شراب شعير باردة، وشرها مباشرة من القنينة، أنهاها بسرعة كبيرة.

بعد خمس دقائق من القنينة الأولى، فتح قنينة ثانية، سكبها في كأس لتشجيع نفسه على ارتشافها وإطالة الوقت في شرها.

وقف مع شراب الشعير أمام ساعة الجدار.

الحادية عشرة وخمسون دقيقة، العد العكسي.

بقدر ما أراد يبلي الكذب على نفسه، لم يستطع الضحك على نفسه، لقد اتخذ خياراً، لا بأس، الخيار خيارك. حتى عدم التصرف هو خيار.

الأم الشابة لطفلين لن تموت الليلة. إذا وفي القاتل المهووس بوعده، ستنام الأم الليلة، وتشهد على انبلاج الفجر.

أصبح يبلي جزءاً من ذلك الآن، يستطيع الإنكار، يستطيع الهروب، يستطيع ترك ستائر نوافذه مسدلة لبقية حياته وتجاوز الخط الفاصل بين الانعزال والتنسك، لكنه لا يستطيع الهروب من الحقيقة الأساسية التي تقول إنه جزء من ذلك.

لقد عرض عليه القاتل شراكة، لا يريد أي شيء منها، لكن تبين الآن أنها مثل واحدة من صفقات العمل، واحدة من عروض السمسة العدائية التي يقول عنها الكتاب في الصفحات الاقتصادية إنها استيلاء عدائي. أنهى القنينة الثانية فيما أشارت الساعة إلى منتصف الليل. أراد قنينة ثالثة، ورابعة.

قال لنفسه إنه يحتاج إلى إبقاء رأسه صافياً. سأل نفسه عن السبب، ولم يعثر على جواب منطقي. لقد انتهت حصته من العمل الليلة، لقد اتخذ الخيار، سينجز المهووس عمله.

لن يحصل شيء إضافي الليلة، سوى أنه لولا شراب الشعير، لما استطاع يبلي النوم، قد يجد نفسه ينحت مجدداً. آلمته يده، ليس من الجروح الثلاثة البسيطة. وإنما من إمساك الأدوات بإحكام كبير، من إمساك كتلة السنديان بقبضة مميته. من دون نوم، لن يكون مستعداً لليوم التالي. ستأتي في الصباح أخبار جثة أخرى، سيعرف من تم اختياره للموت.

وضع يبلي كأسه في حوض غسل الصحون، لم يعد بحاجة إلى الكأس لأنه لم يعد يهتم لإطالة أمد شرب شراب الشعير، كل قنينة بمثابة لكمة، ولا يريد شيئاً أكثر من لكم نفسه.

أخذ قنينة ثالثة إلى غرفة الجلوس، وجلس على الكرسي الهزاز، شرب في الظلمة.

قد يكون التعب النفسي منهكاً بقدر الإرهاق الجسدي، اختفت منه كل القوة.

عند الساعة 1:44، أيقظه الهاتف، هُض بسرعة عن الكرسي كما لو أن صاروخاً قذفه، فتدحرجت قنينة شراب الشعير الفارغة على الأرض.

أمّل في سماع صوت لاني، فرفع السماعة عن هاتف المطبخ بعد الرنة الرابعة، لم تصدر كلمة "ألو" عن أي جواب. إنه المستمع، المهووس.

عرف بيلى من التجربة أن استراتيجية الصمت لن توصله إلى أي مكان. "ماذا تريد مني؟ لماذا أنا؟". لم يجب المتصل.

قال بيلى "لن أَلعب لعبتك". لكن هذا هراء لأنهما عرفا كلاهما أنه لعب أصلاً للعبة.

كان سيسرّ لو أن القاتل أجاب حتى بضحكة سخرية خفيفة، لكنه لم يحصل على شيء.

"أنت مقرف، أنت منحرف". وعندما لم يحصل على جواب، أضاف بيلى: "أنت حثالة بشرية".

ظن أنه بدا ضعيفاً وغير فعّال، وفي الزمن الذي يعيش فيه، ليست الإهانات مؤذية أبداً. ثم فرقة روك موسيقية تطلق على نفسها اسم مقرفة ومنحرفة ولا شك في أنه توجد فرقة أخرى اسمها حثالة بشرية.

لم يكثر المهووس، أقفل الخط. أقفل بيلى الخط، وأدرك أن يديه ترتجفان، كانت راحتا يديه رطبتين أيضاً، فحففهما بقميصه.

صعقته فكرة كان يجب أن تخطر له في المرة الأولى التي اتصل فيها
القاتل به الليلة الماضية. عاد إلى الهاتف، ورفع السماعة، وأصغى إلى
صوت الخط لبرهة، ثم ضغط على *69، لمعاودة الاتصال تلقائياً.
في الطرف الآخر من الخط، رنّ الهاتف ورنّ ورنّ، ولكن أحداً لم
يجب.

إلا أن الرقم على الشاشة الرقمية في هاتف بيلى كان مألوفاً
بالنسبة إليه؛ إنه رقم لاني.

الفصل 10

بدت دار العبادة جميلة تحت ضوء النجوم مع أشجار السنديان، وانتصبت قرب الطريق السريع الرئيسي، على مسافة ربع ميل تقريباً من المنعطف المؤدي إلى منزل لاني أولسن.

توجه بيلى إلى الزاوية الجنوبية الغربية من مرأب السيارات، تحت شجرة سنديان كبيرة عملاقة، أطفأ أنوار سيارته، وأوقف المحرك عن العمل.

ارتفعت جدران من الجص الأبيض الطباشوري مع دعامات زخرفية وصولاً إلى السقوف القرميدية البرتقالية، في الزاوية، ثمة تمثال. يحمل بيلى مسدساً طبعاً.

بالرغم من أنه سلاح قديم، وليس واحداً حديثاً، لا يزال صالحاً للاستعمال، نظفه وحفظه كما يجب.

خبأ مع المسدس علبة من رصاصات من عيار 0.38 ملم لا توجد علامات تأكل عليها.

عندما أخرج السلاح من علبته، شعر أنه أثقل مما يذكره. والآن، فيما رفعه عن مقعد الراكب قرب السائق، شعر أنه ثقيل أيضاً.

هذا المسدس تحديداً من ماركة سميث وويسون، وزنه ستة وثلاثون أونصة فقط، لكن الوزن الإضافي الذي شعر به هو تاريخه.

خرج من سيارة الإكسبلورر، وأقفل الأبواب.

مسرّت سيارة على الطريق السريع، بقي طيف المصاييح الأمامية على مسافة ثلاثين يارداً على الأقل من بيلى.

منزل رجل الدين في الجهة الأخرى من دار العبادة. حتى لو
كان رجل الدين مصاباً بالأرق، لن يسمع سيارة يبلي.
مشى يبلي تحت السندبانة، وخرج من تحت ظلها ووصل إلى
مرج. ارتفع العشب البري إلى ركبته.

في الربيع، تنتشر صفوف من الخشخاش في هذا الحقل المنحني،
وتكون حمراء-برتقالية مثل الحمم البركانية. إنها يابسة الآن، وغير
موجودة.

توقف ليجعل عينيه تعتادان على الظلمة التامة المفتقدة إلى ضوء
القمر.

أصغى من دون أي حركة، الهواء ساكن، لم تتحرك أي سيارة
على الطريق السريع البعيد، وجوده أسكت الصراخ والضفادع،
استطاع تقريباً سماع النجوم.

واثقاً من رؤيته المتكيفة مع الظلمة ولكن غير واثق من أي شيء
آخر، مشى في المرج المرتفع قليلاً، المنحني نحو الطريق متشقق الزفت
المؤدي إلى منزل لاني أولسن.

قلق بشأن الأفاعي، ففي ليالي الصيف الدافئة مثل هذه الليلة،
تصطاد الأفاعي فئران الحقول والأرانب الصغيرة. وصل إلى طريق
الزفت من دون أن تلدغه أفعى، واستدار صعوداً، متجاوزاً منزلين
مظلمين وصامتين.

في المنزل الثاني، ركض كلب طليق في الفناء المسيح، لم ينبح، وإنما
تحرك جيئةً وذهاباً على طول الأوتاد المرتفعة، محاولاً لفت انتباه يبلي.

يقع منزل لاني على بعد مسافة ثلاث ميل من المنزل الذي فيه
الكلب، عند كل نافذة، أشعل ضوء من نوع أو آخر الزجاج أو
زخرف الستائر.

في الفناء، ربض بيلى قرب شجرة خوخ. استطاع رؤية الواجهة الغربية للمنزل، التي كانت الواجهة الأمامية، والجناح الشمالي. ثمة احتمال أن تكون هذه المسألة كلها مجرد خدعة وأن يكون لاني الخادع.

لم يتأكد بيلى فعلياً من أنه تم قتل معلمة مدرسة شقراء في مدينة نابا، لقد صدق ما قاله لاني.

لم يرَ تقريراً عن الجريمة في الصحيفة، يفترض أنه تم اكتشاف جريمة القتل في وقت متأخر من النهار ل يتم ذكر المسألة في الإصدار الحديث، بالإضافة إلى ذلك، نادراً ما يقرأ الصحيفة.

كما أنه لا يشاهد التلفاز أبداً. يستمع بين الحين والآخر إلى نشرات الطقس على الراديو، خلال القيادة، لكنه يعتمد خصوصاً على مشغل أقراص موسيقية يصدح بموسيقى زيديكو أو بألحان غربية.

من المتوقع أن يكون رسام الصور المتحركة محتالاً أيضاً، لقد تم قمع الجانب المضحك عند لاني لوقت طويل، بحيث تحول هذا الجانب إلى خيط رفيع، إنه يوفر صحبة جيدة، لكنه ليس مشبعاً بالضحك.

لا ينوي بيلى المراهنة بحياته - أو بأي شيء - لأن لاني خدعه. تذكر كم كان صديقه متعرقاً وقلقاً وحزيناً في مرأب سيارات المشرب، الليلة الماضية، برأي لاني، ما رآه هو الحقيقة، لو أراد أن يكون ممثلاً بدل رسام صور متحركة، ولو لم تصب أمه بمرض السرطان، لكان انتهى أيضاً كشرطي مع ملف أداء مليء بالمشاكل.

بعد تأمل المكان، والتأكد من عدم قيام أحد بمراقبته من نافذة، عبر بيلى المرح، ومرّ أمام المصطبة الأمامية، وألقى نظرة على الواجهة الجنوبية للمنزل. هناك أيضاً، توهج ضوء خفيف من كل نافذة.

انتقل إلى الجهة الخلفية، وبقي على مسافة، ورأى أن الباب الخلفي مفتوح، انبسط شعاع من الضوء مثل سجادة على أرض المصطبة الداكنة، مرحباً بالزوار عند عتبة المطبخ.

أوحت مثل هذه الدعوة الجريئة بفخ.

توقع يبلي العثور على لاني أولسن ميتاً في الداخل.

إذا لم تذهب إلى الشرطة وتورطها، سأقتل رجلاً غير متزوج لن يشتاق إليه العالم كثيراً.

لن يحضر دفن لاني ألف شخص، ولا حتى ربما مئات الأشخاص، بالرغم من أن بعض الأشخاص سيشتاقون إليه، ليس العالم، ولكن بعض الناس.

عندما اتخذ يبلي خياره بإنقاذ أم الطفلين، لم يدرك أنه حكم على لاني. لو عرف، لاتخذ ربما خياراً مختلفاً، اختيار موت صديق سيكون أصعب من اختيار موت شخص غريب مجهول، حتى لو كان هذا الغريب أمّاً لطفلين.

لا يريد التفكير في ذلك.

قراءة نهاية الفناء الخلفي، ثم جذع سديانة تم قطعها قبل زمن طويل. عرضه أربع أقدام وارتفاعه قدمان.

في الجهة الشرقية من الجذع، ثم فجوة تالفة نتيجة الطقس والعفن، تم وضع كيس بلاستيكي داخل الفجوة، يحتوي هذا الكيس على مفتاح احتياطي للمنزل.

بعدما سحب المفتاح، انتقل يبلي بحذر إلى الجهة الأمامية للمنزل، عاد للاختباء تحت شجرة الخوخ.

لم يطفأ أحد أي أنوار، لا يمكن رؤية أي وجه وراء أي نافذة، ولم تتحرك أي من الستائر بطريقة مشبوهة.

ثمة جزء منه أراد الاتصال بالرقم 911، وطلب المساعدة بسرعة إلى هنا، وسرد القصة. لكنه شك في أن يكون هذا التصرف متهوراً. لم يفهم قواعد هذه اللعبة الغريبة ولا يعرف كيف يحدد القاتل الفوز، يجد المهووس متعة ربما في توريث نادل بريء في كلتا الجزيمتين. نجح بيلى من أن يكون مشتبهاً به ذات مرة، لقد أثرت فيه التجربة بعمق.

سيقاوم التعرض للتجربة نفسها مجدداً. لقد خسر الكثير من نفسه في المرة الأولى. ابتعد عن شجرة الخوخ، صعد بهدوء درجات المصطبة الأمامية، وذهب مباشرة إلى الباب. برم المفتاح، لم يطقق الباب، ولم تصدر المفصلات أصوات صرير، فتح الباب بصمت.

الفصل 11

لهذا المنزل الفيكتوري ردهة فيكتورية مع أرضية خشبية داكنة، ويقود ممر مرصوف بألواح خشبية نحو الجهة الخلفية للمنزل، فيما تؤدي سلام إلى الأعلى.

على أحد الجدران، تم لصق ورقة ثمانية بعشرة رُسمت عليها يد. بدت مثل يد ميكى ماوس: إبهام ممتلى، ثلاثة أصابع، وبرمة معصم توحى بقفاز.

ثمة إصبعان مطويان على راحة اليد. الإبهام والسبابة على شكل مسدس يشير إلى السلام.

حسناً، فهم يبلي الرسالة، لكنه قرر تجاهلها في الوقت الحاضر.

ترك الباب الأمامي مفتوحاً في حال احتاج إلى الهروب بسرعة.

أمسك بالسدس بحيث كان موجهاً إلى السقف، ومشى تحت القناطر إلى يسار الردهة. بدت غرفة الجلوس مثلما كانت عندما كانت السيدة أولسن على قيد الحياة، قبل عشرة أعوام، لا يستخدمها لاني كثيراً.

يصح الشيء نفسه على غرفة الطعام، يتناول لاني معظم وجباته في المطبخ أو في غرفة الجلوس خلال مشاهدة التلفاز.

في الممر، ثمة يد أخرى من الكرتون، ملصقة على الجدار، تشير إلى الردهة والسلام، في الاتجاه المعاكس للذي يسلكه.

بالرغم من أن التلفاز كان مطفأً في غرفة الجلوس، احترقت اللهب في المسوقد العامل بالغاز، وفي مهد من الرماد الزائف، تالأت الجمرات الزائفة كما لو أنها حقيقية.

على طاولة المطبخ، هناك قنينة، وقنينة بلاستيكية كبيرة من الكوكا كولا، ودلو ثلج. على طبق قرب قنينة الكوكا، لمعت سكين صغيرة ذات شفرة متعرجة وحة ليمون حامض تم قطع بضع شرائح منها.

قرب الطبق، ثمة كأس طويلة متعرجة مليئة حتى النصف بمشروب داكن، طففت شريحة من الليمون الحامض على سطح الكأس وبضع رقايات من الثلج الذائب.

بعد سرقة ورقة القاتل الأولى من مطبخ بيبي وإتلافها مع الثانية لإنقاذ وظيفته وأمله في معاش تقاعد، حاول لاني التخفيف عن ذنبه بسلسلة من كؤوس الكولا والمشروب.

إذا كانت قنينة الكوكا كولا وقنينة الباكاردى ممتلئتين حين جلس أمام الطاولة، يعني ذلك أنه وصل إلى مرحلة متقدمة من الثمالة كافية لتشويش الذاكرة وتخدير الضمير حتى الصباح.

كان باب خزانة المؤونة مغلقاً، بالرغم من شك بيبي في أن يكون القاتل مختبئاً هناك بين المعلبات، لم يرتح لفكرة تجاهل المسألة إلى أن يتحقق.

وضع ذراعه اليمنى قرب جانبه، ووجه مسدسه أمامه، برم المقبض بسرعة، وفتح الباب بيده اليسرى. لا يوجد أحد في خزانة المؤونة.

من دُرج في المطبخ، أخرج بيبي فوطة نظيفة، بعدما مسح المقبض المعدني للدُرج ومقبض باب خزانة المؤونة، أقحم طرفاً من الفوطة تحت حزامه وتركها تتدلى على جانبه كما يفعل النادل.

على رف قرب الفرن، كانت محفظة لاني، ومفاتيح السيارة، ونقود معدنية، وهاتف خلوي، كان هناك أيضاً مسدس الخدمة خاصته عيار 9 ملم مع قراب ويلسون كومبات الذي يحمله فيه.

رفع بيلي الهاتف الخليوي، وأداره، وطلب البريد الصوتي، الرسالة الوحيدة المحبأة في الذاكرة كانت تلك التي تركها بنفسه للاني في وقت سابق من المساء.

"هذا أنا بيلي. أنا في المنزل. ما الأمر؟ ماذا فعلت؟ اتصل بي الآن".

بعد الاستماع إلى صوته، حذف الرسالة. هذا خطأ ربما، لكنه لم يرَ أي طريقة يمكن أن تثبت براءته، على العكس، ستثبت الرسالة أنه كان يتوقع رؤية لاني خلال المساء وأنه كان غاضباً منه.

وسيجعله ذلك مشتبهاً به.

فكر في البريد الصوتي خلال توجهه إلى مرأب سيارات دار العبادة وخلال المشي في المرج. بدا له أن حذف الرسالة الصوتية هو أفضل طريقة إذا وجد ما كان يتوقعه في الطابق الثاني.

أقفل الهاتف الخليوي واستخدم فوطة المطبخ لمسح البصمات، أعاده إلى الرف حيث وجده.

إذا كان أحد يراقبه، سيظن أن بيلي هادئ وبارد. لكنه في الحقيقة نصف مشبع بالخوف والقلق.

قد يظن المراقب أيضاً أن بيلي، نسبة إلى انتباهه الدقيق للتفاصيل، قام بتغطية جرائمه قبلاً. ليست هذه حقيقة، لكن التجربة القوية شحذت خياله وعلمته مخاطر الأدلة الظرفية.

قبل ساعة واحدة، عند 1:44، اتصل القاتل ببيلي من هذا المنزل. تملك شركة الهاتف سجلاً لهذا الاتصال الوجيز.

ستظن الشرطة ربما أن هذا يثبت عدم وجود بيلي هنا خلال حصول الجريمة.

ستظن الشرطة على الأرجح أن يبلي نفسه طلب من شريك له في الجريمة الاتصال بالمنزل في محاولة لتأكيد تواجده في مكان آخر لحظة وقوع الجريمة.

يشك رجال الشرط دوماً في الأسوأ. علمتهم تجربتهم فعل ذلك.

في الوقت الحاضر، لم يستطع التفكير في أي شيء يمكن فعله في سجلات شركات الهاتف، أخرج المسألة من رأسه.

ثمة أمور أكثر إلحاحاً تستلزم انتباهه، مثل العثور على الجثة، إذا كانت موجودة.

لا يظن أنه يجدر به تبديد الوقت في البحث عن ورقتيّ القاتل، إذا كانتا لا تزالان على حالهما، سيجهدهما على الأرجح على الطاولة حيث كان يشرب لاني أو علسي رف المطبخ مع المحفظة والنقود المعدنية والهاتف الخليوي.

الذهب في موقد غرفة الجلوس، وفي هذه الليلة الصيفية الدافئة، يقود إلى استنتاج منطقي بشأن الورقتين.

على جانب خزانة مطبخ، تم لصق يد كرتونية تشير إلى الباب المتأرجح وإلى السلم المؤدية إلى الأسفل.

في النهاية، أراد يبلي سلوك هذا الاتجاه لكن خوفاً كبيراً حمده.

إن امتلاك سلاح والرغبة في استعماله لم يعطياه الشجاعة الكافية للمضي قدماً، لم يتوقع مصادفة القاتل، بطريقة ما، سيكون القاتل مرعباً أقل مما يتوقعه.

أغرته قنينة شراب، لم يشعر بتأثير قناني شراب الشعير الثلاث، كان قلبه يخفق بقوة منذ أكثر من ساعة، ويتسابق أبيضه بسرعة.

بالنسبة إلى رجل لا يحتسي الشراب كثيراً، توجب عليه أخيراً
تذكير نفسه بهذه الحقيقة مراراً ما يوحي أن سكيراً يعيش داخله، يتوق
إلى الحرية.

شجاعة المضي قدماً نجحت عن خوف من الإخفاق بالمضي قدماً
ومن إدراك حاد بعواقب تسليم هذه الحقائق إلى القاتل.

ترك المطبخ، ومشى في الممر المؤدي إلى الردهة. على الأقل،
ليست السلاالم مظلمة. ثمة ضوء هناك في الأسفل، عند منبسط الدرج،
وفي الأعلى.

صعد ولم يزعج نفسه بمناداة اسم لاني، عرف أنه لن يتلقى أي
جواب، وشك في أن يصدر صوته منه على كل حال.

الفصل 12

في الطابق العلوي، هناك ثلاث غرف نوم، وحمام وخزانة. أربعة أبواب من الخمسة كانت مغلقة.

على جانبي المدخل المؤدي إلى غرفة النوم الرئيسية، ثمة أيدٍ كرتونية تشير إلى ذلك الباب المفتوح.

رافضاً الانسياق، مفكراً في الحيوانات التي يتم سوقها إلى المذبح، غادر بيلى غرفة النوم الرئيسية أخيراً. تحقق أولاً من الحمام في الممر. وبعدها من الخزانة وغرفتي النوم الآخرين اللتين يضع لاني في واحدة منهما طاولة رسم.

باستخدام فوطة المطبخ، مسح كل مقابض الأبواب بعد لمسها. لم يبقَ إلا مكان واحد لتفتيشه، فوقف في الممر، مصغياً، لا صوت على الإطلاق.

ثمة شيء علق في حنجرته، ولم يستطع ابتلاعه، لا يستطيع ابتلاعه لأنه ليس حقيقياً أكثر من الجليد المنزلق في ظهره.

دخل إلى غرفة النوم الرئيسية حيث توهج مصباحان. ورق الجدران المطبوع بالورود الذي اختارته والدة لاني لم تتم إزالته بعد وفاتها، ولا حتى بعد أعوام قليلة، عندما انتقل لاني من غرفته القديمة إلى هذه الغرفة. أدى الزمن إلى جعل الخلفية داكنة بظّلٍ شبيه ببقعة الشاي الفاتحة.

غطاء السرير كان أحد الأغذية المفضلة عند بيرل أولسن: لونه الإجمالي وردي، مع أزهار مطرزة على الحواف.

خلال مرض السيدة أولسن، وبعد جلسات العلاج الكيميائي، وبعد علاجات الأشعة المنهكة، جلس معها بيلى في هذه الغرفة. في بعض الأحيان، اكتفى بالتحدث إليها أو مراقبتها وهي تنام، وفي أغلب الأحيان، قرأ لها.

أحبت قصص المغامرات المتفاخرة المتهورة، قصصاً تم إعدادها خلال الراج في الهند، قصصاً مع فتيات جايشا وساموراي وأمراء حرب صينيين وقراصنة كاربيين.

لقد رحلت بيرل، وكذلك الآن لاني، مرتدياً بذلته الرسمية، جلس في كرسي ذي ذراعين، وأنزل ساقيه على مُتْكَأ، لكنه رحل إلى العالم الآخر.

تعرض لرصاصة في الجبين.

لا يريد بيلى رؤية هذا، خشي أن تبقى هذه الصورة في ذاكرته، أراد المغادرة.

إلا أن الركض ليس خياراً، لم يكن يوماً خياراً، لا قبل عشرين عاماً ولا الآن، ولا في أي وقت بينهما، إذا ركض، ستم مطاردته وتدميره.

الصيد مستمر، ولأسباب لا يفهمها، لا يزال هو الفريسة الأساسية، سرعة الهروب لن تنقذه، فالسرعة لم تنقذ الثعلب أبداً، للهروب من الصيادين، يحتاج الثعلب إلى الدهاء وحسّ المخاطرة، لا يشعر بيلى أنه ثعلب، بل يشعر أنه أرنب، لكنه لن يركض مثله.

قلة الدم على وجه لاني، وقلة النزف من الجرح توحيان بأمرين: أن الموت كان فورياً وأن الجهة الخلفية من جمجمته انفجرت.

ما من بقع دم أو فتات دماغ تلتطخ ورق الجدران وراء الكرسي، لم يتم قتل لاني فيما كان جالساً هناك، ولم يتم قتله في أي مكان في هذه الغرفة.

عما أن يبلي لم يعثر على الدم في مكان آخر في المنزل، افترض أن القتل حصل خارجاً.

نهض لاني ربما عن طاولة المطبخ، بعدما انتهى من شرب الكولا والمشراب، وكان نصف ثمل أو ثملاً، فاحتاج إلى الهواء المنعش وخرج من المنزل، أدرك ربما أن هدفه لن يكون نظيفاً كفاية للحمام، ولذلك ذهب إلى الفناء الخلفي للتخفيف عن نفسه. لا بد أن القاتل استخدم كيساً بلاستيكياً أو شيئاً ما لنقل الجثة عبر المنزل من دون إحداث فوضى.

حتى لو كان القاتل قوياً، فإن نقل الرجل الميت من الفناء الخلفي إلى غرفة النوم الرئيسية، مع وجود السلام، هو مهمة صعبة. صعبة وغير ضرورية على ما يبدو.

لكن لفعل ذلك، لا بد أن القاتل يملك سبباً مهماً. كانت عينا لاني مفتوحتين، هما عينان ناتنتان قليلاً في محجريهما، العين اليسرى كانت منحرفة، كما لو أنه أراد إلقاء نظرة على الحياة. ضغط، في اللحظة التي دخلت فيها الرصاصة إلى الدماغ، ارتفع الضغط داخل الجمجمة قبل أن ينفجر.

ثمة رواية صغيرة موضوعة في حضن لاني، نسخة أصغر وأرخص من الإصدار المرتب للعنوان نفسه المتوافر في المكتبات، هناك مئتا كتاب مماثل على الأقل على أحد الرفوف في غرفة النوم.

استطاع يبلي رؤية العنوان، واسم المؤلف، وصورة الغلاف الخارجي، تتحدث الرواية عن بحث عن كنز وحب حقيقي في جنوب المحيط الهادئ.

قبل زمن بعيد، قرأ هذه الرواية إلى بيرل أولسن. أحببتها، لكنها أحببت كل الروايات بعدها.

ارتاحت يد لاني اليمنى على الكتاب، بدا وكأنه حدد الصفحة التي وصل إليها بصورة فوتوغرافية، فتأ جزء صغير منها بين الصفحات. لقد رتب المهووس النفسي كل ذلك. أراضاه المشهد وكشف عن معنى عاطفي له، أو أنه رسالة - ترهيب، تخويف. قبل العبث في المشهد، تأمله بيلى. ما من شيء فيه يبدو مكرهاً أو ذكياً، ما من شيء فيه أثار القاتل كفاية لتحفيزه إلى بذل مثل هذا الجهد في ابتكاره.

نذب بيلى لاني، ولكن بشغف أكبر، كره فكرة أن لاني لم يحصل على وقار حتى في موته، لقد جرّه القاتل وحركه كما لو أنه عارضة بلاستيكية، دموية، كما لو أنه وجد فقط من أجل متعة القاتل وألأعيبه. لقد خان لاني بيلى، لكن هذا لم يعد مهماً، على حافة الظلمة، على حافة الفراغ، ثمّة عدد قليل من الإهانات الممكنة تذكرها. الأشياء الوحيدة التي تستحق التذكر هي لحظات الصداقة والضحك. إذا اختلفا في اليوم الأخير من حياة لاني، أصبحا في الفريق نفسه الآن، مع نفس العدو الوحيد.

ظن بيلى أنه سمع ضجيجاً في الردهة. من دون تردد، ممسكاً بالمسدس بكلتا يديه، ترك غرفة النوم الرئيسية، وخرج من الباب بسرعة، محرّكاً المسدس من اليسار إلى اليمين، باحثاً عن هدف. لا أحد. الحمام، الخزانة، وأبواب غرف النوم الأخرى كانت مغلقة، مثلما تركها.

لم يشعر بحاجة ملحة إلى تفتيش هذه الغرف مجدداً، لم يسمع ربما شيئاً سوى ضجيج عادي فيما احتج المنزل القدم على ثقل الوقت، لكنه لم يكن حتماً صوت باب يفتح أو يغلق.

مسح راحة يده اليسرى الرطبة بقميصه، ونقل المسدس إليها، ثم
جفف يده اليمنى، وأعاد المسدس إليها، وذهب إلى منبسط السلام.
من الطابق السفلي، من المصطبة وراء الباب الأمامي المفتوح، لم
يصدر أي شيء سوى صمت ليلة صيفية.

الفصل 13

فيما وقف أمام أعلى السلام، مصغياً، بدأ الألم يخفق في صدغيّ بيلي. أدرك أن أسنانه مطبقة على بعضها بإحكام أكبر من فكّي كماشة.

حاول الاسترخاء والتنفس عبر فمه. برم رأسه من جانب إلى آخر، محركاً العضلات المتصلبة في عنقه.

قد يكون التوتر مفيداً إذا استخدمته للبقاء مركزاً ويقظاً، الخوف قد يشلّ، لكنه يشحذ أيضاً غريزة البقاء. عاد إلى غرفة النوم الرئيسية.

اقترب من الباب، وظن فجأة أن الجثة والكتاب اختفيا. إلا أن لاني لا يزال جالساً على الكرسي.

أخذ بيلي منديلين ورقيين من علبة المناديل الموضوعة على منضدة ليلية. استخدمهما بمثابة قفاز ارتجالي وأبعد يد الرجل الميت عن الكتاب. ترك الكتاب في حوض الجثة، وفتحته على الصفحة التي وضعت فيها الصورة الفوتوغرافية.

توقع رؤية عبارات أو فقرات محددة بطريقة معينة: رسالة إضافية، إلا أن النص كان على حاله.

استخدم المنديلين الورقيين لرفع الصورة الفوتوغرافية فتبين أنها صورة لامرأة.

كانت شابة جميلة وأنيقة، ما من شيء في الصورة يوحي بمهنتها، لكن بيلي عرف أنها كانت مدرّسة.

لا بد أن قاتلها عشر على هذه الصورة في منزلها، في نابا. قبل أو بعد العثور عليها، قضى بوحشية على جمالها.

لا شك في أن القاتل ترك الصورة الفوتوغرافية في الكتاب للتأكيد للسلطات أن الجريمتين هما من صنع الرجل نفسه، إنه يتباهى، أراد المديح الذي يستحقه.

الحكمة الوحيدة التي نستطيع الأمل بها هي الحصول على حكمة التواضع...

لم يتعلم القاتل هذا الدرس، إخفاقه في تعلمه قد يفضي ربما إلى سقوطه.

إذا كان من الممكن الشعور فعلاً بتحطم القلب على مصير شخص غريب، فإن صورة هذه المرأة الشابة فعلت فعلها فيما حدّق إليها يبلي لوقت طويل. أعاد الصورة إلى الكتاب، وأغلق الصفحات المصفرة.

بعد وضع يد الرجل الميت فوق الكتاب، مثلما كانت، سحق المنديلين في قبضة يده. دخل الحمام الموجود داخل غرفة النوم الرئيسة، وضغط على السيوف بالمنديلين الورقيين، ثم رامهما في دورة المياه داخل كرسي المرحاض.

في غرفة النوم، وقف قرب الكرسي، غير واثق مما يجب فعله. لا يستحق لاني أن يبقى هنا وحيداً من دون فائدة الدعاء أو العدالة، إذا لم يكن صديقاً قريباً، يبقى صديقاً، بالإضافة إلى ذلك، إنه ابن بيرل أولسن، ويستحق ذلك الكثير.

إلا أن الاتصال بمكتب الشريف، ولو بطريقة مجهولة الهوية، والإبلاغ عن الجريمة قد يكون خطأ. سيطلبون شرحاً للاتصال الذي جرى من هذا المنزل بمنزل يبلي بعد فترة وجيزة من القتل، ولم يقرر بعد ماذا سيقول لهم.

ثمّة مسائل أخرى، أمور لا يعرف بشأها، قد تلقي بأصابع الاتهام نحوه، أدلة ظرفية.

قد تكون النية القسوى للقاتل توريط يبلي في هاتين الجريمتين وجرائم أخرى.

لا شك في أن القاتل يعتبر ذلك بمثابة لعبة، حيث القواعد، إذا كانت موجودة، معروفة فقط من قبله.

بطريقة مماثلة، مفهوم النصر معروف فقط له. الفوز بالمال، إلقاء القبض على الملك، تسجيل الهدف النهائي قد يعني، في هذه الحالة إرسال يبلي إلى السجن مدى الحياة ليس لسبب منطقي، وليس ليتمكن القاتل نفسه من الفرار من العدالة، وإنما لمجرد المتعة في ذلك.

على اعتبار أنه لا يستطيع حتى تحديد شكل إطار اللعب، لم يتحمس يبلي لفكرة استجوابه من قبل الشريف جون بالمر. يحتاج إلى الوقت للتفكير، بضع ساعات على الأقل، حتى الفجر. قال للاني: "أنا آسف".

أطفأ أحد المصباحين قرب السرير، ومن ثم الآخر. إذا توهج المنزل مثل قالب كيك خلال الليل، قد يلاحظ أحد، ويتساءل، يعرف الجميع أن لاني أولسن يخلد باكراً إلى النوم.

يقع المنزل في منطقة عالية وبعيدة في آخر الطريق. لا يأتي مبدئياً أحد إلى هنا إلا إذا كان قادماً لرؤية لاني، ومن المستبعد أن يأتي أحد للزيارة خلال الثماني إلى العشر ساعات التالية.

نقل منتصف الليل الثلاثاء إلى الأربعاء، والأربعاء والخميس هما يوماً الإجازة عند لاني، لن يسأل أحد عنه في العمل قبل يوم الجمعة. إلا أن يبلي عاد إلى الغرفة الأخرى في الطابق العلوي، وأطفأ الأنوار فيها أيضاً.

أطفأ أنوار الردهة ونزل السلام، وهو يشعر بعدم الارتياح للظلمة وراءه.

في المطبخ، أغلق الباب المؤدي إلى المصطبة، وأقفله.

أراد أخذ المفتاح الاحتياطي للابن معه.

فيما تجول مرة جديدة في الطابق الأول، أطفأ كل الأنوار، بما في ذلك جمرات السيراميك العاملة بالغاز في الموقد، مستخدماً كعب المسدس للضغط على أزرار الكهرباء.

وقف على المصطبة الأمامية، وأقفل ذلك الباب أيضاً، ومسح المقبض.

شعر أنه مراقب فيما نزل الدرج. راقب المرج، والأشجار، وألقى نظرة على المنزل.

كانت كل النوافذ سوداء، والليل أسود، وابتعد يبلي عن تلك الظلمة المغلقة إلى ظلمة مفتوحة تحت سماء كحلية تالأت فيها النجوم كما لو أنها ترتجف.

الفصل 14

نزل الهضبة بسرعة بمحاذاة الطريق، مستعداً للاختباء بين الشجيرات الموجودة على جانب الطريق إذا ظهرت أضواء سيارة. ألقى بين الحين والآخر نظرة إلى الخلف، لا أحد يتبعه، حسبما لاحظ.

كان الليل مفتقداً إلى ضوء القمر مما يشجع على المطاردة الخلسة. يفترض أن يشجع بيلى أيضاً، لكنه شعر أنه مكشوف كثيراً بالنجوم.

أمام المنزل المحاط بسياح عال، تحرك الكلب مرة جديدة جيئة وذهاباً على طول السياج، متوسلاً بيلى بأنين، بدا يائساً. تعاطف بيلى مع الحيوان وفهم وضعه. إلا أن مأزقه وحاجته إلى التخطيط لا يتركان له الوقت للتوقف ومواساة الحيوان. بالإضافة إلى ذلك، يكشف كل تعبير لصداقة مرغوبة عن لدغة محتملة، تكشف كل ابتسامة عن الأسنان.

لذا، تابع سيره، ونظر إلى الخلف، وأمسك المسدس بإحكام، ثم استدار إلى اليسار نحو المرج حيث مشى بين الأعشاب وسط خوف من الأفاعي.

ثمة سؤال راوده أكثر من أسئلة أخرى: هل القاتل شخص يعرفه أو أنه غريب؟

إذا كان القاتل موجوداً في حياة بيلى قبل الورقة الأولى، وهو مريض اجتماعي سري لم يعد في وسعه كبت رغباته في القتل، فإن

التعرف إليه لن يكون صعباً وبل ممكناً، فتحليل العلاقات والبحث في الذاكرة عن أي شذوذ يمكن أن يكشفنا عن تلميحات، يحتمل أن يفضي التفكير المنطقي والخيال إلى رسم وجه، أو معرفة حافز.

إذا كان القاتل غريباً اختار يبلي بصورة عشوائية لتعذيبه ومن ثم تدميره، فإن عمل التحري سيكون أكثر صعوبة. بالفعل، لن يسهل تخيل وجه لم يصادفه أبداً والبحث عن حافز في الفراغ المطلق.

قبل زمن غير بعيد في تاريخ العالم، لطالما كان العنف اليومي الروتيني - باستثناء تخريب الدول في الحرب - شخصياً بطبيعته؛ فالأحقاد، وتحصيل الشرف، والزنى، والنزاعات على المال كلها أمور حفزت الدافع إلى القتل.

في العالم المعاصر، أو بالأحرى في العالم ما بعد المعاصر، وخصوصاً العالم ما بعد المعاصر، أصبح معظم العنف غير شخصي، فالإرهابيون، وعصابات الشوارع، والمرضى الاجتماعيون الوحيدون، والمرضى الاجتماعيون في مجموعات والساعون وراء رؤية وهمية يقتلون أشخاصاً لا يعرفونهم، لا يملكون ضدهم أي شكوى واقعية، وإنما مجرد لفت الانتباه، أو التعبير عن شيء ما، أو الترهيب، أو حتى مجرد الإثارة في ذلك.

القاتل، سواء أكان معروفاً أو غير معروف بالنسبة إلى يبلي، هو عدو مروّع، استناداً إلى كل الأدلة، يمكن القول إنه جريء ولكنه ليس متهوراً، مريض نفسي وإنما مسيطر على نفسه، ذكي، مبدع، ماكر، مع عقل معقد وميكيفيلي.

في المقابل، شق يبلي وايلز طريقه في العالم بأكبر بساطة وصراحة ممكنتين، لم يكن عقله معقداً، رغباته غير معقدة، أمل فقط في العيش، وعاش بأمل حذر.

مشى مسرعاً عبر العشب الطويل الشاحب الذي وصل إلى ساقيه، وأصدر همسات تأمرية عند احتكاكه ببعضه، ف شعر أنه أقرب إلى فأرة حقول مما إلى بومة ذات منقار مستدق.

شجرة السنديان الكبيرة كانت ضخمة فعلاً، فيما مرّ يبلي تحتها، تحركت كائنات غير منظورة فوق رأسه، لكنها لم تحلق أبداً.

وراء سيارة الفورد إكسبلورر، بدت دار العبادة مثل منحوتة جليدية مصنوعة من الماء مع لمسة فوسفورية.

اقترب من السيارة، وفتح قفلها بجهاز التحكم عن بعد، وسمع صوتين إلكترونيين مع وميض مزدوج لأضواء السيارة.

دخل السيارة، وأغلق الباب، وأقفل الأبواب مجدداً. وضع المسدس على المقعد قرب، عندما حاول إدخال المفتاح في موضعه، لفته شيء ما، تم تثبيت ورقة مطوية على قضيب عجلة القيادة بواسطة شريط لاصق صغير.

ورقة.

الورقة الثالثة.

لا بد أن القاتل ركن سيارته على الطريق السريع، مراقباً المنعطف المؤدي إلى منزل لاني أولسن، لمعرفة إذا كان يبلي سيقع في الطعم.

لقد لاحظ على الأرجح سيارة الإكسبلورر تدخل إلى هذا المرأب.

كانت السيارة مقفلة، لا يستطيع القاتل دخولها إلا عبر كسر نافذة. لكن ما من نافذة مكسورة، لم يتم تحفيز جهاز إنذار السيارة.

لغاية الآن، تبدو كل لحظة من هذا الكابوس حقيقية تماماً، حقيقية بقدر النار أمام يد الاختبار، إلا أن اكتشاف هذه الورقة الثالثة بدا

وكأنه نقل يبلي من العالم الحقيقي إلى العالم الخيالي.

بخوف شبيه بالحلم، نزع يبلي الورقة عن عمود عجلة

القيادة. فتحها.

الأنوار الداخلية، التي عملت بصورة تلقائية حين دخل السيارة، لا تزال مضاءة لأنه أغلق الباب وأقفله قبل فترة وجيزة جداً، الرسالة - سؤال - واضحة ومقتضية.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

الفصل 15

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

كما لو أن زراً آينشتاينياً جعل الوقت يتحرك بسرعة بطيئة، انزلقت الورقة من بين أصابعه وطار، طارت مثل ريشة ووقعت في حضنه، انطفأت الأنوار.

في لحظة رعب، مَدَّ يده اليمنى لسحب المسدس عن المقعد الذي قرب السائق، واستدار يبلي إلى اليمين أيضاً، رغبة منه في النظر فوق كتفه نحو المقعد الخلفي المظلم.

لا توجد فسحة كبيرة ليختبئ فيها رجل. لكن يبلي صعد إلى سيارة الإكسيلورر بسرعة وعلى عجل.

بحث عن المسدس الضائع، وتلمست أطراف أصابعه قبضة السلاح؛ وانفجرت نافذة باب السائق.

انهار الزجاج قطعاً صغيرة فوق صدره وفخذه، وأفلت المسدس من قبضة يده ووقع على الأرض.

بالرغم من أن الزجاج كان لا يزال يتناثر، وقبل أن يدير يبلي وجهه للمعتدي، دخل القاتل إلى السيارة وأمسك بشعره، عند أعلى رأسه، وبرمه وشده بقوة.

علق يبلي بين عجلة القيادة ولوح عدادات السيارة، وكان مشدوداً بقوة من شعره، عاجزاً عن التمدد نحو المقعد الذي قرب السائق والبحث عن المسدس، فأدخل أظفاره في اليد التي أمسكته، ولكن من دون جدوى لأن قفازاً جلدياً حمى تلك اليد.

كان القاتل قوياً خبيثاً وبلا رحمة.
يفترض أن يكون شعر بيلي قد اقتلع من جذوره، فالألم قوي
جداً، تشوشت رؤيته.
أراد القاتل شدّه من رأسه أولاً وإلى الخلف عبر النافذة المكسورة.
زحفت الجهة الخلفية لجمجمة بيلي نحو إطار النافذة، ثمة ضربة
أخرى قوية أصابت أسنانه فأطلق صرخة قوية منه.
تشبث بعجلة القيادة بيده اليسرى، وأمسك بتمكّأ الرأس لمقعد
السائق بيده اليمنى، محاولاً المقاومة، سيقتلع الشعر بكمية كبيرة، سيقتلع
الشعر ويصبح طليقاً.
إلا أن الشعر لم يقتلع ولم يصبح طليقاً، وفكّر في الزمور، إذا ضغط
على الزمور، وصدر الصوت عالياً، ستأتي المساعدة وسيهرب القاتل.
إلا أنه أدرك أن رجل الدين وحده سيسمع، وإذا جاء رجل
الدين، لن يهرب القاتل، لا، سيطلق النار على وجه رجل الدين تماماً
مثلما فعل مع لاني.
مرّت عشر ثوانٍ تقريباً على تحطم النافذة، وكانت الجهة الخلفية
لرأس بيلي تزحف بعناد على إطار النافذة.
أصبح الألم قوياً جداً بسرعة كبيرة بحيث بدا وكأن جذور شعره
امتدت عبر لحم وجهه - إذ ألمه وجهه أيضاً وأحرقه كما لو أن ناراً
أضرمت به - وامتدت أيضاً عبر كتفيه وذراعيه، بحيث تحررت القوة
من تلك العضلات عندما تحررت الجذور العنيدة من فروة الرأس.
ألمه عنقه بشدة عند الاحتكاك بإطار النافذة. تغلغل حطام الزجاج
المكسور في لحمه.
أصبح رأسه محنياً إلى الخلف الآن، يمكن لحنجرته المكشوفة أن
تشق بسرعة، ويمكن لعموده الفقري أن ينكسر بسهولة.

أفلت عجلة القيادة. تمدد وراء ظهره، بحثاً عن مقبض الباب.
إذا استطاع فتح الباب ودفعه بقوة كافية، قد يوقع الخلل في توازن
المعتدي عليه ويطرحة أرضاً، فيكسر قبضة يده أو يطلق سراح الشعر
أخيراً.

للإمساك بالمقبض - الزلق بين أصابعه المبللة بالعرق - عليه برم
ذراعه وراء نفسه بعذاب شديد وحيي يده في زاوية قوية لكنه لا يملك
نطاق الحركة لفعل ذلك.

كما لو أن المعتدي أحسّ بنية بيلى، ألقى بكل ثقله على الباب.
أصبح رأس بيلى بمعظمه خارج السيارة الآن، وظهر فجأة وجه
فوقه، مقلوباً رأساً على عقب نسبة إلى وجهه، وجه من دون قسماط.
شبح مقتع بقلنسوة.

ومض عينيه لتوضيح رؤيته.

ليست قلنسوة. إنه قناع ترلج داكن اللون.

بالرغم من هذا الضوء الخفيف، استطاع بيلى رؤية النظرة المحمومة
الخارجة من تلك العينين.

ثمّة رذاذ أطلق على النصف السفلي من وجهه، من الأنف إلى
الأسفل. رذاذ رطب، بارد، لاذع وإنما حلو.

شهق مصدوماً، ثم حاول حبس أنفاسه، لكن الشهقة الوحيدة
كانت كافية للتأثير فيه، احترق دخان قابض في منخرينه، امتلأ فمه
باللعاب.

بدا وكأن الوجه المقتع انخفض نحو وجهه، مثل قمر مظلم يهبط
بفوهاتة.

الفصل 16

اختفى مفعول المسكّن، أعاد الألم تدريجياً يبلي من الغيوبة إلى الوعي مثل رافعة تدير أسطوانة.

المذاق في فمه كما لو أنه شرب قطر الحلوى، ومن ثم غسل فمه بالمبيّض، مذاق حلو ومرّ، الحياة بحدّ ذاتها.

لبرهة، لم يعرف أين هو، لا يبالي أساساً، خارجاً من بحر رعب، شعر أنه مشيع بنوم غير طبيعي وتاق بشدة للعودة إليه.

في النهاية، أجبره الألم الكبير على المبالاة، على إبقاء عينيه مفتوحتين، على تحليل الإحساس وتوجيه نفسه. كان مستلقياً على ظهره على سطح صلب؛ مرأب سيارات دار العبادة.

استطاع شم الروائح الخفيفة للزفت، والزيت، والبنزين، الرائحة الخفيفة والغامضة لشجرة السنديان المنتشرة في الظلمة، رائحة عرقه الخاص.

لعق شفّتيه فتذوق الدم.

عندما مسح وجهه، وجده يبلي زلقاً بمادة دبقة هي على الأرجح مزيج من العرق والدم، في الظلمة، لم يستطع رؤية ما انتقل إلى يده. تركّز الألم خصوصاً في فروة رأسه، افترض في البداية أنه نتيجة اقتلاع شعره تقريباً.

لثة ألم بطيء ونابض، مصحوب بسلسلة من الضربات الأقوى، امتدّ عبر رأسه، ولكن ليس من الجمجمة حيث تم شدّ شعره بقوة كبيرة، وإنما من حاجبه.

عندما رفع يداً، وتحسس المصدر بتردد، وجد شيئاً قاسياً ومنتصباً في جبينه، على مسافة إنش واحد تحت حدّ الشعر، بالرغم من أن لمستته كانت رقيقة، ولّدت ألماً أكثر حدة جعله يصرخ عالياً.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

ترك استكشاف الجرح إلى وقت لاحق، إلى أن يتمكن من رؤية الضرر.

ليس الجرح مميتاً. لم يشأ المعتدي قتله، وإنما أراد فقط إيذائه، لترك ندبة فيه ربما.

ازداد احترام بيلي لعدوه إلى درجة أنه لم يتوقع ارتكاب الرجل لأخطاء، على الأقل لأخطاء كبيرة.

جلس بيلي، امتدّ الألم عبر حاجبه، ومرة جديدة حين نهض على قدميه.

وقف متمائلاً، مراقباً مرأب السيارات. لقد رحل من اعتدى عليه.

عالياً في السماء، ثمة مجموعة من النجوم المتحركة، مع أضواء طائرة متجهة إلى الغرب. إنها ربما طائرة عسكرية متوجهة إلى منطقة حربية، منطقة حربية أخرى مختلفة عن تلك الموجودة هنا في الأسفل.

فتح باب السائق في سيارة الإكسبلورر.

انتشر الزجاج المحطم على المقعد. رفع علبة مناديل عن لوحة السيارة واستخدمها لكشط فتات الزجاج عن المقعد.

فتش عن الورقة التي تم لصقها بقضيب عجلة القيادة. لا شك في أن القاتل أخذها.

عثر على المفتاح تحت دواصة المكابح. رفع المسدس عن الأرضية أمام المقعد الذي قرب السائق.

تم السماح له بالاحتفاظ بالمسدس للعبة القادمة، لم يخف منه المعتدي.

كشفت المادة التي تم رشها على وجه بيبي - كلوروفورم أو مادة مخدرة أخرى - عن تأثير مستمر. فقد شعر بالدوار عندما انحنى إلى الأمام.

وراء عجلة القيادة، فيما الباب مغلق، ومحرك السيارة قيد العمل، خشي ألا يتمكن من القيادة.

شغل مكيف الهواء، ووجه الهواء البارد إلى وجهه. فيما قيّم حال دواره السريع الزوال، انطفأت الأنوار الداخلية بصورة تلقائية، أعاد بيبي تشغيلها مرة جديدة.

أحس المرأة الخلفية لفحص وجهه، بدا مثل شرير مرسوم: أحمر داكن، لكن الأسنان ساطعة، أحمر داكن، وبياض العينين أبيض على نحو غير طبيعي.

عندما عدّل وضعية المرأة مجدداً، رأى مرة جديدة مصدر الألم. رؤية الجرح لا تعني فوراً تصديقه، فضل الاعتقاد أن الدوار الناجم عن المخدر قد يكون مصحوباً بملوسة.

أغمض عينيه، وأخذ نفساً عميقاً مرات عدة متتالية، حاول أن يحذف من عقله الصورة التي رآها في المرأة، وأمل في ألا يرى الشيء نفسه عندما ينظر إلى المرأة مجدداً.

لم يتغير أي شيء. عبر جبينه، وعلى مسافة إنش واحد تحت خط الشعر، رأى ثلاث صنائير معقوفة كبيرة ثقت لحمه.

تأ طرف وشوكة كل صنارة من تحت الجلد، تتأ الساق أيضاً، أما القسم المنحني من كل صنارة فبقي تحت الجلد الرقيق لحاجبه.

ارتجف ونظر بعيداً عن المرأة.

هناك أيام شك، وفي أغلب الأحيان ليالٍ موحشة، يتساءل فيها الأشد خشوعاً إذا كان يستحق التواجد في المملكة العظيمة بدل هذه الأرض، وإذا كان سيرفع الرحمة، أو إنه بدل ذلك مجرد حيوان مثل أي حيوان آخر، لا يرث أي شيء سوى الريح والظلمة.

إنها ليلة من هذه الليالي بالنسبة إلى بيلى، لقد عرف ليالي أخرى مثلها، تراجع الشك دوماً، قال لنفسه إنه سيتراجع مجدداً، بالرغم من أنه كان أكثر برودة هذه المرة وبدا واثقاً من أنه سيترك علامة أكبر.

في البداية، بدا القاتل كأنه لاعب يعتبر القتل رياضة، إلا أن صنابير الصيد في الجين ليست مجرد خطوة في اللعبة؛ وليست هذه لعبة. بالنسبة إلى القاتل، هذه الجرائم هي شيء أهم من القتل، لكنها ليست شكلاً من أشكال الشطرنج أو رديف لعبة الورق، أصبح للقتل معنى رمزي بالنسبة إليه، وهو ينجزه بهدف أكثر جدية من التسلية، يملك هدفاً غامضاً وراء القتل نفسه، هدفاً يسعى إلى إنجازه.

إذا كانت لعبة كلمة غير صحيحة، يحتاج بيلى إلى إيجاد الكلمة الصحيحة، وإلى أن يعرف الكلمة الصحيحة، لن يفهم القاتل أبداً، ولن يعثر عليه.

بمسنديل ورقني، مسح برفق الدم المتجمد عن حاجبيه، ومسح معظمه عن جفنيه وأهدابه.

رؤية صنابير الصيد أوضحت تفكيره، لم يعد يشعر بالدوار. تحتاج جروحته إلى الانتباه، أشعل المصابيح الأمامية للسيارة، وخرج من مرأب سيارات دار العبادة.

مهما كان الهدف النهائي للقاتل، ومهما كانت الرمزية التي أرادها من صنابير الصيد، فإنه أمل حتماً في إرسال بيلى إلى طيب. سيطلب الطبيب تفسيراً للصنابير، ويمكن لأي جواب من بيلى أن يعقد وضعه.

إذا قال الحقيقة، سيربط نفسه بقتل جيزيل وينسلو ولائي أولسن. سيكون المشتبه به الرئيس، من دون الأوراق الثلاث، لا يستطيع توفير أي دليل على وجود القاتل.

لن تعتبر السلطات الرسمية صنانير الصيد بمثابة دليل موثوق، وإنما ستسأل إذا كان هذا شكلاً من أشكال التعذيب الذاتي، فالجرح الذاتي هو خطة يستخدمها المجرمون أحياناً لجعل أنفسهم يبدون ضحايا ويعدون بالتالي الشبهات عنهم.

يعرف المواقف الساخرة التي يتخذها بعض رجال الشرطة حيال جروحه الغريبة والمثيرة، وإنما السطحية، يعرفها تماماً.

بالإضافة إلى ذلك، يصطاد بيلى السمك في المياه العذبة، إنه يصطاد أسماك الترويت وذئب البحر. وهذه الصنانير الكبيرة هي بالحجم الضروري لصيد أسماك ذئب البحر الكبيرة في حال استعمال طعم حيّ بدل الشرك، في علبه معدات الصيد في المنزل، توجد صنانير مطابقة لتلك التي تمتص الآن دمه.

لا يجرؤ على الذهاب إلى طبيب، عليه أن يكون طبيب نفسه.

عند الساعة 3:30 بعد منتصف الليل، انطلق على الطريق الريفي وحيداً، كان الليل ساكناً، لكن سيارته الرباعية الدفع ولدت هواءها الذي دخل بقوة عبر النافذة المحطمة، أمام المصايح الأمامية للسيارة، بقيت الكروم المسطحة وكروم الهضاب والمرتفعات المكسوة بالأشجار مألوفة بالنسبة إلى عينيه، ولكن ميلاً بعد ميل، أصبحت غريبة على قلبه مثل أرض قاحلة غريبة.

القسم الثاني

**هل أنت مستعد
لجرحك الثاني؟**

الفصل 17

في شهر فبراير، بعد استئصال ضرس مع جذوره ملتصق بعظم الفك، وصف الطبيب لييلي مسكناً للألم، فيسودين، استخدم فقط قرصين من الأقراص العشرة.

أشارت اللصيقة الصيدلانية إلى أنه يجب تناول الدواء مع الطعام، لم يتناول العشاء، وليست لديه أي شهية.

يحتاج لأن يكون الدواء فعالاً، أخرج من البراد طبقاً من بقايا اللازانيا المنزلية الصنع.

بالرغم من أن الجروح في حاجبه مقفلة بالدم المتخثر وتوقف النزف، استمر الألم بقوة وزاد من صعوبة التفكير المتناسق، قرر عدم تأخير الدقائق القليلة الضرورية لتسخين الطبق في المايكروويف، وضعه بارداً على طاولة المطبخ.

ثمة لصيقة وردية على علبة الدواء تحذر من استهلاك الشراب خلال تناول مسكنات الألم، هراء، لا ينوي قيادة سيارة أو تشغيل معدات ثقيلة خلال الساعات القليلة التالية.

وضع القرص وشوكة اللازانيا في فمه، ثم شرب جرعة من شراب شعير دانماركي نسبة تركيز المادة فيه أعلى من بقية أنواع شراب الشعير.

فيما تناول الطعام، فكّر في معلمة المدرسة الميتة، في لاني الجالس على كرسيه في غرفة النوم، وفي ما قد يفعله القاتل لاحقاً.

لا تساعد هذه الأفكار على تحفيز الشهية أو الهضم، يتعذر إنقاذ المعلمة ولاني، ولا يمكن أبداً معرفة الخطوة التالية للقاتل.

فكّر بدل ذلك في باربارة ماندل، ولاسيما في باربارة مثلما كانت، وليس كما هي الآن في وايسبرينغ باينز، أفضت هذه الذكريات إلى اللحظة، وبدأ يقلق بشأن ما قد يحصل لها إذا مات هو. تذكر المغلف المربع الصغير الذي تركه طبيبها، أخرجه من جيبه وفتحه.

كان اسم الدكتور جوردان فيريه محفوراً على الجهة الأمامية للبطاقة القشدية اللون، لديه خط يدوي دقيق: عزيزي بيلي، عندما تبدأ بتوقيت زيارتك إلى باربارة بهدف تفادي رؤيتي خلال جولاتي العادية، أعرف أن الوقت قد حان لمراجعتنا الدورية لحالها. اتصل من فضلك بعيادتي لتحديد موعد.

تصبب العرق عن قنينة شراب الشعير الدانماركية، استخدم بطاقة الدكتور فيريه بمثابة واقٍ لحماية الطاولة.

قال بيلي: "لماذا لا تتصل أنت بعيادتي لتحديد موعد".

كان الطبق نصف ممتلئ باللازانيا، بالرغم من أنه لم يملك الشهية، تناول كل شيء، بحيث وضع الطعام في فمه ومضغه بقوة، وأكل كما لو أن الأكل يمكن أن يشبع الغضب بسهولة مثلما يشبع الجوع. في النهاية، تضاءل الألم قليلاً في جيبه.

ذهب إلى عدة الصيد في المرأب، أخرج من علبة المعدات كمامة صغيرة لها حافة قاطعة للأسلاك.

في المنزل مجدداً، بعد إغلاق الباب الخلفي، ذهب إلى الحمام، حيث تأمل وجهه في المرآة، لقد جفّ قناع الدم، بدا مثل أحد السكان الأصليين للبحيم.

لقد غرز القاتل الصنابير الثلاث بعناية، يبدو أنه حاول إحداث أقل ضرر ممكن.

بالنسبة إلى الشرطة المشككة، يدعم هذا الورم نظرية أن تكون هذه الجروح ذاتية الصنع.

برز طرف الصنارة وشوكها في طرف، وفي الطرف الآخر، ثمة عرووة يمكن لصق الطعم بها. إن شدّ الشوك أو العرووة عبر الفتحة في اللحم سيؤدي إلى تمزق اللحم أكثر فأكثر.

استخدم الكماشة لفصل العرووة عن الصنارة، بين الإهام والسبابة، قرص طرف الشوك واستخرج ساق الصنارة. بعدما استخرج الصنانير الثلاث، استحم بماء ساخن جداً بقدر ما استطاع تحمله.

بعد الحمام، طهّر الجروح قدر المستطاع عبر فركها بالشراب ومن ثم بيروكسيد الهيدروجين. بسط عليها النيوسبورين وغطى الجروح بقطع شاش وثبتها بشريط لاصق.

عند الساعة 4:27، حسب الساعة الموضوعه على المنضدة الليلية، خلد بيلى إلى السرير، سرير مزدوج مع وسادتين. وضع رأسه على وسادة طرية، فيما وضع المسدس القاسي تحت الوسادة الأخرى. لا تجعل الحكم قاسياً جداً علينا...

فيما أغمض جفناه لوحدهما بفعل ثقلهما، رأى باربارة وشفيتها الشاحبتين تلفظان عبارات غير مفهومة.

أريد أن أعرف ماذا يقول، البحر، ما الذي يستمر في قوله.

غفا قبل أن تصل الساعة إلى منتصف الساعة.

في حلمه، استلقى في غيبوبة، عاجزاً عن التحرك أو التكلم، لكنه كان مدركاً للعالم المحيط به. أطباء بمآزر بيضاء وأقنعة تزج سواداً، يعملون على لحمه بسكاكين فولاذية، ينحتون مجموعة من الأوراق المبللة بالدم.

ألم منبعث، كليل وإنما مستمر، أيقظه عند الساعة 8:40 من صباح يوم الأربعاء.

في البداية، لم يستطع تذكر ما هي الكوايس التي حلم بها وما هي الكوايس الحقيقية، ثم استطاع.

أراد حبة فيسودين أخرى، إلا أنه أخذ بدلاً من ذلك حبتين من الأسبيرين في الحمام.

أراد تناول الأسبيرين مع عصير البرتقال، فذهب إلى المطبخ، أهمل وضع الطبق، الملطخ برواسب اللازانيا، في الجلى، لا تزال قنينة شراب الشعير الفارغة على بطاقة الدكتور فيريه.

دخل ضوء الصباح الغرفة، تم رفع الستائر، كانت الستائر مسدلة عندما نخلد إلى السرير.

وجد على البراد ورقة مطوية، إنها الرسالة الرابعة من القاتل.

الفصل 18

كان واثقاً تماماً أنه أقفل الباب الخلفي عندما عاد من المرأب مع الكماشة، لكن القفل بات مفتوحاً الآن.

خرج إلى المصطبة، وراقب الغابة الغربية، بضع شجرات بقّ في المقدمة، وأشجار صنوبر في الخلف.

غطت شمس الصباح كل ظلال الأشجار في الغابة، وتغلغلت عبر تلك القائمة من دون أن تثيرها كثيراً.

فيما جال بنظره عبر الغابة الخضراء، محاولاً إبعاد نور الشمس المباشر عن عدسات نظاره، رأى حركة، أشكالاً غامضة تحركت بين الأشجار، رشيقة بقدر ظلال العصافير الطائرة، مرقطة بضعف عندما سفعتها أشعة الشمس.

سيطر إحساس بالانزعاج على بيلي، ثم خرجت الأشكال من بين الأشجار، كانت مجرد أياثل: ظبي وظيفتان وصغير ظبي.

ظن أن شيئاً ما دفعها على الأرجح إلى الغابة، لكنها اقتربت بضعة ياردات فقط من المرج قبل أن تتوقف، كانت هادئة مثل الأياثل في مكان مفعم بالجمال، وراحت ترعى العشب الطري.

عاد إلى المنزل، وترك الأياثل تتناول فطورها، فأقفل بيلي الباب الخلفي بالرغم من أنه لم يعد يثق كثيراً في القفل، إذا كان القاتل لا يملك مفتاحاً، فإنه يملك حتماً آلات لفتح الأقفال وهو خبير في استعمالها.

ترك بيلي الورقة على حالها، وفتح البراد، أخرج عبوة من عصير البرتقال.

فيما شرب العصير من العبوة الكرتونية، مبتلعاً حبّتي الأسبيرين، حدّق إلى الورقة الملصقة على البراد، لم يلمسها.

وضع قطعتين من المافن الإنكليزي في جهاز التحميص، وعندما أصبحتا هشتين، بسط عليهما زبدة الفول السوداني وتناولهما أمام طاولة المطبخ.

إذا لم يقرأ الورقة أبداً، إذا أحرقتها في حوض غسل الصحون، وأنزل الرماد عبر البالوعة، سيخرج نفسه من اللعبة.

المشكلة الأولى في هذه الفكرة هي نفسها التي أثبت ضميره قبلاً: عدم التصرف يعتبر خياراً.

المشكلة الثانية هي أنه أصبح هو نفسه ضحية اعتداء، وتم وعده بالمزيد.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

لم يضع القاتل سطرًا تحت كلمة الأول، لكن يبلي فهم مكان التشديد، بالرغم من عيوبه، لا يعتبر التضليل الذاتي أحدها.

إذا لم يقرأ الورقة، إذا حاول تجاهلها، سيكون أقل قدرة على تخيل ما قد يحصل، عندما وقع الفأس عليه، لم يستطع حتى سماع النصل يقطع الهواء فوق رأسه.

بالإضافة إلى ذلك، لم تكن هذه لعبة أبداً بالنسبة إلى القاتل، وهذا أمر أدركه يبلي الليلة الماضية، إذا أنكر يبلي اللعب معه، لن يحمل القاتل أغراضه ببساطة ويعود إلى المنزل، سيعتبر ذلك طريقة لتنفيذ ما في عقله.

يودّ يبلي نحت أوراق خشبية.

أراد العمل على أحجية كلمات متقاطعة، إنه بارع فيها.

غسل الثياب، عمل في الفناء الخلفي، نظف أوساخ المطر، طلى

صندوق البريد؛ يستطيع إلهاء نفسه في الواجبات السخيفة للحياة اليومية، والاهتمامك فيها.

أراد العمل في المشرب، ترك الساعات تمرّ في سلسلة من المهام المتكررة والأحاديث التافهة.

كل الغموض الذي يحتاج إليه، وكل الدراما، موجودان في زيارته إلى وايسبرينغ باينز، في الكلمات المحيرة التي تلفظها باربارة أحياناً وفي اعتقاده الدائم أنه يوجد أمل لها، لا يحتاج إلى المزيد، لا يملك شيئاً أكثر. لم يكن يملك شيئاً أكثر إلا عند حصول هذا، وهو أمر لا يحتاج إليه ولا يريده؛ لكنه لا يستطيع الهروب منه.

بعدما انتهى من تناول المافن، أخذ الطبق والسكين إلى الحلى، غسلهما وجففهما ووضعهما بعيداً.

في الحمام، نزع الضمادة عن جبينه، مزقته كل صنارة مرتين، بدت الوخزات الست حمراء وملتهبة.

غسل الجروح برفق، ثم أعاد مسحها بيروكسيد الهيدروجين، والنيوسبورين. وضع ضمادة جديدة.

كان حاجبه بارداً عند اللمس، لو كانت الصنارة متسخة، لما أمكن الحؤول دون الالتهاب بإجراءاته الوقائية، خصوصاً وأن الصنانير كشطت العظم.

إنه بمنأى عن الكزاز، قبل أربعة أعوام، فيما كان يجدد المرأب لإعداد محترف لنحت الخشب فيه، تعرض لجرح عميق في يده اليسرى، من مفصلة جعلها الصداً هشة وحادة. تلقى حينها جرعة من اللقاح المضاد للكزاز، لا يقلقه الكزاز، لن يموت من الكزاز.

لن يموت أيضاً من الجروح الملتهبة من الصنانير، لا يجدر به شغل باله بهذا الأمر وإلهاء نفسه عن المخاطر الكبيرة والحقيقية.

في المطبخ، نزع الورقة عن البراد، سحقتها في قبضة يده،
وأخذها إلى سلة المهملات.

لكن بدل رمي الورقة، فتحها على الطاولة وقرأها:

ابق في المنزل هذا الصباح، سيأتي شريك لي لرؤيتك عند
الساعة 11:00. انتظره على المصطبة الأمامية.

إذا لم تبقَ في المنزل، سأقتل ولدًا.

إذا أبلغت الشرطة، سأقتل ولدًا.

تبدو غاضباً جداً، ألم أمد لك يد الصداقة؟ بلي، فعلت.

شريك! هذه الكلمة أفلقت ببلي، لم تعجبه الكلمة على
الإطلاق.

في حالات نادرة، يعمل المرضى الاجتماعيون المهوسون بالقتل
بأزواج، يطلق عليهم رجال الشرطة اسم زملاء القتل، خانق الهضبة في
لوس أنجلوس تبين أنه واحد من اثنين، القنّاص في واشنطن العاصمة
كان رجلين.

عائلة مانسون كان فيها أكثر من شخصين.

يمكن لنادل بسيط أن يأمل منطقياً في الحصول على أفضل

مهوس اجتماعي عديم الشفقة، ولكن ليس اثنين.

لم يفكر ببلي في الذهاب إلى الشرطة، أثبت القاتل مرتين أنه

صديق في كلامه. إذا لم يطعه، سيقتل ولدًا.

في هذه الحال، على الأقل، ثمة خيار مفتوح أمامه لا ينطوي على

اختيار أحد للموت.

بالرغم من أن الأسطر الخمسة الأولى من الورقة كانت صريحة،

فإن معنى السطرين الأخيرين لا يمكن تفسيره بسهولة.

ألم أمد لك يد الصداقة؟ بلي، فعلت.

السخرية واضحة. لاحظ ببلي أيضاً نوعاً من السخرية المهينة التي توحى أن المعلومات المعروضة هنا ستكون مفيدة له فقط إذا استطاع فهمها.

لم يحصل على الوضوح عند إعادة قراءة الرسالة ست مرات، ثماني، لا بل عشر مرات، حصل فقط على الإحباط.

مع هذه الورقة، يملك ببلي دليلاً مجدداً، بالرغم من أن هذا الدليل لا يوحي بالكثير ولن يؤثر في الشرطة، لكنه صمم على إبقائه في أمان. في غرفة الجلوس، راقب مجموعة الكتب. في الأعوام الأخيرة، لم تصلح هذه الكتب لشيء إلا لإزالة الغبار عنها.

اختار كتاب في زماننا. وضع ورقة القاتل بين صفحة الحقوق وصفحة الإهداء، وأعاد الكتاب إلى الرف.

فكّر في لاني أولسن جالساً ميتاً في كرسي مع رواية مغامرة في حوضه. في غرفة النوم، أخرج مسدس سميث وويسون عيار 0.38 ملم من تحت الوسادة.

عندما حمل المسدس، تذكر كيف كان عندما أفرغه، أرادت الماسورة العمل مجدداً، تصلب المقبض الخلفي على لحم راحة اليد، وانتقل الارتداد عبر عظام اليد والذراع، وتحرك باضطراب في النخاع العظمي، مثلما تتحرك السمكة في الماء.

في درج المنضدة الزينية، ثمة علبة مفتوحة من الذخيرة. وضع ثلاث خراطيش في كل واحدة من الجيوب الأمامية لسترته.

بدت هذه ضمانات كافية، أيّاً يكن الآتي، لن تكون حرباً، ستكون عنيفة وخبثية، وإنما وجيزة.

رتّب شراشف السرير، بالرغم من أنه لا يستعمل غطاء، رتب الوسادتين وأقحم الشرشف تحت الفراش بحيث بدا السرير مرتباً تماماً.

عندما رفع المسدس عن المنضدة الليلية، لم يتذكر فقط الارتداد وإنما كيف يكون أيضاً قتل رجل.

الفصل 19

أجاب جاكى أوهارا على هاتفه الخليوي المزود برقم يستخدمه أحياناً عندما يعمل وراء المشرب. "كيف أستطيع أن أخدمكم؟".
"سيدي، هذا أنا بيلى".

"هاي، بيلى، هل تعرف عما كانوا يتحدثون في المشرب الليلة الماضية؟".

"الرياضة؟".

"صحيح. اللعنة، لسنا مشرباً للرياضة هنا".

نظر بيلى عبر نافذة المطبخ نحو المرج الذي اختفت وراءه الأيائل، وقال: "آسف".

"الرجال في المشارب الرياضية، لا يعني لهم الشرب أي شيء".
"هذه طريقة للرقى".

"هذا صحيح، يدخنون القليل من السجائر أو يشربون حتى القهوة، لسنا مشرب رياضية هنا".

بما أنه سمع ذلك قبلاً، حاول بيلى تغيير الحديث: "بالنسبة إلى زبائننا، الشرب هو نوع من الاحتفال".

"أبعد من الاحتفال، إنه طقس، احتفال مهيب، نوع من سرّ مبجل. ليس بالنسبة إليهم جميعاً، وإنما بالنسبة إلى معظمهم، إنه عشاء سري".

"حسناً. هل كانوا يتحدثون عن كرة القدم؟".

"يا ليت، أفضل الأحاديث كانت في ما مضى عن كرة القدم، والصحون الطائرة، وقارة أتلانيس الضائعة، وما حصل للديناصورات...".

قاطعه بييلي: "... وما يوجد في الجانب المظلم من القمر، ووحش لوتش نيس، وكفن تورين...".

تابع جاكبي: "... والأشباح، ومثلث برمودا، وكل تلك الأمور الكلاسيكية. لكن الحديث لم يعد هكذا هذه الأيام".
اعترف بييلي: "أعرف".

"كانوا يتحدثون عن أولئك الأساتذة في هارفارد ويال وبرنستون، أولئك العلماء الذين يقولون إنهم سيستخدمون الاستنساخ والخلايا الجذعية والهندسة الوراثية لابتكار عرق أكثر تفوقاً".

قال بييلي: "أذكى وأسرع وأفضل منا نحن".
قال جاكبي: "أفضل كثيراً منا نحن، لن نكونوا بشراً على الإطلاق. ظهر أولئك العلماء في التايمز أو النيوزويك يتسمون وكانوا فخورين بأنفسهم".

قال بييلي: "يقولون إنه مستقبل ما بعد البشر".
تساءل جاكبي: "ماذا يحصل لنا عندما يتم تجاوزنا؟ سباق تفوق؟
ألم يسمع أولئك الرجال بهتلر؟".

قال بييلي: "يظنون أنهم مختلفون".
"ألا يملكون مراًيا؟ بعض المغفلين يستخدمون الجينات البشرية والحيوانية لابتكار... أشياء جديدة. يريد أحدهم ابتكار حيوان مقرز له دماغ بشري".
"يا لها من فكرة".

"لا تقول المحلّة لماذا حيوان مقرز، كما لو أن الأمر بديهي لماذا تم اختيار حيوان مقرز بدل هرة أو بقرة أو سنجاب. بالله عليك بييلي، أليس صعباً كفاية وجود دماغ بشري في جسم بشري؟ أي نوع من العالم السيئ الشرير سيكون بوجود دماغ بشري في جسم حيوان مقرز؟".

قال بيلي: "لن نحيا ربما لرؤية ذلك".
"بلى، إلا إذا كنت تنوي الموت غداً، أحببت الحديث عن كرة
القدم أكثر، أحببت الكلام عن مثلث برمودا والأشباح أكثر، الآن، هذا
الجنون حقيقي".

قال بيلي: "لقد اتصلت بك لأبلغك أنني لا أستطيع الذهاب إلى
العمل اليوم".

سأل جاكبي بقلق حقيقي: "هاي، ماذا، هل أنت مريض؟".
"أشعر بالغثيان".

"لا يبدو وكأنك مصاب بالزكام".

"لا أظن أنه زكام، إنها مشكلة في المعدة".

"في بعض الأحيان، يبدأ زكام الصيف بهذه الطريقة، من الأفضل
أن تأخذ الزنك، هناك هلام الزنك الممكن بسطه على الأنف. إنه مجد
فعالاً. إنه يوقف الزكام".
"سأحضر بعضاً منه".

"فات الأوان لتناول الفيتامين C. كان يجدر بك تناول ذلك قبلاً".
"سأحضر بعض الزنك، هل اتصلت باكراً جداً، هل أغلقت
المشرب شخصياً الليلة الماضية؟".

"لا. ذهبت إلى المنزل عند العاشرة مساءً. كل ذلك الحديث
عن الحيوانات المقززة مع أدمغة بشرية جعلني أشعر برغبة قوية للذهاب
إلى المنزل".

"تولى إذاً ستيف زيليس الإغلاق؟".

"نعم. إنه شاب يمكن التعويل عليه. ذلك الحديث الذي أحيرتك
عنه، أتمنى لو أنني لم أفعل، إذا أراد فرم العارضات البلاستيكية والبطيخ
في الفناء الخلفي لمنزله، فإن هذا من شأنه، طالما أنه ينجز عمله".

ليلة الثلاثاء تكون غالباً بطيئة في المشارب، وإذا كان الازدحام خفيفاً، يفضل جاكي إغلاق المشرب قبل موعد الإغلاق الاعتيادي، أي الساعة الثانية بعد منتصف الليل. فمشرب مفتوح مع عدد قليل من الزبائن أو لا زبائن على الإطلاق في ساعات الليل المتأخرة يكون مغرباً للسرقة والقتل، ما يضع الموظفين في خطر. سأل بيلي: "ليلة مزدحمة؟".

"قال ستيف إنه بعد الحادية عشرة، بدا وكأن العالم انتهى. توجب عليه فتح الباب الأمامي والنظر إلى الخارج للتأكد من أن المشرب لم ينتقل إلى القمر أو إلى مكان آخر، أطفأ الأنوار قبل منتصف الليل، الحمد لله أنه لا يوجد يوماً ثلاثاء في الأسبوع". قال بيلي: "يحب الناس تمضية بعض الوقت مع عائلاتهم، هذه هي لعنة المشرب العائلي".

"أنت رجل مضحك، أليس كذلك؟".
"ليس عادة".

قال جاكي: "إذا وضعت هلام الزنك على أنفك ولم تشعر بأي تحسن، عاود الاتصال بي، وسأخبرك عن مكان آخر يمكنك وضعه عليه".

"أظن أنك كنت لتصبح رجل دين جيداً. حقاً".
"سلامتك، حسناً؟ يشنق إليك الزبائن حين تكون غائباً".
"حقاً؟".

"ليس تماماً، لكنهم لا يقولون على الأقل إنهم مسرورون لغيابك".
في مثل هذه الظروف، وحده جاكي أوهارا استطاع رسم ابتسامة على وجه بيلي وايلز.

أففل الخط، نظر إلى ساعته، العاشرة وواحد وثلاثون دقيقة.

سيصل الشريك إلى هنا خلال أقل من نصف ساعة.
إذا غادر ستيف زيليس المشرب قبل منتصف الليل، يكون لديه
الكثير من الوقت للذهاب إلى منزل لاني، وقتله، ونقل الجثة إلى
الكرسي في غرفة النوم الرئيسة.
إذا كان بيلي يقيم المشتبه بهم، فإنه يضع احتمالات كبيرة على
ستيف، إلا أنه يتردد في ذلك أحياناً.

الفصل 20

على المصطبة الأمامية، هناك كرسيان هزازان مع وسادتين باللون الأخضر الداكن، نادراً ما يحتاج بيبي إلى الكرسي الآخر.

هذا الصباح، ارتدى قميصاً قطنياً باللون الأبيض وسروالاً من الكتان، وجلس على الكرسي البعيد عن درجات المصطبة، لم يهزّ الكرسي، جلس بهدوء تام.

ثمّة طاولة صغيرة ورائه، على الطاولة، وعلى طبق من الفلين، ثمّة كوب من الكولا.

لم يشرب أي شيء من الكولا، أحضرها مجرد إبعاد الانتباه عن علبة البسكويت المملح.

لا تحتوي العلبة على أي شيء باستثناء المسدس. قطع البسكويت الوحيدة هي كدسة من ثلاث موضوعة على الطاولة، قرب العلبة.

كان النهار صافياً وساطعاً وحاراً وجافاً جداً لإرضاء مزارعي الكروم، لكنه جيد بالنسبة إلى بيبي.

من المصطبة، بين أشجار الأرز، استطاع رؤية ممر طويل في الطريق الريفي يمتد نحو هذا المنزل وأبعد منه.

لا توجد الكثير من السيارات على الطريق، تعرّف إلى بعض السيارات، لكنه لا يعرف من تخص.

تلاً فوق الزفت المحروق من الشمس السراب في عزّ النهار.

عند الساعة 10:53، ظهر شخص في البعيد، آتياً على قدميه، لم يتوقع بيبي أن يأتي الشريك باكراً للاجتماع، افترض أنه ليس هو.

في البداية، بدا الرجل مثل سراب، فقد شوّهته حرارة الصيف، وجعلته يبدو مثل انعكاس على الماء، بدا للحظة وكأنه تبخر ثم عاد للظهور مجدداً.

في الضوء الساطع، بدا طويلاً ونحياً، نحياً على نحو غير طبيعي، كما لو أنه جرى تعليقه مؤخراً على خشبة في حقل ذرة، محققاً إلى العصافير بعينين بلاستيكيتين.

انعطف عن الطريق الريفي ومشى في المر، ثم ترك المر ومشى على العشب، وعند الساعة 10:58 وصل أمام درج المصطبة.

سأل: "سيد وايلز؟".

"نعم"

"أعتقد أنك تنتظري".

يملك الصوت الخشن والفظ لرجل نفع حنجرته في الشراب الاسكتلندي وطهاها ببطء على دخان السجائر.

سأل بيلي: "ما اسمك؟".

"رالف كوتل، سيدي".

ظن بيلي أنه سيتم تجاهل السؤال، لو أراد الرجل استخدام اسم مزيف، لكان جون سميث جيداً كفاية. بدا اسم رالف كوتل حقيقياً. كان كوتل نحياً جداً مثلما بدا من بعيد في الحرارة القوية، ولكنه لم يكن طويلاً جداً، بدا عنقه الهزيل كما لو كان سينكسر بفعل وزن رأسه.

انتعل حذاء رياضياً أبيض اللون أصبح داكناً بفعل الزمن والوسخ، البذلة البنية الصيفية اللامعة بالبقع والمكشكشة عند أطراف الكمين بدت عليه فضفاضة كما لو أنها معلقة على محمل خشبي، قميصه مصنوع من البولستر كان بالياً، ملطخاً بالبقع، ومفتقداً إلى زر.

إنها أسوأ ملابس من أرخص متجر، ويبدو أنه يملكها منذ زمن بعيد جداً.

"سيد وايلز، هل أستطيع الوقوف في الظل؟".

واقفاً عند أسفل درج المصطبة، بدا كوتل كما لو أن ضوء الشمس سيحعله ينهار، بدا ضعيفاً جداً ليشكل خطراً، لكن لا يمكن المعرفة أبداً.

قال بيلي: "ثمة كرسي لك".

"شكراً لك سيدي، أقدر لطافتك".

توتر بيلي فيما صعد كوتل الدرج، وإنما استرخى قليلاً عندما جلس الرجل في الكرسي الآخر.

لم يهزّ كوتل الكرسي أيضاً، كما لو أن تحريك الكرسي هو مهمة متعبة لا يريد خوضها.

سأل: "سيدي، هل تمنع إذا دخنت؟".

"نعم، أمانع".

"أفهم. إنها عادة سيئة".

أخرج كوتل من جيب داخلي في السترة قنينة شراب صغيرة وفتح غطاءها، ارتجفت يدها النحيلتان، لم يسأل إذا كانت هناك مشكلة في الشرب، ارتشف القليل من الشراب.

يبدو أنه يملك سيطرة كافية على توفقه إلى النيكوتين للتحلي بالتهذيب في هذا الموضوع، لكن من جهة أخرى، يخبره الشراب متى يحتاج إليه، ولا يستطيع تجاهل صوته الساتل.

شك بيلي في أن تكون قنآن أخرى من الشراب موضوعة في جيوب أخرى، مع سجائر وكبريت، وربما القليل من المخدرات، يبرر ذلك سبب ارتداء بذلة في حرارة الصيف: ليست مجرد ملابس وإنما هي أيضاً مخبأ لأغراضه المتنوعة.

لم يبدّل الشراب لون وجهه، كانت بشرته داكنة أصلاً بفعل الشمس وحمراء نتيجة شبكة معقدة من الشرايين الصغيرة المنفجرة. سأل بيلى: "كم مشيت؟".

"فقط من مفترق الطرقات. أوصلتني السيارة إلى هناك".
لا بد أن بيلى بدا مشككاً في الأمر لأن كوتل أضاف: "هناك الكثير من الأشخاص الذين يعرفونني في هذه النواحي، يعرفون أنني غير مؤذٍ، مهماً وإنما لست قذراً".
في الواقع، بدا شعره الأشقر نظيفاً، وإنما غير ممشط. حلق أيضاً وجهه الصلب كفاية لمقاومة الخدوش حتى لو أمسكت بالشفرة يد غير ثابتة.

يصعب تحديد عمره، قد يكون في الأربعين أو الستين، ولكن ليس في الثلاثين أو السبعين.

"إنه رجل سيئ جداً، سيد وايلز".
"من؟".

"الرجل الذي أرسلني".

"أنت شريكه".

"لست أكثر من حمار".

"شريك؛ هذا ما قاله عنك".

"هل أبدو مثل حمار أيضاً؟".

"ما اسمه؟".

"لا أعرف، لا أريد أن أعرف".

"كيف هو شكله؟".

"لم أرَ وجهه. أتمنى ألا أفعل أبداً".

قال بيلى: "قناع ترلج؟".

"نعم سيدي، وعينان باردتان عبره مثل عينيّ الأفعى". ارتجف
صوته بالترافق مع رجفة في يديه، ووضع القنينة على فمه مجدداً.
سأل بيلي: "ما لون عينيه؟".
"بدتا لي صفراوين مثل صفار البيض، لكن نور الصباح كان
فيهما".

متذكراً اللقاء في مرأب سيارات دار العبادة، قال بيلي: "لم يكن
هناك ضوء كثير لأرى اللون... وإنما رأيت فقط لمعاناً قوياً".
"أنا لست رجلاً سيئاً، سيد وايلز، لست مثله، أنا ضعيف".
"لماذا أتيتَ إلى هنا؟".
"المال أولاً، دفع لي مئة وأربعين دولاراً، كلها من فئة العشرة
دولارات".

"مئة وأربعون؟ ماذا، هل ساومته على أكثر من مئة؟".
"لا، سيدي. إنه المبلغ الذي عرضه؛ قال إنها عشرة دولارات لكل
سنة من براءتك، سيد وايلز".
حدّق إليه بيلي بصمت.

كانت عينا رالف كوتل تومضان قبلاً ربما باللون الأزرق. لقد
أدى الشراب إلى خسبو لونهما، لأنهما كانتا باللون الأزرق الأكثر
شحوباً الذي رآه بيلي في حياته، الأزرق الفاتح في أعلى السماء حيث
لا يوجد هواء كاف لتوفير اللون الغني وحيث لا يمكن إخفاء الفراغ.
بعد برهة، أبعده كوتل عينيه، ونظر إلى الفناء، إلى الأشجار والطريق.
سأل بيلي: "هل تعرف ماذا يعني ذلك؟ أربع عشرة سنة من
براءتي؟".

"لا، سيدي. وليس هذا من شأني. أرادني فقط أن أخبرك بذلك".
"قلت إن المال هو أحد الأسباب. ما هو السبب الآخر؟".

"سيقتلني إذا لم آت لرؤيتك".

"هل هددك بفعل ذلك؟".

"إنه لا يهدد، سيد وايلز".

"يبدو هكذا".

"يقول فقط ما يريد، وتعرف أنه صحيح، آتي لرؤيتك أو أموت، ولا أموت بطريقة سهلة أيضاً، وإنما بصعوبة كبيرة".

سأل بيلى: "هل تعرف ماذا فعل؟".

"لا، سيدي. ولا تخبرني".

"نحن الآن اثنان نعرف أنه حقيقي، يمكننا دعم حججنا".

"لا تتحدث بهذه الطريقة".

"ألا ترى أنه ارتكب خطأ".

قال كوتل: "أتمنى لو أستطيع أن أكون خطأه، لكنني لست هكذا،

تظن أنني مهم، لكنني لست كذلك".

قال بيلى: "لكن يجب توقيفه".

"ليس من قبلي، لست بطلاً، لا تخبرني ماذا فعل، لا تتجرأ".

"لماذا لا يجدر بي إخبارك؟".

"هذا عالمك، وليس عالمي".

"هناك فقط عالم واحد".

"لا سيدي، هناك مليارات العوالم، عالمي مختلف عن عالمك، وسيتقى هكذا على الدوام".

"نحن نجلس هنا على المصطبة نفسها".

"لا، سيدي. تبدو مثل مصطبة واحدة، لكنهما مصطبتان، تعرف

أن هذا صحيح، أرى ذلك فيك".

"ترى ماذا؟".

"أرى أنك تشبهني قليلاً".

قال بيلي بخوف: "لا يمكنك رؤية أي شيء، لا تنظر حتى إليّ".
نظر رالف كوتل في عينيّ بيلي مجدداً. "هل رأيت وجه المرأة في
المرطبان مثل قنديل البحر؟".

انتقل الحديث فجأة من المسار الرئيس إلى موضوع غريب.
سأل بيلي: "أي امرأة؟".

ارتشف كوتل الشراب مرة جديدة من القنينة. "يقول إنه وضعها
في المرطبان قبل ثلاثة أعوام".
"مرطبان؟ من الأفضل أن تتوقف عن شرب هذا الشراب، رالف،
لا يبدو كلامك منطقياً".

أغمض كوتل عينيه وكشّر في وجهه، كما لو أنه يستطيع رؤية ما
وصفه للتو. "إنه مرطبان كبير، كبير جداً، مع غطاء واسع. يغيّر
الفورمالديهايد بصورة منتظمة لمنعه من التبدل".

وراء المصطبة، كانت السماء صافية مثل البلور، عالياً في الضوء
الساطع، حلّق نسر وحيد، وبدا مثل سراب.

تابع كوتل القول: "يبدو الوجه وكأنه منطوٍ على نفسه، بحيث لا
ترى وجهاً في البداية. يبدو وكأنه شيء من البحر، مطبق وإنما منتفخ.
يرجّ المرطبان قليلاً، ويحرك المحتويات، ويظهر... الوجه".

كان العشب جميلاً وأخضر عبر المرج، ثم أصبح أطول وذهبياً
حيث ترك على سحبيته في الطبيعة، ولّد نوعا العشب رائحتين مختلفتين،
وكانت كل منهما حلوة على طريقتها.

قال رالف كوتل: "تعرف إلى أذن في البداية. الأذنان متصلتان،
والغضروف يمنحهما شكلاً، ثمّة غضروف في الأنف أيضاً، لكنه لم
يحافظ على شكله جيداً، الأنف مجرد كتلة".

من المرتفعات الساطعة، نزل النسر بسرعة كبيرة، راسماً منحنيات صامته ورشيقة.

"الشفتان كاملتان، لكن الفم مجرد فتحة، والعينان فثقتان. لا يوجد شعر، لأنه قطع الرأس من أذن إلى أخرى، من أعلى الحاجب إلى أسفل الذقن. لا يمكنك أن تعرف إذا كان وجه امرأة أو وجه رجل. يقول إنها كانت جميلة، لكن لا يوجد جمال في المرطبان".
قال بيلي: "إنه مجرد قناع من اللاتكس. خدعة".

"أوه، إنه حقيقي، إنه حقيقي مثل مرض السرطان، يقول إنه ثاني عمل في أحد أفضل أداءاته".
"أداءات؟".

"يملك أربع صور لوجهها، في الأولى، كانت حية، ثم ميتة، في الثالثة، تم تقشير الوجه جزئياً، في الرابعة، رأسها هناك، شعرها، لكن النسيج الطري لوجهها اختفى، ولم يبقَ شيء سوى العظم، والجمجمة".
من التحليق الرشيق إلى الغوص المفاجئ، توجه النسر نحو العشب الطويل.

أخبر الشراب رالف كوتل أنه يحتاج إلى الدعم فشرب المزيد لتعزيز شجاعته.

بعد زفير طويل للهواء، قال: "في الصورة الأولى، عندما كانت حية، كانت ربما جميلة مثلما يقول. لا يمكنك المعرفة لأنها... مذعورة، بدت قبيحة بفعل الذعر".

العشب الطويل، الذي كان قبلاً ساكناً تحت الحرارة الشديدة، تحرك قليلاً في مكان واحد، حيث احتك الريش بالعيان.
قال كوتل: "الوجه في الصورة الأولى أسوأ مما هو في المرطبان، أسوأ بكثير".

ارتفع النسـر عن العـشب وحلّق عـالياً. أمـسكت مـخالبه بشـيء صـغير، قـد يـكون فـأر حـقول، كـافح بـرعب أو لـم يـكافح. مـن هـذه المـسافة، لا يـمكن التـأكد.

كان صوت كوتل مثل منشار يحفر في خشب قديم. "إذا لم أفعل بالضبط ما يريد مني، وعدني بوضع وجهي في مرطبان، وفيما يكشف اللحم عنه، سيبقيني على قيد الحياة، وواعياً".

في السماء الساطعة والصفية، بدا النسـر المرتفع أسود وصابياً مثل الظل مرة جديدة. رفر ف جناحاه في الهواء، وكانت الأجواء المرتفعة مثل تيارات النهر التي سبح عبرها، واختفى، بعد أن قتل فقط ما احتاج إليه للبقاء على قيد الحياة.

الفصل 21

جالساً من دون حراك في الكرسي الهزاز، قال رالف كوتل إنه يعيش في كوخ متواضع قرب النهر، يحتوي الكوخ على غرفتين ومصطبة مع منظر مطل، علماً أنه جرى هدم المكان في الثلاثينيات من القرن العشرين وهو يتصدع منذ ذلك الوقت.

قبل زمن بعيد، استخدم أناس غير معروفين الكوخ لعطلات الصيد، لا توجد كهرباء في الكوخ، ثمة مرحاض خارجي يشكّل حماماً، المياه الوحيدة الموجودة هي تلك التي تجري في النهر. قال كوتل: "أظن أنه كان مكاناً لهم للهروب من زواجهم، مكاناً للشرب والتمل، ولا يزال كذلك".

ثمة موقد يوفر الدفء ويتيح الطهو البسيط، فالوجبات التي يتناولها كوتل متوافرة في علب يتم تسخينها.

كان الكوخ في السابق ملكية خاصة، أصبح الآن يخص المقاطعة، إذ تم الحجز عليه ربما لاسترداد ضرائب، مثل الأرض الحكومية، لم يشهد المكان أي صيانة، لم يأت أي موظف حكومي لإزعاج كوتل، منذ أحد عشر عاماً، حين قام بتنظيف الكوخ وبسط فراشه واستقر فيه.

لا يعيش جيران بجواره، الكوخ موجود في بقعة منعزلة، تلائم كوتل تماماً.

حتى الساعة 3:45 من صباح اليوم السابق، عندما أيقظه زائر يضع قناع تزليج: هكذا، ما كان قبلاً ملكية خاصة حميمة تحول إلى منزل مربع.

خلد كوتل إلى النوم من دون إطفاء المصباح الزيتي الذي يقرأ على نوره روايات غريبة ويشرب الشراب حتى النوم، بالرغم من ذلك الضوء، لم يستوعب أي تفاصيل مفيدة عن شكل القاتل، لم يستطع تقدير طول الرجل أو وزنه. قال إن صوت الرجل المجنون لم يكشف عن خصائص يمكن تذكرها.

تصور يبلي أن كوتل يعرف المزيد لكنه يخشى القول، فالقلق الذي بدا الآن في عينيه الزرقاوين كان صافياً وكثيفاً، وإن لم يكن فورياً، بقدر الرعب الذي وصفه في الصورة الفوتوغرافية للمرأة المجهولة التي قام القاتل بسلخ وجهها.

بالحكم على طول أصابعه النحيلة والعظام المذهلة في معصميه، بدا كوتل وكأنه كان مجهزاً للدفاع عن نفسه، الآن، وباعترافه الخاص، بات ضعيفاً، ليس فقط عاطفياً ومعنوياً بل أيضاً جسدياً. إلا أن يبلي انحنى إلى الأمام في كرسيه، وحاول مجدداً حثه: "ادعمني مع الشرطة. ساعدني..."

"لا أستطيع مساعدة نفسي سيد وايلز".

"لا بد أنك كنت تعرف قبلاً كيف تفعل ذلك".

"لا أريد أن أتذكر".

"تتذكر ماذا؟".

"أي شيء. قلت لك؛ أنا ضعيف".

"يبدو وكأنك تريد أن تكون هكذا".

رفع قنينة الشراب إلى شفثيه، وابتسم كوتل ابتسامة خفيفة، وقبل أن يرتشف الشراب، قال: "ألم تسمع أن الخنوع يرث الأرض".
"إذا لم تشأ فعل ذلك لنفسك، افعله لي".

لعق كوتل شفثيه اللتين كانتا متشقتين كثيراً بفعل الحرّ والتأثير الجفف للشراب الاسكتلندي، وقال: "ولماذا؟".

"الخنوع لا يقف جانباً ويراقب دمار رجل آخر. الخنوع ليس مثل الجبان، إنهما نوعان مختلفان".

"لا يمكنك إجباري على التعاون، لا أحد يجبرني، لا أهتم، أعرف أنني نكرة، ولا مشكلة لدي في ذلك".

"لمجرد أنك جئت إلى هنا لفعل ما يريد، لن تكون بأمان في كوخك".

أغلق كوتل القنينة وقال: "بأمان أكثر منك".

"على الإطلاق، أنت ضعيف، اسمع، ستوفر لك الشرطة الحماية".
نحرجت ضحكة جافة من فمه. "لهذا السبب هرولت مسرعاً إليها، للحصول على حمايتها؟".

لم يقل بيلى شيئاً.

استمد كوتل المرأة من صمت بيلى، ووجد صوتاً كان حقيراً أكثر مما هو معتدّ بنفسه: "تماماً مثلي، أنت لست أي شيء، لكنك لا تعرف ذلك بعد، أنت لا شيء، أنا لا شيء، جميعنا لا شيء، وبقدر ما أهتم، إذا تركني وشأني، يستطيع ذلك المجنون اللعين فعل ما يريد به بأي كان لأنه ليس شيئاً أيضاً".

راقب كوتل وهو يفتح قنينة الشراب الاسكتلندي التي أغلقها للتو، قال بيلى: "ماذا لو رميتك عن هذه السلالم وطردتك خارج أرضي؟ يتصل بي أحياناً لمجرد إتلاف أعصابي، ماذا لو أخبرته حين يتصل أنك كنت ثملاً، وغير متماسك، ولم أستطع فهم شيء مما قلته؟".

لم يظهر الشحوب على وجه كوتل المسفوع بالشمس والمشبع بالدم، لكن فمه الصغير الذي كان مزموماً بالرضى الذاتي بعد حديثه

الصاحب، ارتخى الآن وأخرج سيلاً من الاعتذارات: "سيد وايلز، أرحوك، لا تعتبر كلامي إهانة، لا أستطيع التحكم في ما يخرج من فمي مثلما لا أستطيع التحكم في ما يدخل إليه".

"أراد التأكد من أن تخبرني عن الوجه في المرطبان، أليس كذلك؟".

"نعم، سيدي".

"لماذا؟".

"لا أعرف، لم يستشرنني سيدي، وضع فقط الكلمات في فمي لكي أنقلها إليك، وها أنا أفعل ذلك لأنني أريد أن أعيش".

"لماذا؟".

"سيدي؟".

"أنظر إليّ رالف".

نظر كوتل في عينيه.

قال بيلى: "لماذا تريد أن تعيش؟".

بالرغم من أن كوتل لم يفكر أبداً في الأمر قبلاً، بدا وكأن السؤال حرّك شيئاً في عقله، مثل عثة نادرة على لوح فحص، مثل شيء دائم الأرق ودائم المشاكسة ودائم المرارة بدا لبرهة وكأنه مستعد أخيراً للتخلي عنه، ثم شردت عيناه، وشبك يديه، وليست يداً واحدة، حول قنينة الشراب الاسكتلندي.

أصرّ بيلى: "لماذا تريد أن تعيش؟".

"ماذا يوجد هناك؟". تفادى كوتل عينيّ بيلى، ورفع القنينة بيديه، كما لو أنها كأس قربان. "هل أستطيع استعمالها فقط للتذوق"، كما لو أنه يطلب إذناً.

"هيا".

ارتشف القليل، ثم ارتشف المزيد دفعة واحدة.
"أجبرك القاتل على إخباري بشأن الوجه في المرطبان لأنه يريد
زرع هذه الصورة في رأسي".
"إذا شئت".
"إنها مسألة ترهيب، لإبقائي غير متوازن".
"وهل أنت كذلك؟".
بدل الإجابة عن السؤال، قال بيلي: "ما هو الشيء الآخر الذي
أرسلك لتخبرني إياه؟".
كما لو أنه انتقل إلى العمل، أغلق كوتل غطاء القنينة مجدداً،
وأعاد القنينة هذه المرة إلى جيب سترته. "أمامك خمس دقائق لاتخاذ
خيار".
"أي خيار؟".
"ارفع الساعة عن معصمك وعلّقها على درابزون المصطبة".
"لماذا؟".
"لعدّ الدقائق الخمس".
"أستطيع العد فيما الساعة على معصمي".
"إن وضعها على الدرابزون هو إشارة إليه أن العد العكسي قد
بدأ". غابات إلى الشمال، مظلمة وباردة في اليوم الحار، مرج أخضر،
ومن ثم عشب طويل ذهبي، وبعدها بضع أشجار سنديان، ومن ثم
منزلين في منحدر وإلى الشرق، إلى الغرب، تقع الطريق الريفي، مع
أشجار وحقول خلفها.
سأل بيلي: "هل يراقب الآن؟".
"وعد أن يفعل ذلك سيد وايلز".
"من أين؟".

"لا أعرف سيدي، من فضلك، انزع الساعة عن معصمك
وعلقها على الدرابزون".

"وإذا لم أفعل؟".

"سيد وايلز، لا تتحدث بهذه الطريقة".

أح بيلي: "لكن ماذا لو لم أفعل؟".

اتخذت نرته منحى أعلى فيما قال كوتل: "أخبرتكَ، سيكشط
وجهي، وأكون واعياً فيما يفعل ذلك. أخبرتكَ".

نمض بيلي، ونزع ساعة التاييمكس عن معصمه، ووضعها على
الدرابزون بحيث أمكن رؤية الساعة من كلا الكرسيين الهزازين.

فيما اقتربت الشمس من قمة قوسها، تغلغلت في المنظر الطبيعي
وذوّبت الظلال في كل مكان، ولكن ليس في الغابة، لم تكشف
الأشجار الخضراء عن أي أسرار.

"سيد وايلز، عليك الجلوس مجدداً".

سيطر الإشراق على الهواء، وملاً الوهج الحقول والشجيرات، ما
أجبر بيلي على النظر شزراً إلى أماكن عدة حيث يمكن أن يختبئ رجل
في منطقة مكشوفة، غير مموهة بأي شيء باستثناء ضوء الشمس.

قال كوتل: "لن تتمكن من رؤيته، ولن يجب فكرة أنك تحاول
البحث عنه، عد إلى هنا واجلس".

بقي بيلي واقفاً أمام الدرابزون.

"لقد بددت نصف دقيقة، سيد وايلز، وأربعين ثانية".

لم يتحرك بيلي.

قال كوتل بقلق: "لا تعرف في أي ورطة أنت، ستحتاج إلى كل

دقيقة أعطاها إليك للتفكير".

"أخبرني إذاً عن الورطة".

"عليك أن تجلس، بالله عليك، سيد وايلز". خفت صوت كوتل مثل صوت امرأة عجوز تشبك يديها. "يريدك أن تجلس في الكرسي". عاد بيلى إلى الكرسي الهزاز. قال كوتل: "أريد فقط الانتهاء من هذا، أريد فقط أن أفعل ما طلبه مني وأخرج من هنا". "أنت الآن من يحدد الوقت". مرّت دقيقة من الدقائق الخمس. قال كوتل: "حسناً، لا بأس. الآن هو من يتحدث. هل تفهم؟ إنه هو". "هيا باشر".

لعق كوتل شفّتيه بعصبية، أخرج قنينة الشراب الاسكتلندي من سترته، ولم يضعها على شفّتيه هذه المرة، وإنما أمسك بها بدل ذلك بكلتا يديه، كما لو أنها طلسم فيه القوة لإبعاد التشويش الذي أحدثه الشراب الاسكتلندي في ذاكرته، للتأكد من نقله الرسالة بوضوح كافٍ لإنقاذ وجهه من الانتهاء في مرطبان.

قال كوتل: "سأقتل شخصاً تعرفه، أنت من سيختار لي الهدف بين أشخاص من حياتك، إنها فرصتك لتخليص العالم من أحقق ميؤوس منه". قال بيلى: "الأحقق اللعين". واكتشف أنه يشبك يديه ببعضهما في قبضة محكمة ولكن من دون وجود شيء لضربه.

تابع كوتل القول: "إذا لم تختار لي الهدف، سأختار بنفسني شخصاً من حياتك لقتله، أمامك خمس دقائق لتقرر، الخيار خيارك، إذا كنت تملك المرأة لفعل ذلك".

الفصل 22

إن جهد تذكر الرسالة بحذافيرها دفع رالف كوتل إلى الشعور بتوتر كبير، ثمة عدد لامتناه من حالات القلق التي تجتاحه وقد برزت جلياً في عينيه الحادثين، في وجهه المتألم، في يديه المرتعشتين، استطاع يبلي سماع أصوات الخوف تصدر عنه.

فيما ذكر كوتل تحدي القاتل وشروطه، مع الحكم عليه بالموت إذا أخطأ في نقلها، كانت قنينة الشراب الاسكتلندي بمثابة طلسم له قوة الإلهام، لكنه بات الآن بحاجة إلى محتوياتها.

حدّق يبلي إلى الساعة المعلقة على درابزون المصطبة، وقال: "لا أحتاج إلى خمس دقائق، اللعنة، لا أحتاج حتى إلى الدقائق الثلاث الباقية".

من دون قصد، بعدم الذهاب إلى الشرطة وتوريطها، ساهم في موت شخص في حياته: لاني أولسن، بعدم تصرفه، أنقذ حياة أم لطفلين، لكنه حكم على صديقه بالموت.

كان لاني نفسه مسؤولاً جزئياً إن لم يكن كلياً عن موته، فقد أخذ ورقتيّ القاتل ومزقهما لإنقاذ وظيفته ومعاشه التقاعدي، على حساب حياته.

إلا أن بعض اللوم يقع أيضاً على عاتق يبلي، استطاع الإحساس بالذنب، وسيفعل ذلك يوماً.

ما يطلبه القاتل منه الآن شيئاً جديداً وأكثر رعباً من أي شيء سبقه، ليس بعدم التصرف هذه المرة، وليس بالإهمال، وإنما بنية واعية،

يفترض أن يحكم بيلى على شخص يعرفه بالموت، قال: "لن أفعل ذلك".

بعد أن شرب جرعة أو جرعتين، راح كوتل يمرر الفوهة الرطبة للقنينة جيئة وذهاباً على شفثيه، كما لو أنه يقبلها قبله على الطريقة الفرنسية بدل شرب المزيد منها، اشتّم عبر أنفه الروائح المنبعثة من القنينة. قال كوتل: "إذا لم تفعل ذلك، سيقرر هو".

"ولماذا يجدر بي الاختيار؟ أنا عالق في كلتا الحالين، أليس كذلك؟".

"لا أعرف، لا أريد أن أعرف، ليس هذا من شأني".
"اللعنة لا".

أصرّ كوتل: "ليس هذا من شأني، عليّ البقاء جالساً هنا إلى أن تعطيني قرارك، لأنقله من ثم إليه، ولا أعود جزءاً من المسألة، لم يبقَ أمامك إلا دقيقتين".

"أنا ذاهب إلى الشرطة".

"تأخر الوقت على ذلك".

اعترف بيلى: "أنا عالق حتى أذنيّ، لكنني سأعلق أكثر بعدها".

عندما نهض بيلى عن كرسيه الهزاز، قال كوتل بجدّة: "اجلس! إذا

حاولت ترك هذه المصطبة قبلي أنا، سيقتلك في رأسك".

كان يضع قناني الشراب في جيوبه، وليس أسلحة. حتى لو امتلك

كوتل مسدساً، كان بيلى واثقاً من قدرته على أخذه منه.

قال كوتل: "ليس أنا، هو، إنه يراقبنا الآن عبر منظار بندقيته

المتطورة".

وهج الغابة إلى الشمال، بريق الشمس فوق المنحدر إلى الشرق،

الجبال الصخرية والحقول الممتدة إلى الجنوب قرب الطريق الريفي...

قال كوتل: "يستطيع قراءة شفاهننا، يملك أفضل سلاح للقنص، وهو بارع جداً في استعماله، يستطيع إصابتك من مسافة ألف ياردة".
"هذا ما أريده ربما".

"يحب الإكراه، لكنه لا يظن أنك مستعد، يقول إنك ستصبح كذلك، يقول إنك ستطلب منه في النهاية أن يقتلك، ولكن ليس الآن".

بالرغم من ثقل الإحساس بالذنب، شعر بيلي وايلز فجأة أنه مثل الريشة، وخشي من هبوب ريح مفاجئة، جلس في الكرسي الهزاز.
قال كوتل: "لقد تأخر الأوان للذهاب إلى الشرطة لأنه ترك أدلة في منزلها، على جسمها".

بقي النهار صامتاً، لكن هنا هبَّت الريح. "أي أدلة؟".
"تم وضع القليل من شعرك في معصمها وتحت أظفارها".
تخدر فم بيلي. "كيف استطاع الحصول على شعري؟".
"من مصفاة الحمام".

قبل أن يبدأ الكابوس، حين كانت جيزيل وينسلو لا تزال على قيد الحياة، دخل القاتل إلى منزله.

لم يعد الظل على المصطبة قادراً على إبعاد حرارة الصيف. كان الأمر مماثلاً لوقوف بيلي على الزفت تحت الشمس. "ماذا يوجد غير الشعر؟".

"لم يقل، لكنه ليس شيئاً تستطيع الشرطة ربطه بك... إلا إذا تم الاشتباه بك لسبب ما".

"الأمر الذي قد يجعله يحصل".

"إذا بدأت الشرطة تظن أنه يجدر بها سؤالك لأخذ عينة من حمضك النووي، سيكون قد قضى عليك".

ألقى كوتل نظرة على ساعة يده.
وكذلك فعل بيلى.
قال كوتل: "بقيت دقيقة واحدة".

الفصل 23

دقيقة واحدة. حدّق بيلى إلى ساعته اليدوية كما لو أنها قبلة موقوتة بدأت العد العكسي لتنفجر.

لم يكن يفكر في الثواني الجارية أو في الأدلة الموجودة على مسرح جريمة جيزيل وينسلو، أو في كونه تحت مرمى بندقية فائقة التطور. كان يجري بدل ذلك جردة عقلية للناس في حياته، تبدلت الوجوه بسرعة في عقله، الذين يحبهم، الذين لا يبالي تجاههم، الذين لا يحبهم. هؤلاء كانوا مخاطر محجوبة، يستطيع الانتقاء منهم، إلا أن إبعاد عقله عن هذه الأفكار بدا صعباً بقدر تجاهل سكين مغروزة في حنجرته.

سكين من نوع آخر، سكين ذنب أبعده عن هذه الاعتبارات أخيراً، عند إدراك كيف كان يحسب بجدية القيمة النسبية للناس في حياته، وتقييم من يملك منهم حقاً بالحياة أقل من غيره، لم يستطع قمع إحساس بالقرف.

قال قبل ثوانٍ من نفاذ وقته: "لا. لا. لن أختار أبداً، يمكنه الذهاب إلى الجحيم".

ذكَر كوتل بيلى: "إذاً، سيختار عنك".

"يمكنه الذهاب إلى الجحيم"

"حسناً، إنها مهمتك، الأمر ملقى على عاتقك، سيد وايلز، ليس هذا من شأني".

"والآن ماذا؟"

"تبقى جالساً في الكرسي، سيدي، تماماً حيث أنت يفترض بسي
الدخول إلى هاتف المطبخ، وانتظار اتصاله، وإخباره بقرارك".
قال بيلي: "سأدخل بنفسني، أنا ألقى الاتصال".
قال كوتل: "أنت تثير جنوني، ستقتلنا نحن الاثنين".
"هذا منزلي".

عندما رفع القنينة إلى فمه، ارتجفت يدا كوتل بشدة إلى درجة أن
زجاج القنينة طقطع على أسنانه، سال الشراب الاسكتلندي على ذقنه.
من دون مسح الشراب عن وجهه، قال: "يريدك جالساً في هذا
الكرسي. إذا حاولت الدخول، سيفجر دماغك قبل أن تصل إلى الباب".
"وأني منطقي في هذا؟".

"وبعدها يفجر دماغي أيضاً لأنني لم أجعلك تصغي إلي".
قال بيلي، وقد بدأ يشتم شيئاً من طريقة القتال: "لن يفعل، ليس
مستعداً لإنهاء الأمر، ليس بهذه الطريقة".
"ماذا تعرف؟ أنت لا تعرف، أنت لا تعرف اللعبة".
"يملك خطة، هدفاً، شيئاً قد لا يكون منطقياً بالنسبة إليك أو إلي،
لكنه منطقي بالنسبة إليه".
"أنا مجرد مثل عدم الفائدة، لكنني أعرف بالرغم من ذلك أنه
مليء بالشر".

قال بيلي لنفسه أكثر مما قال لكوتل: "يريد تنفيذ كل شيء
بالطريقة التي تصورها، وليس إنهاء الأمر في الوسط بطلقتين قاتلتين".
راقب رالف كوتل يقلق النهار الساطع تحت الشمس وراء
المصطبة الأمامية، وسال منه اللعاب فيما تكلم، قال: "أيها الأحق
اللعين، هلا أصغيت إلي! أنت لا تصغي إلي".
"أنا أصغي".

"أكثر من أي شيء آخر، يريد الأشياء على طريقته الخاصة، لا يريد التحدث إليك، هل فهمت؟ لا يريدك ربما أن تسمع صوته".

هذا منطقي إذا كان القاتل شخصاً يعرفه بيلى.

قال كوتل: "أو ربما لا يريد أن يستمع إلى هرائك أكثر مما أفعل أنا، لا أعرف، إذا أردت الإجابة عبر الهاتف لتظهر له من المسيطر، مجرد إغضابه، وفجر دماغك، لن أكثرث أبداً. لكنه سيقتلني أيضاً، ولا يمكنك الاختيار لي. لا يمكنك الاختيار لي"

عرف بيلى أن غريزته محقة: لن يطلق القاتل النار عليهما.

قال كوتل بقلق، وهو يشير إلى الساعة المعلقة على الدرابزون: "انتهت الدقائق الخمس، ست دقائق، تجاوزت ست دقائق، لن يجب ذلك".

في الحقيقة، لا يعرف بيلى بالتأكيد أن القاتل لن يطلق النار، إنه يشك في ذلك، ويحس به، لكنه لا يعرف بالتأكيد.

"انتهى وقتك، بدأنا بالدقيقة السابعة، سبع دقائق، يتوقعني أن أغادر المصطبة وأدخل إلى المنزل".

نفض الخوف في العينين الزرقاوين الباهتتين لكوتل، ليس لديه الكثير ليعيش من أجله، لكنه يتوق إلى الحياة بالرغم من ذلك.

قال بيلى: ماذا يوجد هناك؟

"ماذا؟"

"ادخل، اذهب إلى الهاتف".

نفض كوتل عن كرسية الهزاز، وأوقع القنينة المفتوحة، فانسكبت أونصات عدة من الشراب الاسكتلندي عبر الفوهة غير المغلقة.

لم يتوقف كوتل لانتشال كنزه، في الواقع، كان مستعجلاً للوصول إلى الباب الأمامي، فركل القنينة لتصل إلى أرض المصطبة.

أمام عتبة المنزل، نظر إلى الخلف وقال: "لا أعرف متى سيتصل".

قال له بيلي: "تذكر جيداً كل كلمة يقولها، تذكر بالضبط كل كلمة".

"جسناً، سيدي، سأفعل".

"وكل نبرة، تذكر كل كلمة وكيف يقولها، ثم تأتي لإخباري".

وعد كوتل: "سأفعل سيد وايلز، كل كلمة"، ودخل المنزل.

بقي بيلي وحيداً على المصطبة، لا يزال ربما تحت مرمى فوهة

البندقية.

الفصل 24

ثلاث فراشات، غيشات هوائية، تراقصت تحت أشعة الشمس، في ظلال المصطبة، تالأأت كيمونوتها الحريرية وتوهجت بدوامات ألوان رائعة، بجياء بقدر الوجوه المخبأة بين ثنايا المراوح المرسومة باليد، وطارت بسرعة إلى السطوع التي أتت منها.
أداء.

هذه هي ربما الكلمة التي تحدد القاتل، التي تفضي إلى تفسير لأفعاله، والتي ستكشف السرّ إذا تم فهمها.
حسب رالف كوتل، أشار القاتل إلى جريمة قتل امرأة وكشط وجهها بعيداً عن العظم على أنّها العمل الثاني بين أفضل أدائه.
عندما افترض أن المريض النفسي يعتبر القتل لعبة مثيرة، كان بيلي غير مصيب، قد تكون الرياضة جزءاً منها، لكن هذا الرجل ليس محفزاً تماماً أو حتى جزئياً بإحساس المتعة.
لا يعرف بيلي بالضبط ماذا تعني كلمة أداء، بالنسبة إلى خصمه الرهيب، قد يكون العالم مسرحاً، والحقيقة كذبة، وكل شيء مصطنعاً.
كيف تفسر هذه النظرة ذلك السلوك الإجرامي - أو تتوقعه - لا يعرف بيلي، لا يستطيع أن يحزر.

الخصم الرهيب يمثل التفكير غير الصحيح، الخصم الرهيب هو عدو لا يمكن هزيمه، ثمّة كلمة أفضل وهي عدو، لم يتخلّ بيلي عن الأمل.
فيما الباب الأمامي مفتوح، يفترض أن يصل رنين الهاتف إلى المصطبة الأمامية، لم يسمعه بعد، تأرجح بكسل في كرسيه، ليس لجعل

نفسه هدفاً صعباً، وإنما لإخفاء قلقه وبالتالي سلب القاتل فرصة إرضاء ذاته بذلك، تأمل بيلى أقرب شجرة سنديان ثم انتقل إلى التالية. إنها أشجار سنديان قديمة عملاقة مع ظلال عريضة، بدت جذوعها وأغصانها سوداء تحت الشمس الساطعة. في هذه الأشجار الكثيرة الظلال، يستطيع القناص العثور على مجموعة من الأغصان لتكون بمثابة أرضية تتسع له ولحمل بندقيته. أقرب منزلين في الطريق المنحدر، واحد على جانب هذا الطريق، وآخر على الجانب الآخر، هما ضمن نطاق الألف ياردة. في حال عدم وجود أحد في المنزلين، يستطيع القاتل دخول أحدهما، قد يكون جالساً الآن خلف نافذة في الطابق العلوي.

أداء.

لم يستطع بيلى التفكير في أي شخص في حياته تعني له تلك الكلمة شيئاً أكثر مما تعنيه لستيف زيليس، حيث المشرب هو مسرح بالنسبة إلى ستيف.

لكن هل من المنطقي أن يملك القاتل، وهو مجرم خبيث يحب التشويه، حساً بسيطاً بالمرح ومفهوماً ساذجاً للمسرح بحيث يقوم بقذف الفول السوداني في الهواء، وربط أعناق الكرز بلسانه، وإلقاء نكات بشأن الشقراوات السخيفات؟

نظر بيلى تكراراً إلى الساعة المعلقة على درابزون المصطبة. ثلاث دقائق هي فترة منطقية للانتظار، أو حتى أربع، لكن عندما مرّت خمس دقائق، بدا ذلك كثيراً جداً.

بدأ ينهض عن الكرسي، لكنه سمع صوت كوتل في ذاكرته - لا يمكنك الاختيار لي! - ودفعه حس المسؤولية إلى الجلوس مجدداً في الكرسي الهزاز.

بما أن بيلي أبقى كوتل على المصطبة أكثر من الفترة المحددة بخمس دقائق، عمد القاتل ربما إلى الرد بالمثل، بحيث جعلهما ينتظران لتوتر أعصابهما قليلاً، لتعليمهما ألا يعبثا مع الكلب الكبير، أراحت تلك الفكرة بيلي لدقيقة، ثم خطر له احتمال أكثر خطورة.

عندما لم يدخل كوتل إلى المنزل فور انتهاء فترة الخمس دقائق، عندما تأخر بيلي دقيقتين أو ثلاث دقائق، اعتبر القاتل ربما قلة المسؤولية على أنها رفض من قبل بيلي لاختيار ضحية، وهذه هي الحقيقة بالفعل. عند افتراض هذا الاحتمال، قرر القاتل ربما أنه لا يملك سبباً للاتصال برالف كوتل، حمل في تلك اللحظة بندقيته وخرج من الغابة أو ابتعد عن أحد المنزلين عند الطريق المنحدر.

إذا كان قد اختار الضحية قبل سماع جواب بيلي، وهذا ما فعله طبعاً، قد يكون متحرقاً لتنفيذ خطته.

أحد الأشخاص في حياة بيلي، أهم شخص، هو طبعاً باربارة، العاجزة في وايسيرينغ باينز.

بصرف النظر عن أي خبرة أو تجربة تبرر ثقته من نفسه، أحس بيلي أن هذه الدراما الغريبة لا تزال في فصلها الأول، خصمه اللدود غير جاهز بعد لإنهاء هذا الأداء، هكذا، لا تعتبر باربارة في خطر وشيك.

إذا كان القاتل يعرف أي شيء عن موضوع عذابه - ويبدو أنه يعرف الكثير - سيدرك أن موت باربارة سيأخذ فوراً كل القوة من بيلي، المقاومة ضرورية للدراما، الصراع، من دون بيلي، لن يكون هناك فصل ثان.

عليه اتخاذ خطوات لحماية باربارة. لكنه يحتاج إلى التفكير بجدية في الطريقة، ويملك الوقت لفعل ذلك.

إذا كان غير مصيب في هذا، إذا كانت باربارة هي التالية، يكون هذا العالم إذاً على وشك أن يصبح مطهراً مؤلماً قبل أن ينتقل بسرعة إلى غرفة في الجحيم.

سبع دقائق مرّت على دخول كوتل المنزل، سبع وأكثر. نهض يبلي عن الكرسي، شعر بضعف في ساقيه. أخرج المسدس من علبة البسكويت المملح، لا يبالي إذا رآه القاتل. أمام عتبة الباب المفتوح، نادى "كوتل؟" ولم يلقَ أي جواب، وقال: "كوتل، اللعنة".

دخل المنزل، عبّر غرفة الجلوس، ودخل المطبخ. لم يكن رالف كوتل هناك، كان الباب الخلفي مفتوحاً، وعرف يبلي أنه تركه مغلقاً، مقللاً، خرج إلى المصطبة الخلفية، لم يكن كوتل هناك أيضاً، ولا في الفناء. لقد رحل.

لم يرنّ الهاتف، لكن كوتل رحل، عندما لم يأتِ الاتصال ربما اعتبر كوتل أن الصمت هو إشارة من القاتل على أنه إخفاق، ربما شعر بالذعر وهرب.

عاد إلى المنزل، وأغلق الباب وراءه، وتفقد يبلي المطبخ بعينه، بحثاً عن شيء غريب، لا يعرف ما قد يكون.

بدا كل شيء مثلما كان، مثلما يفترض أن يكون. إلا أن عدم الثقة أفضت إلى الريبة، وتحولت الريبة إلى شك، لا بد أن كوتل أخذ شيئاً، أحضر شيئاً، فعل شيئاً.

من المطبخ إلى غرفة الجلوس، إلى المكتب، لم يجد يبلي أي شيء خارج عن المألوف، لكنه اكتشف رالف كوتل في الحمام ميتاً.

الفصل 25

رسم الضوء الفلوري غشاء من الجليد الزائف على عينيّ كوتل المفتوحتين.

جلس السمل على غطاء كرسي المرحاض متكئاً على صندوق الطرد، ورأسه مرتد إلى الخلف، وفمه مرتخ، أحاطت الأسنان الصفراء المهترئة لساناً بدا وردياً أبيض ومتشققاً قليلاً بفعل الجفاف الناجم عن الشرب المستمر للشراب.

وقف بيلى منقطع الأنفاس، مذهولاً بغباء، ثم خرج من الحمام إلى الردهة، محمداً إلى الجثة من المر.

لم يتراجع بسبب أي رائحة نتنة، لم يفرغ كوتل أحشائه أو مثانته في أثناء آلام احتضاره، بقي مهملاً غير متسخ؛ الشيء الوحيد فيه الذي يبدو أنه يفتخر به.

إلا أن بيلى لم يستطع التنفس في الحمام، كما لو أنه جرى امتصاص كل الهواء من تلك المساحة، كما لو أن الرجل الميت قتل بسحب مفاجئ للهواء بات الآن يهدد بخنق بيلى نفسه، في الردهة، استطاع التنفس مجدداً، يستطيع بدء التفكير.

للمرة الأولى، لاحظ مقبض السكين، التي لصقت سترة بذلة كوتل به، مقبض أصفر ساطع.

تم غرز نصل السكين في زاوية عالية بين الضلوع إلى الزاوية اليسرى، لتستقر بشكل تام، تم ثقب القلب، فتوقف.

عرف بيلى أن نصل السكين المغروز يبلغ طوله ستة إنشات،

فالسكين الصفراء تخصه، يضعها بين معدات الصيد في المرأب، إنها سكين لصيد السمك، حادة كفاية لقطع سمك ذئب البحر والترويت. لم يكن القاتل في الغابة أو في المرج، أو في منزل الجيران يراقبهما عبر بندقية مزودة بمنظار، كانت تلك كذبة، وصدقها الثمل. فيما اقترب كوتل من المصطبة الأمامية، دخل القاتل على الأرجح عبر الباب الخلفي، وفيما جلس يبلي وزائره في الكرسيين الهزازين، كان عدوهما في المنزل، على مسافة أقدم قليلة منهما، رفض يبلي اختيار شخص في حياته ليكون الضحية التالية، وكما وعد، اتخذ القاتل الخيار بنفسه برشاقة مذهلة.

بالرغم من أن كوتل بمثابة غريب، لكنه دخل حتماً حياة يبلي، وهو الآن في منزله، ميت.

خلال أقل من يوم ونصف اليوم، خلال إحدى وأربعين ساعة فقط، تم قتل ثلاثة أشخاص، بالرغم من ذلك، شعر يبلي أن هذا الفصل الأول؛ إنها ربما نهاية الفصل الأول، لكن فطرته أخبرته أن تطورات مهمة جداً ستحصل لاحقاً.

عند كل منعطف للأحداث، فعل ما بدا الشيء الأكثر حذراً ومنطقاً، خصوصاً حسب تاريخه الشخصي.

إلا أن منطقته وحذره عادا على القاتل بالفائدة، ساعة بعد ساعة، وجد يبلي نفسه يبتعد أكثر عن برّ الأمان.

في نابا، ثمة أدلة قد تجرّمه، وقد تم زرعها في المنزل الذي قتلت فيه جيزيل وينسلو، شعر من مصفاة حمامه، ولا يعرف ماذا يوجد أيضاً.

لا شك في أنه تم وضع دليل في منزل لاني أولسن أيضاً، فعلاصة الصفحات في الكتاب تحت يد لاني الميت كانت حتماً صورة فوتوغرافية لوينسلو، لربط الجريمتين ببعضهما.

والآن في حمامه توجد جثة شخص قتل بسكين تخصه.
هنا في الصيف، شعر بيلي وكأنه على منحدر جليدي، قعره غير
منظور وراء ضباب بارد، وهو واقف على قدميه في انزلاق غريب،
وإنما بسرعة تهدد توازنه، ثانية بعد ثانية.
في البداية، صُدم بيلي باكتشاف جثة كوتل، فأصيب بجمود عقلي
وجسدي. الآن، خطرت له احتمالات عدة للتصرف، ووقف محتاراً
بالقرار الواجب اتخاذه.
أسوأ شيء قد يفعله هو التصرف على عجل، يحتاج إلى التفكير،
ومحاولة توقع نتائج كل واحد من خياراته.
لا يستطيع ارتكاب المزيد من الأخطاء، تعتمد حرته على ذكائه
وشجاعته، وكذلك بقاؤه على قيد الحياة.
دخل الحمام مجدداً، لم يلاحظ أي دم، ربما لم يقتل كوتل في
الحمام.
إلا أن بيلي لم يشاهد دليلاً على العنف في مكان آخر في
المنزل.
جعلته هذا الإدراك يركز على مقبض السكين، عند نقطة الانغراز،
بلل دم داكن سترة البذلة الصيفية الخفيفة، لكن البقعة لم تكن كبيرة
مثلما توقع.
قضى القاتل على كوتل بغرزة واحدة، عرف بالضبط أين وكيف
يغرز النصل بين الضلوع، توقف القلب بعد خفقة واحدة أو اثنتين من
انغراز السكين، مما خفف النزف.
استلقت يدا كوتل في حضنه، بحيث كانت الأولى مقلوبة إلى فوق
والثانية مطوقة فوقها، كما لو أنه مات وهو يصفق لقاتله، ثم شيء بين
يديه، لكنه محجوب بمعظمه.

عندما أمسك بيلى بزواوية الغرض لسحبه من قبضة الرجل الميت، اكتشف أنه قرص كمبيوتر: أحمر، كبير السعة، من الماركة نفسها التي كان يستخدمها عندما عمل على الكمبيوتر.

تأمل الجثة من زوايا عدة، استدار ببطء في دائرة كاملة، مراقباً الحمام بحثاً عن أي شيء تركه القاتل ربما عمداً أو عن غير قصد.

عاجلاً وليس آجلاً، سيفتش ربما في جيوب سترة كوتل وسرواله، إلا أن قرص الكمبيوتر أعطاه عذراً لتأجيل تلك المهمة الكريهة.

في المكتب، بعدما وضع المسلس وقرص الكمبيوتر على المكتب، رفع غطاء الفينيل عن الكمبيوتر، لم يستخدم الجهاز منذ أربعة أعوام تقريباً.

واللافت أنه لم يقطع الكهرباء عنه، افترض أن هذا قد يكون تعبيراً غير واعٍ لعناده-الأمل أن تتعافى باربارة ماندل يوماً ما.

في سنته الجامعية الثانية، عندما أدرك أن معظم ما يتعلمه هناك لن يفيده في أن يصبح الكاتب الذي يريد أن يكون، انسحب من الجامعة.

أنجز عملاً يدوياً من أنواع مختلفة، وحرص على الكتابة في أوقات فراغه.

في الحادية والعشرين، عمل لأول مرة كنادل في مشرب، بدأ العمل مثالياً بالنسبة إلى كاتب، رأى مادة روائية في كل زبون مشرب.

طوّر موهبته بصير، وباع عدداً كبيراً من القصص القصيرة إلى مجموعة من المجلات، حين أصبح في الخامسة والعشرين، أراد ناشر مهم جمع تلك القصص في كتاب.

حقق الكتاب مبيعاً متواضعاً، لكنه حظي بمدح كبير، ما أوحى أن العمل في المشرب لن يبقى إلى الأبد مهنته الأساسية.

حين دخلت باربارة إلى حياة بيلى، لم تمنحه فقط التشجيع وإنما أيضاً الإلهام، بمجرد التعرف إليها، وحبها، عثر على صوت أكثر صدقاً ووضوحاً في كتاباته.

كتب روايته الأولى، واستجاب ناشره لها بحماسة كبيرة، كانت التصحيحات المقترحة من قبل المحرر بسيطة، واستغرقت عمل شهر.

ثم غرقت باربارة في الغيوبة.

ضاع معها الصوت الصادق والواضح في كتاباته، لا يزال في وسعه الكتابة.

إلا أن الرغبة في الكتابة ابتعدت عنه، وكذلك الإرادة، وكل الاهتمام في تأليف الروايات، لم يعد يشأ استكشاف الوضع البشري في الخيال، لأنه عانى الكثير من الحقيقة.

طوال عامين، صبر عليه الناشر والمحرر، لكن عمل الشهر على مخطوطته أصبح بالنسبة إليه أكثر من أشغال شاقة لمدى الحياة، لا يستطيع فعل ذلك، ردّ المبلغ المدفوع مسبقاً، وألغى العقد.

تشغيل جهاز الكمبيوتر، حتى ولو لمراجعة ما تركه القاتل بين يديّ رالف كوتل، بدا مثل خيانة تجاه باربارة، بالرغم من أنها لم تكن لتوافق على مثل هذا التفكير، لا بل ستسخر منه.

تفاجأ قليلاً حين عاد الجهاز إلى العمل، بالرغم من عدم استعماله لوقت طويل، أضاءت الشاشة، وظهر شعار نظام التشغيل فيما صدرت أنغام موسيقية من مكبري الصوت.

لا بد أنه تم استخدام الكمبيوتر في وقت حديث أكثر مما يظن، فحقيقة أن يكون القرص من الماركة نفسها للأقراص غير المستخدمة الموجودة في أحد أدراج مكتبه توحى بأن هذا القرص هو من أقراصه وأن القاتل طبع رسالته الأخيرة على لوحة المفاتيح هذه.

الغريب أنه شعر بالذعر عند استيعاب هذه الفكرة أكثر مما شعر بالذعر عندما عثر على الجثة في الحمام.

ظهرت لائحة البرامج التي لم يرها منذ مدة وإنما المألوفة، وبما أنه كتب رواياته في برنامج مايكروسوفت ورد، قام بتجربته أولاً. تبين أن هذا الخيار صحيح، فقد كتب القاتل رسالته في برنامج ورد أيضاً.

احتوى القرص على ثلاثة مستندات، وقبل أن يتمكن بيلى من مراجعة النص، رن الهاتف. تصور أنه القاتل على الأرجح.

الفصل 26

رفع بيلى السماعه: "آلو؟".
ليس القاتل، ثمة امرأة قالت: "مع من أتحدث؟".
"مع من أنا أتحدث؟ أنت اتصلت بي".
"بيلى، يبدو أن هذا أنت، أنا روزالين تشان".
روزالين هي صديقة لاني أولسن، إنها تعمل في قسم الشريف في منطقة نابا، تأتي إلى المشرب بين الحين والآخر.
قبل أن يتمكن بيلى من تقرير ما يجب فعله بجثة لاني، يبدو أنه تم العثور عليها.
لحظة أدرك أنه لم يجب عليها، قالت روزالين: "هل أنت بخير؟".
"أنا؟ أنا بخير، لا بأس، لكن هذا الحرّ يصيبني بالجنون".
"هل من مشكلة هناك؟".
تخيل صورة عقلية لجثة كوتل في الحمام، وجعله الذنب يشعر بالارتباك والتشويش. "مشكلة؟ لا، ولماذا تكون هنا مشكلة؟".
"ألم تتصل للتو إلى هنا وتقبل الخط من دون قول أي شيء؟".
تلبد الغموض في ذهنه لبرهة، ثم تبخر فوراً، نسي لبرهة ماذا تفعل روزالين في قسم الشريف، إنها عاملة الهاتف على رقم الطوارئ 911.
يظهر اسم وعنوان كل متصل بالرقم 911 على شاشتها ما إن ترفع السماعه.
سأل وهو يفكر بسرعة، أو يحاول ذلك: "كان مجرد- ماذا؟ هل حصل ذلك قبل دقيقة؟".

قالت روزالين: "قبل دقيقة وعشر ثوانٍ من الآن. هل...؟".
قال: "ما فعلته هو أنني طلبت الرقم 911 فيما أردت في الواقع طلب الاستعلامات".

"هل تعني أنك أردت الاتصال بالرقم 411؟".
"أردت الاتصال بالرقم 411، لكنني ضغطت على 911، أدركت فوراً ما فعلته، فأقفلت الخط".

لا يزال القاتل في المنزل. اتصل القاتل بالرقم 911، لم يستطع يبلي معرفة لماذا فعل ذلك، أو ما أمل تحقيقه، على الأقل ليس تحت هذا الضغط.

سألت روزالين تشان: "لماذا لم تبقَ على الخط وتخبرني أنك أجريت الاتصال خطأ؟".

"أدركت الخطأ على الفور، فأقفلت السماعة بسرعة كبيرة بحيث ظننت أن الاتصال لم يتم بعد، كان هذا غباءً، أنا آسف روزالين، كنت أتصل بالرقم 411".
"إذا أنت بخير؟".

"أنا بخير، فقط هذا الحر المجنون".

"ألا تملك مكيف هواء؟".

"أملكه، لكنه معطل".

"هذا مقرف".

"تماماً".

استلقى المسدس على المكتب، رفعه يبلي، القاتل موجود في المنزل.
قالت: "هاي، قد أمرت إلى المشرب قرابة الساعة الخامسة".
"حسناً، لن أكون هناك، أشعر ببعض الغثيان، ولذلك اتصلت وأخبرتهم أنني مريض".

"ظننت أنك قلت إنك بخير".

إنه يعلق بسهولة، يحتاج إلى البحث عن الغريب في منزله، لكن عليه أن يبدو منطقياً أمام روزالين.

"أنا بخير، ما من شيء خطير، فقط بعض الألم في المعدة، إنه ربما زكام الصيف، أستعمل ذلك الهلام للأنف".

"أي هلام؟".

"تعرفين، هلام الزنك، تعصرينه على أنفك فيزيل الزكام منك".
قالت: "أظن أنني سمعت عن ذلك".

"إنه جيد، إنه مفيد، وصفه لي جاكبي أوهارا، يجب إبقاؤه في متناول اليد".

سألت: "إذاً كل شيء بخير هناك؟".

"باستثناء الحرّ وإحساسي بالغثيان، لكن لا يمكنك فعل الكثير حيال ذلك، لا يستطيع الرقم 911 معالجة الزكام أو مكيف الهواء، أنا آسف، روزالين، أشعر أنني غبي".

"ليست مشكلة كبيرة، نصف الاتصالات التي نتلقاها ليست حالات طوارئ".

"حقاً؟".

"يتصل الأشخاص لأن الهرّ علق في الشجرة، أو لأن الجيران يقيمون حفلة كثيرة الضجة، أو مثل هذه الأمور".

"يجعلني ذلك أشعر بالتحسن، على الأقل، لست أغبي واحد على الأرض".

"اعتن بنفسك بيبي".

"سأفعل، وأنت أيضاً، اهتمي بنفسك".

قالت: "وداعاً".

أغلق السماعه، ونهض عن كرسية.

فيما كان يبلي في الحمام مع الجثة، عاد القاتل إلى المنزل، أو كان موجوداً أصلاً في الداخل، محتبئاً في خزانة أو في مكان ما لم يتحقق منه يبلي.

يملك الرجل شجاعة كبيرة، شجاعة كبيرة جداً، عرف بشأن المسدس عيار 0.38 ملم، لكنه عاد إلى المنزل واتصل بالرقم 911 فيما كان يبلي ينزع غطاء الفينيل عن الكمبيوتر.

لا يزال القاتل هنا ربما، يفعل ماذا؟ يفعل شيئاً ما.

اجتاز يبلي المكتب وصولاً إلى الباب، الذي تركه مفتوحاً. خرج منه بسرعة وهو يضع يديه على المسدس، ويجرّكه يميناً ويساراً. ليس القاتل في الممر، إنه في مكان ما.

الفصل 27

بالسرغم من أن يبلي وايلز لم يكن يضع ساعة معصمه، عرف أن الوقت يمرّ بسرعة مثلما يمرّ الماء عبر منخل.

في غرفة النوم، فتح أحد أبواب الخزانة، لا أحد.

المساحة تحت السرير ضيقة جداً، لن يختار أحد الاختباء هناك لأن الخروج بسرعة ليس ممكناً، سيكون هذا المخبأ مصيدة، بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد شرشف كبير ليغطي المساحة المنخفضة.

النظر تحت السرير سيكون مضيعة للوقت، توجه ببلي نحو الباب، عاد إلى السرير، وركع على ركبة واحدة، مضيعة للوقت.

لقد رحل القاتل، إنه مجنون، لكنه ليس مجنوناً كفاية للبقاء هنا بعد الاتصال بالرقم 911 وإقبال الخط.

في الممر مجدداً، أسرع ببلي إلى عتبة الحمام، جلس كوتل وحيداً هناك.

كانت ستارة المغطس مفتوحة، لو كانت مسدلة، لكان المغطس مكاناً رئيساً للبحث فيه، ثمّة خزانة كبيرة تحت سخّان الماء العامل عبر الوقود. لا تكشف عن خيارات.

غرفة الجلوس، مساحة مفتوحة، يسهل فحصها بالعينين.

يحتوي المطبخ على خزانة طويلة ضيقة، لا فائدة.

فتح الباب المؤدي إلى غرفة الطعام؛ معلّبات، علب معكرونة، قناني صلصة حريفة، لوزام منزلية، لا مجال لاختباء رجل كبير.

في غرفة الجلوس مجدداً، مرر المسدس بعمق تحت أريكة، لا توجد كتلة ظاهرة، لكن لو ارتطم المسدس بشيء، لأحس.

ترك الباب الأمامي مفتوحاً، دعوة، قبل الدخول مرة جديدة إلى الحمام، أغلق الباب.

بدا كوتل، مع رأسه المرتد إلى الخلف وفمه المفتوح، ويديه معاً في حضنه كما لو أنه يصفق، كأنه كان يغني أغنية غربية ويعدّ الوقت.

احتكت السكين بالعظم فيما سحبها بيلى خارج الجرح، ملاً الدم نصل السكين.

سحب بضعة مناديل ورقية من علبة موضوعة قرب حوض غسل الصحون، ونظف السكين، جمع الأوراق في كتلة ووضعها فوق صندوق الطرد.

طوى النصل في المقبض الأصفر، ووضع السكين قرب المغسلة.

عندما أزاح بيلى الجثة عن المرحاض، سقط الرأس إلى الأمام، وخرجت غازات من الشفتين، كما لو أن كوتل مات وهو يستنشق الهواء، كما لو أن نفسه الأخير كان عالقاً، حتى الآن، في حنجرتة.

طوّق ذراعيه تحت ذراعيّ الرجل الميت. رفعه بيلى عن المرحاض، محاولاً تفادي الجزء المبلل بالدم في سترة البدلة.

كان كوتل نحيلاً جداً بفعل حمية المشروبات التي يتبعها، فبدا وزنه بالكاد أكثر من وزن مراهق، إلا أن نقله سيكون صعباً لأنه نحيل وطويل الساقين.

لحسن الحظ أن التخشب الموتى لم يبدأ بعد، كان كوتل طرياً ومطواعاً.

تراجع بيلى إلى الخلف، وجرّ الجثة خارج الحمام، أطلق حذاء الرجل الميت صوت صرير على أرضية السيراميك.

زحف الحذاء على الأرضية المصقولة بخشب الماهوغاني في الردهة والمكتب أيضاً، مروراً حول المكتب، حيث أخفض الجثة أمام المكتب الخشبي.

سمع بيلى نفسه يتنفس بقوة، ليس بسبب الجهد وإنما بسبب القلق الشديد.

مرّ الوقت بسرعة، مثل نهر في شلال.

بعدما أزاح كرسي المكتب جانباً، وضع الجثة في مساحة الركبتين، توجب عليه ثني الساقين ليتسع الرجل في الفراغ. أعاد الكرسي أمام الكمبيوتر مجدداً، دفعها داخل مساحة الركبتين قدر الإمكان.

كان المكتب عميقاً وله لوح عزلة في الأمام، يتوجب على أي شخص يدخل الغرفة أن يمشي وراء مكتب العمل ويحديق عمداً إلى فراغ الركبتين لرؤية الجثة.

حتى ذلك الوقت، وبسبب الكرسي وحسب زاوية الرؤية، قد لا تكشف النظرة العادية عن هذا السر المخيف. سيكون الظل مفيداً، أظفاً بيلى نور السقف، ترك فقط مصباح المكتب.

عاد إلى الحمام مرة جديدة، ورأى بقعة دم على الأرض، لم يكن يوجد أي شيء قبل أن يحرك كوتل.

كان قلبه يخفق في صدره بسرعة كبيرة تتخطى كل الحدود. خطأ واحداً، إذا ارتكب خطأ هنا، سيقضى عليه.

ضاع إدراكه للوقت، عرف أن يضع دقائق فقط مرّت على بحثه في المنزل، لكنه شعر كأن عشر دقائق مرّت، لا بل خمس عشرة دقيقة.

تمنى لو أنه يضع ساعة معصمه، لا يجرؤ على تبديد الوقت للذهاب وإحضارها عن درايزون المصطبة.
مسح بقعة الدم عن الأرض بواسطة مناديل الحمام، أصبحت الأرضية نظيفة، لكن بقعة ملونة خفيفة بقيت في قسم من الملاط، بدت مثل صدأ وليست دماً، هذا ما أراد تصديقه.
أسقط في المرحاض كتلة مناديل الحمام، وكذلك المناديل الورقية التي استخدمها لمسح نصل السكين، ضغط على دورة المياه.
كان سلاح الجريمة على الرف قرب المغسلة، وضعه في قعر درج، بين قناني مستحضر الحلاقة وزيت الاسمرار.
عندما أغلق الدرج بسرعة كبيرة، وقوة كبيرة، صدر صوت مثل صوت الرصاص، عرف أنه يحتاج إلى سيطرة أكثر على نفسه.

علمنا أن نهم وألا نبالي، علمنا أن نبقي ساكنين.
سيبقى أكثر هدوءاً لو تذكر هدفه الحقيقي، هدفه الحقيقي ليس الحلقة المفرغة للتفكير والتصرف، وليس الحفاظ على حرته أو حتى حياته، يجب أن يعيش لكي تعيش، عاجزة وإنما آمنة، عاجزة ونائمة وحالة وإنما غير معرضة للإهانة أو للشر.
إنه رجل سطحي، لقد أثبت ذلك غالباً لنفسه.
في وجه المعاناة، لم يملك قوة الإرادة لتابعة موهبته في التأليف، رفض الموهبة ليس فقط مرة واحدة وإنما مرات عدة، لأن المواهب الممنوحة بالقوة التي منحتها هذه الموهبة تحديداً موجودة باستمرار ولا يمكن أن تفضي إلى أي شيء إذا تم رفضها باستمرار.
خلال معاناته، قهرته قيود اللغة، التي يفترض أن تكون قوته، غلبته هذه القيود، وهذا ما كان يفترض ألا يحصل.

إنه رجل سطحي، لا يملك داخله القدرة على الاهتمام بعمق في الناس، على قبول كل جار داخله من دون شروط، قوة الشفقة داخله هي مجرد قدرة، ويبدو أن إمكانياتها محصورة بالاهتمام بامرأة واحدة.

بسبب هذه السطحية، رأى أنه رجل ضعيف، ليس ضعيفاً ربما بقدر رالف كوتل، وإنما غير قوي، أصابته القشعريرة لكنه لم يتفاجأ أبداً حين قال الغبي التمل أرى أنك تشبهني قليلاً.

المرأة النائمة، الآمنة والحاملة، هي هدفه الوحيد وأيضاً أمله الوحيد، لذا، عليه أن يهتم ولا يهتم، عليه أن يكون قوياً.

بات أكثر هدوءاً مما كان عندما أغلق الدرج، تأمل يبلي الحمام مرة جديدة. لم ير أي دليل على الجريمة.

لا يزال الوقت مثل نهر متدفق، مثل عجلة تدور بسرعة.

أعاد، بسرعة وإنما بتمعن، النظر في الطريق الذي جرّ الرجل الميت عبرها، باحثاً عن بقع دم إضافية مثل تلك الموجودة في الحمام، لم يكتشف أي شيء.

شك في نفسه، فجال بسرعة ومرة جديدة في الحمام، وغرفة الجلوس والمطبخ، حاول أن يرى كل شيء بعيني السلطة المشككة.

وحده الوضع على المصطبة الأمامية يجب ترتيبه، لقد ترك تلك المهمة للنهاية لأنها أقل إلحاحاً من الحاجة إلى إخفاء الجثة.

لا يملك الوقت للتوجه إلى المصطبة، أخذ من خزانة المطبخ قنينة الشراب التي شرب منها ليلة الاثنين، ارتشف الشراب الاسكتلندي مباشرة من القنينة.

لكن بدل ابتلاع الشراب الاسكتلندي، حركه بقوة بين أسنانه، وحول فمه، كما لو أنه غسول للفم، كلما أبقى الشراب لوقت أطول في فمه، احترقت لثته ولسانه ووجنتيه أكثر.

بصق الشراب الاسكتلندي في حوض غسل الصحون قبل أن
يغرغر.

شطف فمه بجرعة أخرى وإنما ترك الشراب تتحرك في حنجرتة
لبضع ثوانٍ.

بصق هذه الجرعة الثانية في حوض غسل الصحون فيما سمع
صوت قرع عالٍ وطويل على الباب الأمامي.

أربع دقائق مرّت ربما على إقفاله الهاتف مع روزالين تشان، أو
ربما خمس، شعر كأنها ساعة، شعر كأنها عشر ثوانٍ.

عندما سمع صوت القرع، فتح يبلي صنوبر الماء البارد لغسل
الشراب الاسكتلندي من قعر حوض غسل الصحون، ترك الماء يجري
من الصنبور.

خلال الهدوء الذي تلا صوت القرع على الباب، أغلق غطاء قنينة
الشراب الاسكتلندي وأعادها إلى الخزانة.

عاد إلى حوض غسل الصحون مرة جديدة، وأقفل صنوبر الماء
فيما سمع صوت القرع على الباب مجدداً.

الإجابة على صوت القرع من المرة الأولى قد يجعله يبدو قلقاً،
والانتظار للصوت الثالث قد يجعله يبدو وكأنه يفكر في عدم الإجابة
على الإطلاق.

عبر غرفة الجلوس، وفكر في تأمل يديه، لم يرَ أي دم.

الفصل 28

عندما فتح بيلى وايلز الباب الأمامي، وجد نائب الشريف يقف على مسافة ثلاث خطوات حذرة من العتبة وإلى جانب واحد. اتكأت اليد اليمنى للشرطي على المسدس في قرابه عند وركه، وارتاحت هناك ليس كما لو أنه مستعد لسحب المسدس، وإنما بطريقة عفوية مثلما يقف شخص ويضع يده على وركه.

أمل بيلى في أن يعرفه، لكنه لا يعرفه.

أشارت اللصيقة الموضوععة على سترة الشرطي إلى أن اسمه الرقيب ف. نابوليتينو.

في السادسة والأربعين، كان لاني أولسن في المنصب نفسه - نائب الشريف - الذي دخل فيه الخدمة كرجل شاب.

في بداية العقد الثاني، تمت ترقية ف. نابوليتينو إلى رتبة رقيب، يملك الطلة المصقولة، والواضحة، والذكية لرجل يمكن أن يصبح ملازماً في الخامسة والعشرين، نقيباً في الثلاثين، رائداً في الخامسة والثلاثين وعميداً قبل الأربعين.

كان بيلى يفضل أن يرى أمامه النموذج البدين والممتلئ والمنهك والمتشائم، إنه ربما أحد هذه الأيام التي يجدر بك البقاء فيها بعيداً عن الروليت لأن كل رهان على الأسود يضمن رقماً أحمر.

"سيد وايلز؟"

"نعم، هذا أنا."

"ويليام وايلز؟"

"بيلي، نعم".

بدّل الرقيب نابوليتينو انتباهه بين بيلي وغرفة الجلوس وراءه.
بقي وجه الرقيب خالياً من التعابير، لم تكشف عيناه عن تفهم
ولا عن قلق، ولا عن تعب، وإنما كانتا فقط حذرتين.
"سيد وايلز، هل تمانع أن تأتي معي إلى سيارتي؟".
ركنت سيارة قسم الشريف في المر.
سأل بيلي: "هل تريد الدخول؟".
"ليس بالضرورة سيدي، فقط دقيقة أو دقيقتين إلى السيارة، إذا
كنت لا تمانع".

بدا ذلك مثل طلب، لكنه لم يكن كذلك.
قال بيلي: "طبعاً، حسناً".

انعطفت سيارة شرطة ثانية عن الزفت الأسود، ودخلت المر،
وتوقفت على مسافة عشر أقدام من السيارة الأولى.
فيما تمدد بيلي نحو المقبض لإغلاق الباب الأمامي وراءه، قال
الرقيب نابوليتينو: "لماذا لا تترك الباب مفتوحاً سيدي".
لم توضح نبرة صوت الرقيب ما إذا كان هذا سؤالاً أو اقتراحاً،
ترك بيلي الباب مفتوحاً، توقع منه نابوليتينو أن يمشي أمامه.
داس بيلي قنينة الشراب، وتجاوز الشراب المراق على الأرض.
بالرغم من أن البقعة عمرها أقل من خمس عشرة دقيقة، تبخر
أكثر من نصفها بفعل الحرارة، في الهواء الساكن، فاحت رائحة الشراب
الاسكتلندي من المصطبة.

نزل بيلي الدرج وتوجه إلى المرج، لم يزعم أنه غير ثابت، ليس
ممثلاً بارعاً كفاية لتأدية دور الثمل، ويمكن لأي محاولة من هذا النوع
أن تثير الشك في صراحته.

أراد الاعتماد على رائحة نَفَسه المحتملة للإيحاء بشرب الشراب وإعطاء مصداقية للرواية التي ينوي سردها.

فيما خرج شرطي من سيارة الشرطة الثانية، تعرف إليه بييلي، سام سوياسكي، إنه أيضاً رقيب، وأكبر بخمس سنوات تقريباً من الرقيب نابوليتينو.

يأتي سوياسكي إلى المشرب بين الفينة والأخرى، مع رفيقة له عادة، يأتي لتناول الطعام أكثر مما يأتي للشرب، ويكتفي بشرب كأسين من شراب الشعير كحدّ أقصى.

لا يعرفه بييلي جيداً، ليسا صديقين، لكن معرفته قليلاً أفضل من التعاطي مع غريبين.

على المرج الأمامي، استدار بييلي للنظر إلى المنزل. لا يزال نابوليتينو على المصطبة. وصل إلى الدرجات وبدأ ينزل من دون أن يدير ظهره تماماً للباب المفتوح أو للنوافذ، لكنه بدا غير مهتم على الإطلاق.

سار الآن في المقدمة، واستدار مع بييلي حول سيارة الشرطة بحيث أصبحت هذه الأخيرة بينهما وبين المنزل.

انضم إليهما الرقيب سوياسكي. "مرحبا بييلي".

"حضرة الرقيب سوياسكي، كيف حالك؟".

ينادي الجميع نادل المشرب باسمه الأول، في بعض الحالات، تكون المودّة متوقعة في المقابل، لكنها ليست كذلك في هذه الحال.

قال سوياسكي: "البارحة كان يوم الفليفلة الحريفة، ونسيت".

قال بييلي: "يحضّر بين أفضل فليفلة حريفة".

قال سوياسكي: "بين بارع جداً في الفليفلة".

كانت السيارة مثل مغنطيس للشمس، حارقة الهواء حولها وحارقة
حتماً على اللمس.

بما أنه كان أول الواصلين، تولى نابوليتينو المهمة. "سيد وايلز، هل
أنت بخير؟".

"طبعاً، أنا بخير، أعتقد أن الأمر متعلق بحماقتي".

قال نابوليتينو: "اتصلت بالرقم 911".

"أردت الاتصال بالرقم 411. أخبرت روزالين تشان".

"لم تخبرها إلى أن عاودت هي الاتصال بك".

"أقفلت الخط بسرعة كبيرة بحيث لم أدرك أن الاتصال تم".

"سيد وايلز، هل أنت معرض لأي إكراه بالتهديد؟".

"إكراه بالتهديد؟ هاي، لا، تقصد أن شخصاً ما كان يضع

المسدس في رأسي حين كنت على الهاتف مع روزالين؟ واو، هذه فكرة
غريبة فعلاً، لا أقصد الإهانة، أعرف أن هذا النوع من الأمور يحصل،
ولكن ليس معي".

حذر بيلى نفسه بضرورة إعطاء أجوبة مقتضبة، فالأجوبة الطويلة
قد تبدو مثل الشرثرة العصبية.

سأل نابوليتينو: "قلت إنك مريض لمركز عمالك؟".

"نعم". كثر ولكن بطريقة دراماتيكية، ووضع يداً على بطنه.

"أعاني من وجع في المعدة".

أمل في أن يشم رائحة نفسه، استطاع شخصياً شمها، إذا استطاعا
شم رائحة نفسه، سيظنان أن ادعائه بالمرض هو محاولة سخيفة لإخفاء
حقيقة كونه ثملاً قليلاً.

"سيد وايلز، من يعيش غيرك هنا؟".

"لا أحد، فقط أنا، أعيش وحيداً".

"هل من أحد في المنزل الآن؟".

"لا. لا أحد".

"لا صديق أو فرد من العائلة؟".

"لا. ولا حتى كلب، أفكر أحياناً في إحضار كلب، لكنني لا أفعل

ذلك أبداً".

لم يكن الموضع أكثر حدة من عينيّ الرقيب نابوليتينو. "سيدي، إذا

كان يوجد رجل شرير هناك...".

طمأنه بيلى: "لا رجل شرير".

"إذا تم احتجاز شخص يهملك أمره تحت قوة الإكراه، فإن أفضل

شيء تفعله هو إخباري".

"طبعاً، أعرف ذلك، ومن لا يعرف ذلك؟".

قوة الحرارة الخارجة من السيارة المسفوعة بالشمس جعلت بيلى

نصف مريض، ذبل وجهه، بدا أن الرقيب لم ينزعجاً من الهواء

الحار.

قال سوبياسكي: "تحت الضغط والترهيب، يتخذ الناس قرارات

سيئة، بيلى".

قال بيلى: "الله. جعلت نفسي أحمق فعلاً هذه المرة، بإفقال الخط

في وجه الرقم 911، ومن ثم بما قلته لروزالين".

سأل نابوليتينو: "ماذا قلت لها؟".

كان بيلى واثقاً من أنهما يعرفان الأمور الأساسية لما قاله، وهو

يتذكر بوضوح تام كل كلمة قالها، لكنه أمل في إقناعهما بأنه مرتبك

جداً بفعل الشراب ليتذكر كيف أوقع نفسه في هذه الورطة.

"مهما قلت، لا بد أنه كان غباء مني إذا أوحيت إليها بأن شخصاً

ما يسبب لي مشكلة، إكراه بالتهديد، يا الله، هذا محرج جداً".

هزّ رأسه على غيائه، وأطلق ضحكة جافة، وهزّ رأسه مجدداً.
راقبه الرقيبان.

"لا يوجد أحد هنا سواي، تمر أيام ولا يأتي أحد إلى هنا، لا يوجد أحد هنا سواي، أبقى دوماً وحيداً، هكذا أنا".
هذا كاف، أصبح قريباً جداً من الشرثرة مجدداً.
إذا كانا يعرفان بشأن باربارة، فإنهما يعرفان كيف هو، وإذا كانا لا يعرفان بشأنها، ستخبرهما روزالين.

لقد جازف بالقول إن أحداً لم يزره منذ أيام، عن طريقة الصبح أو الخطأ، شعر كأنه يجدر به الإشارة إلى حياته المنعزلة.
إذا رأى أحد في المنازل المجاورة رالف كوتل وهو يمشي في هذا المر أو لاحظته جالساً على المصطبة، وإذا قرر الرقيبان استجواب الجيران، سيعلق ببلي في الكذب.

سأل نابوليتينو: "ماذا حصل لجبينك؟".

حتى تلك اللحظة، نسي ببلي أمر جروح الصنانير في حاجبه، لكن أماً حاداً انبعث فيها عندما طرح الرقيب السؤال.

الفصل 29

أصرّ الرقيب نابوليتينو: "أليست هذه ضمادة؟".
بالرغم من انسدال شعر بيلي الكثيف فوق جبينه، لم يخفِ تماماً
ضمادات الشاش والشريط اللاصق.
قال بيلي "تعرضت لحادث بسيط بالمنشار"، وهو متفاجئ قليلاً
بالسرعة التي خطرت له هذه الكذبة.
قال الرقيب سوبياسكي: "يبدو حادثاً مهماً".
"لا، ليس شيئاً مهماً، أملك محترفاً لحفر الخشب في المرآب،
صنعت بنفسى كل خزانات المنزل، الليلة الماضية، كنت أعمل على
شيء ما، أقطع خشبة جوز، وكانت هناك عقدة فيها، أصابت الشفرة
العقدة، وتناثرت بضغ شظايا على جبينى".
قال سوبياسكي: "قد تخسر عيناً بهذه الطريقة".
"أضع نظارة وقاية، أضع دوماً نظارة وقاية".
قال نابوليتينو: "هل ذهبت إلى طبيب؟".
"لا. لا حاجة، مجرد شظايا قليلة، نزعته بواسطة ملقط صغير،
اللعنة، السبب الوحيد الذي دفعني إلى استعمال الضمادة هو أنني
أحدثت المزيد من الأذى بالملقط الصغير عندما حاولت إخراج
الشظايا".
"انتبه من الالتهاب".
"نقعت الجروح في بيروكسيد الهيدروجين، ثم وضعت
النيوسبورين عليها، سأكون بخير، يحصل هذا النوع من الأمور".

شعر بيلبي أنه أشبع فضولهما، بالنسبة إليه، لا يبدو مثل رجل معرض للإكراه بالقوة، مع مشكلة حياة أو موت. كانت الشمس حارقة جداً، والحرارة الخارجة من السيارة شوته بفاعلية أكثر مما قد يفعل المايكروويف، لكنه كان بارداً. عندما اتخذت الأسئلة منحى سلبياً وأكثر عدائية، لم ينتبه فوراً إلى التغيير.

قال نابوليتينو: "سيد وايلز، هل اتصلت بعدها بالاستعلامات؟".
"فعلت ماذا؟".
"بعدها طلبت خطأ الرقم 911، وأقفلت الخط، هل اتصلت بالرقم 411 مثلما كنت تنوي؟".
"لا، جلست هناك لدقيقة أفكر في ما فعلته".
"جلست هناك لدقيقة تفكر كيف طلبت خطأ الرقم 911؟".
"حسناً، ليس دقيقة كاملة. مهما كان الوقت، لم أشأ ارتكاب خطأ مجدداً، كنت أشعر بالقليل من الغثيان، مثلما قلت، معدتي، ثم اتصلت بي روزالين".
"قبل أن تطلب الرقم 411 للاستعلامات، اتصلت هي بك".
"هذا صحيح".
"بعد حديثك مع عاملة الهاتف على الرقم 911...".
"روزالين".
"نعم، بعد حديثك معها، هل اتصلت بالرقم 411؟".
تفرض شركة الهاتف رسم خدمة على كل اتصال بالرقم 411. إذا أجرى اتصالاً، سيملكون سجلاً له".
قال بيلبي: "لا، شعرت أنني شخص أحمق، احتجتُ إلى كأس شراب".

الإشارة إلى الشراب جاءت بصورة طبيعية، كما لو أنه حاول إقناعهما بشمله المفترض. ظنّ أنه بدا مقنعاً ومنطقياً.

قال نابوليتينو: "ما هو الرقم الذي أردت الحصول عليه لو اتصلت بالرقم 411؟".

أدرك بيلي أن هذه الأسئلة لم تعد مرتبطة برفاهته وسلامته، ثمّة عدائية مخفية صبغت أسئلة نابوليتينو، بطريقة رقيقة وإنما واضحة.

تساءل بيلي إذا كان يجدر به الاعتراف علناً بهذا التطور وسؤالهما عن نيتهما، لا يريد أن يبدو مذنباً.

قال: "ستيف. احتجت إلى رقم ستيف زيليس".
"إنه...؟".

"إنه نادل في المشرب".

سأل نابوليتينو: "يعمل مكانك حين تكون مريضاً؟".

"لا. يعمل في المناوبة التي تلي مناويتي. لم يهمّ ذلك؟".
"لماذا أردت الاتصال به؟".

"أردت فقط تحذيره في أثناء غيابي، وأنه عندما يأتي إلى العمل، سيتوجب عليه ترتيب الفوضى لأن جاكبي سيكون مسؤولاً عن المشرب وحده".

سأل نابوليتينو: "جاكبي؟".

"جاكبي أوهارا، إنه صاحب المشرب، إنه يعمل مكانك، لا يرتّب جاكبي المشرب باستمرار، المشرب السفلي، مثلما يجب، تتراكم الأوساخ والبقع فوق بعضها بحيث يحتاج الرجل الذي يأتي بعده إلى خمس عشرة دقيقة مسعورة للتنظيف وترتيب مكان العمل مجدداً".

كلما توجب على بيلي إعطاء جواب أطول وأكثر تفسيراً، يسمع

ارتعاشاً في صوته، لا يظن أنه يتخيل ذلك، اعتقد أن الرقيين استطاعا سماع الارتعاش أيضاً.

يتحدث الجميع بهذه الطريقة ربما عند التحدث إلى رجال شرطة لوقت طويل، قد يكون عدم الارتياح طبيعياً.

إلا أن تحريك السيدين كثيراً ليس طبيعياً، خصوصاً بالنسبة إلى بيلي، خلال إجاباته الطويلة، لاحظ أنه يحرك يديه كثيراً، ولا يستطيع التحكم فيهما.

بطريقة دفاعية، وإنما محاولاً أن يبدو عفويًا، وضع يديه في جيبي سرواله، عثر في كل جيب على ثلاث خراطيش من عيار 0.38 ملم، ذخيرة احتياطية.

قال نابوليتينو: "أردت إذاً تحذير ستيف زيليس من أنه سيواجه فوضى".

"هذا صحيح".

"ألا تعرف رقم هاتف السيد زيليس؟".

"لا أتصل به غالباً".

لم تعد هذه محادثة بريئة من الأسئلة والأجوبة، لم يصل إلى مستوى الاستحواب بعد، لكنهما في الطريق إلى ذلك.

لم يفهم بيلي تماماً لم تكون الحال كذلك؛ سوى أن يكون سلوكه وأجوبته بريئين مثلما ظن.

"أليس رقم السيد زيليس مذكوراً في الدليل؟".

"أظن ذلك، لكن من الأسهل أحياناً الاتصال بالرقم 411".

قال نابوليتينو: "إلا إذا طلبت خطأ الرقم 911".

قرر بيلي أن عدم الإجابة أفضل من جرّ نفسه إلى الغباء، مثلما فعل قبلاً.

إذا تدهور الوضع إلى مرحلة يقرران فيها تفتيشه، أو حتى تربيته،
سيعثران على الخراطيش في جيوبه.

تساءل إذا كان في وسعه تبرير وجود الخراطيش بكذبة أخرى
سهلة ومقنعة، في الوقت الحاضر، لا يستطيع التفكير في واحدة.
لكنه لا يصدق أن الأمر سيصل إلى هذه المرحلة، فالشرطيان هنا
لأنهما ظنا أنه في خطر ربما، عليه فقط إقناعهما بأنه في أمان،
ويرحلان.

إلا أن شيئاً قاله - أو لم يقله - جعل الشك يساورهما، إذا
استطاع العثور على الكلمات الصحيحة، الكلمات السحرية، سيذهب
الشرطيان بعيداً.

الآن، هنا، توقف مجدداً أمام حدود اللغة.
بقدر ما بدا التغيير حقيقياً في موقف نابوليتينو، ثمة شيء في بيلي
قال له إنه يتخيله، محاولة إخفاء قلقه بدلت إدراكاته، وجعلته يشعر
ببعض الخوف الكبير.

طلب من نفسه البقاء ساكناً، التحلي بالصبر.
قال نابوليتينو: "سيد وايلز، هل أنت واثق تماماً من أنك اتصلت
شخصياً بالرقم 911؟".

بالرغم من أن بيلي سمع تماماً الجملة، لم يستطع فهم معناها تماماً،
لم يستطع فهم النية الكامنة وراء السؤال، ونظراً إلى كل شيء قاله لهما
حتى الآن، لم يعرف ما هو الجواب الذي يتوقعانه منه.

أح نابوليتينو: "هل من أي احتمال أن يكون شخص آخر في
منزلك أجرى ذلك الاتصال بالرقم 911؟".

ظن بيلي لبرهة أنهما يعرفان نوعاً ما بشأن القاتل، لكنه فهم بعد
ذلك، لقد فهم.

كان سؤال الرقيب نابوليتينو مصاغاً بطريقة موجهة نحو التحديات القانونية النهائية لإجراءات الشرطة. ما أراد سؤاله لييلي كان أكثر صراحة: سيد وايلز، هل تحتجز أحداً في منزلك تحت الإكراه، وهل تحررت لوقت طويل كفاية لطلب الرقم 911، وهل أبعدت الهاتف عن يده وأقفلت السماعة، على أمل ألا يكون الاتصال قد تم".

لطح السؤال بطريقة أكثر فظاظة مما فعل، يتوجب على نابوليتينو أولاً إبلاغ بييلي بحقه الدستوري في البقاء صامتاً حتى حضور محامٍ للاستجواب.

أصبح بييلي وايلز مشتبهاً به.

كان على الحافة، شفا الكارثة.

لم يحسب بييلي أبداً الخيارات والعواقب بهذه الطريقة، مدركاً أن كل ثانية من التردد تجعله يبدو مذنباً أكثر.

لحسن الحظ، لم يضطر إلى قمع تعبير الدهول، لا بد أن فكاه بدا منفصلاً عن فمه.

غير واثق من قدرته على التظاهر بالغضب أو حتى الإهانة من أي قناعة، لعب بييلي بدل ذلك لعبة المفاجأة الحقيقية: "يا الله، لا تظن...؟ هل تظن أي... الله، أنا آخر شخص أتوقع أن يتم اعتباره إرهابياً".

لم يقل نابوليتينو أي شيء.

وكذلك سوبياسكي.

كانت عيونهما جامدة مثل محور الجيروسكوب الدوار.

قال بييلي: "طبعاً عليك التفكير في هذا الاحتمال، أفهم، فعلاً، لا بأس، اذهب إلى الداخل إذا شئت. ألق نظرة".

"سيد وايلز، هل تدعوني إلى تفتيش منزلك بحثاً عن متطفل أو آخرين؟".

لامست أطراف أصابعه الخراطيش في جيبه، وتذكر في مخيلته صورة كوتل في مساحة الساقين تحت المكتب...
قال بدمائة، كما لو أنه مرتاح لأنه فهم أخيراً ما هو المطلوب منه: "ابحث عن أي شيء، هيا".
"سيد وايلز، أنا لا أطلب تفتيش منزلك، هل فهمت الوضع؟".
"طبعاً، أعرف، لا بأس، تفضل فتشه".
إذا تمت دعوتها إلى الدخول، يمكن لأي دليل يعثران عليه أن يتم استعماله في المحكمة، وإذا دخلا بدل ذلك من دون دعوة، من دون مذكرة أو من دون سبب ملائم للاعتقاد أن شخصاً في الداخل قد يكون في خطر، سترفض المحكمة الدليل نفسه.
سيعتبر الرقيبان تعاون بيلي بمثابة دليل موحي بالبراءة.
شعر بارتياح كاف لإخراج يديه من جيبه.
إذا كان منفتحاً، مرتاحاً، مشجعاً كفاية، قد يقران أنه لا ينبغي أي شيء، قد يغادران من دون إزعاج نفسيهما بتفتيش المكان.
نظر نابوليتينو إلى سوياسكي، وأوماً له سوياسكي.
"سيد وايلز، بما أنك تشعر بالتحسن إذا فعلت ذلك، سأقوم بجولة سريعة في المنزل".
استدار الرقيب نابوليتينو أمام سيارة الشرطة، وتوجه إلى درج المصطبة، تاركاً بيلي مع سوياسكي.

الفصل 30

الذنب يفشني نفسه خلال الخوف من الإفشاء، قال أحدهم، ربما شكسبير أو أو.ج. سمبسون. لم يتذكر بيلي من عبّر جيداً عن هذه الفكرة بكلمات، لكنه أدرك الحقيقة في العبارة وشعر بها تماماً الآن.

في المنزل، صعد الرقيب نابوليتينو الدرج الأمامي واجتاز المصطبة، وتجاوز قنينة الشراب والشراب المراق الذي لم يتبخر بعد.

قال سوياسكي: "صارم المظهر".
"عفواً؟".

"فينس، إنه صارم المظهر، ينظر إليك بعينين خاليتين من التعبير، بوجه صامت، لكنه ليس صارماً فعلاً مثلما تظن".

عند الإفصاح عن الاسم الأول للرقيب نابوليتينو، بدا سوياسكي وكأنه يثق في بيلي.

كان بيلي مستعداً تماماً لخيبة الأمل والمراوغة، فشك في أن الرقيب لا يثق فيه وإنما يعتبره مثل عنكبوت يلقي التحية على النحلة الواقعة في شركه بجرارة ومودة.

في المنزل، اختفى فينس نابوليتينو عبر الباب الأمامي المفتوح.

تابع سوياسكي: "لا يزال فينس يحتفظ بالكثير من الأكاديمية في داخله، عندما يتم استفزازه قليلاً، لا يخرج قوياً".

قال بيلي: "إنه ينجز مهمته، أفهم ذلك، لا مشكلة".
بقي سوبياسكي في الممشى لأنه لا يزال يشك جزئياً في ارتكاب
بيلي لجريمة ما، وإلا، لدخل الرقيبان معاً لتفتيش المنزل، بقي الرقيب
سوبياسكي هنا لإلقاء القبض على بيلي إذا حاول الفرار.
"كيف تشعر؟".

قال بيلي: "بخير، أشعر فقط ببعض الغباء لأنني سببت لكما كل
هذه المشكلة".

قال سوبياسكي: "قصدت معدتك".
"لا أعرف، تناولت ربما شيئاً فاسداً".
قال سوبياسكي: "لا يمكن أن يكون طبقاً حريفاً من بين
فيرنون، فتلك الأطباق حريفة جداً بحيث تشفي أي مرض معروف
للعلم".

● مدركاً أن رجلاً بريئاً، لا يخاف من أي شيء، لن يحدق بقلق إلى
المنزل، منتظراً انتهاء نابوليتينو من التفتيش، استدار بيلي بعيداً
عن المنزل وحدق إلى الوادي، إلى الكروم المتألقة بوهج ذهبي،
إلى الجبال الشامخة في الضباب الأزرق.
قال سوبياسكي: "السلطعون يسبب ذلك".
"ماذا؟".

"السلطعون، القريدس، الكركند، إذا كان فاسداً قليلاً، يسبب
انزعاجاً حقيقياً".

"تناولت لازانيا الليلة الماضية".

"يبدو هذا آمناً".

قال بيلي "ربما ليست اللازانيا التي تناولتها"، محاولاً تقليد لامبالاة
سوبياسكي الظاهرة.

قال الرقيب بالقليل من التملل: "هيا فينس، أعرف أنك دقيق، أيها الرفيق، لست مجبراً على إثبات أي شيء لي". ثم سأل بيلي: "هل تملك عليّة؟".

"نعم".

تنهد الرقيب. "سيتحقق من العلية".

خرجت من الغرب مجموعة من الطيور الصغيرة، فحلقت على علوٍ منخفض ثم ارتفعت لتنخفض مجدداً، إنها طيور نقّار، لا تنشط عادة في مثل هذا الحرّ.

سأل سوياسكي: "هل تريد واحدة من هذه؟".

عرض عليه الرقيب الطرف المفتوح لعلبة من أقراص النعناع.

أصيب بيلي لبرهة بالذهول، إلى أن أدرك أن يديه كانتا في جيبيه مجدداً، متحسناً الخراطيش.

أخرج يديه من سرواله. قال، وهو يأخذ قرص نعناع: "أخشى أن الوقت تأخر قليلاً على ذلك".

قال سوياسكي: "مخاطر العمل، حسبما أظن، كونك نادل، تكون محاطاً بتلك الأشياء طوال اليوم".

مصّب بيلي قرص النعناع وقال: "في الواقع، لا أشرب كثيراً، أستيقظ عند الساعة الثالثة، ولا أستطيع إراحة عقلي، فأقلق بشأن الأمور التي لا أستطيع السيطرة عليها على كل حال، فأظن أن جرعة أو جرعتين ستكون مفيدة".

"نعاني جميعاً من ليال كهذه، أنا أسميها نوبات الحنين. لكن لا يمكنك التخلص منها على كل حال، كوب من الشوكولا الساخنة يشفي أي أرق، لكنه لا ينفع مع نوبات الحنين".

"بالرغم من أن الشراب لم ينفع، بقيت طريقة تمضية الليل، ثم الصباح".
"أنت تتحملها جيداً".

"حقاً؟".

"لا تبدو مثلاً".

"لست مثلاً، كنت أشرب قليلاً خلال الساعات القليلة الماضية،
محاوياً تخفيف الأمور لتفادي تأثير الشراب".

"هل هذه هي الطريقة؟".

"إنها واحدة من الطرائق".

يسهل الحديث مع الرقيب سوياسكي، يسهل كثيراً.

حلقت الطيور على علو منخفض في اتجاهها مجدداً، مالت
جانبياً، ثم حلقت في الأعالي، ومالت مجدداً، وكان الثلاثون أو
الأربعون طيراً تحلق معاً بحركة واحدة.

قال سوياسكي عن الطيور: "إنها مصدر إزعاج حقيقي".

طيور النقار، ذات المناقير المستدقة، تحب منازل وإسطبلات ودور
عبادة منطقة نابا لحفر أنماط دقيقة في الكورنيشات الخشبية، والعتبات،
والأفاريز والألواح الخشبية.

قال بيلي: "لا تزعج منزلي أبداً، إنه من خشب الأرز".

يجد العديد من الأشخاص عمل طيور النقار المحرب جميلاً جداً
بحيث لا يتم استبدال الخشب التالف بسببها إلا بعد أن يتلفه الوقت
والعوامل الطبيعية.

سأل سوياسكي: "ألا تحب خشب الأرز؟".

"لا أعرف، لكنها لا تحب خشبي".

بعد أن تنحز طيور النقار حفرها، تزرع البلوط في العديد من
الثقوب، عالياً في المبنى حيث تستطيع الشمس تدفئتها. بعد أيام قليلة،

تعود الطيور للإصغاء إلى البلوط، عند سماع ضجيج في بعضها، وعدم سماع أي شيء في بعضها الآخر، تنقر الطيور حبات البلوط المصدرة للضجيج لتناول اليرقانات التي تعيش داخلها.

هذا كثير لحرمة المنزل.

ينجز كل من طيور النقار والرقيبان عمله.

إلّهما يفعلان ذلك ببطء ومن دون شفقة.

قال بيلي "ليس مكاناً كبيراً"، وهو يسمح لنفسه أن يبدو متململاً قليلاً، مثلما افترض أن يفعل الرجل البريء.

عندما عاد الرقيب نابوليتينو، لم يخرج من الباب الأمامي. ظهر من الجهة الجنوبية للمنزل، من جهة المرأب.

لم يقترب وهو يضع يداً على مسدسه، كانت هذه إشارة جيدة ربما. هربت الطيور إلى زاوية بعيدة في السماء كما لو أنّها خافت من رؤية نابوليتينو.

قال لبيلي: "تملك محترفاً جميلاً للخشب، يمكنك فعل أي شيء هناك".

لفظ الرقيب الشاب الكلمات كما لو أنّ بيلي استخدم الأدوات لتفكيك جثة.

نظر نابوليتينو نحو الوادي وقال: "تملك منظرًا رائعاً هنا".

قال بيلي: "إنه جميل".

"إنه جميل جداً".

وافق بيلي الرأي: "صحيح".

"أنا متفاجئ لأنك تبقي كل ستائر النوافذ مسدلة".

استرخى بيلي بسرعة، قال بنبرة نصف متناسقة: "عندما يكون الطقس حاراً هكذا، أسدل الستائر، بسبب الشمس".

"حتى في جهات المنزل التي لا تضربها الشمس؟".
قال بيلي: "في مثل هذا اليوم الساطع، مع صداد الشراب الاسكتلندي، ترغب في شيء مظلم".
قال سوبياسكي لنابوليتينو: "أمضى الصباح كله وهو يشرب بكميات ضئيلة محاولاً تخفيف الشمالة وتفادي الآثار البغيضة لها".
سأل نابوليتينو: "هل هذه هي الطريقة؟".
"إنها واحدة من الطرائق".
"الجو جميل وبارد هنا".
قال بيلي: "البرودة تساعد أيضاً".
"قالت روزالين إن مكيف الهواء معطل عندك".
نسي بيلي تلك الكذبة الصغيرة، مثل خيط صغير في شبكته المرقعة الهائلة من الكذب.
قال: "يتعطل لبضع ساعات، ثم يعمل، ثم يتعطل مجدداً، لا أعرف إذا كانت المشكلة في الضاغط".
قال نابوليتينو وهو لا يزال يحدق إلى الوادي: "يفترض أن يكون غداً أكثر حرّاً، من الأفضل إحضار عامل تصليح إذا لم يكن محجوزاً أصلاً حتى الميلاد".
قال بيلي: "سألقي نظرة عليه بنفسه بعد قليل، أنا بارع قليلاً في هذه الأمور".
"لا تحاول العبث بالآلة إلا حين تستعيد كامل رزانتك".
"لن أفعل، سأنتظر".
"وخصوصاً المعدات الكهربائية".
"سأحضر شيئاً لتناوله، سيفيدني ذلك، لا بل إنه سيعالج ألم معدتي ربما".

نظر نابوليتينو أخيراً إلى بييلي. "أنا آسف لأنني أبقيتك هنا تحت الشمس، مع صداeck وكل شيء".

بدا الرقيب صريحاً، مسترضياً للمرة الأولى، لكن عينيه بقيتا باردتين وداكتين مثل فوهتيّ مسدسين.

قال بييلي: "الغلطة غلطتي. أنتما تنجران عملكما، لقد قلت بست طرائق قبلاً إنني غبي، ما من طريقة أخرى لقولها، أنا آسف فعلاً لأنني بددت وقتكما".

ابتسم نابوليتينو ابتسامة صغيرة: "نحن هنا للخدمة والحماية، هذا مكتوب على باب السيارة".

قال الرقيب سوياسكي: "أحب أكثر عندما يقال أفضل ما يشتره المال من رجال الشرطة". بحيث خرجت ضحكة كبيرة من بييلي وإنما صدرت فقط نظرة انزعاج من نابوليتينو. "بييلي، لقد حان الوقت ربما للتوقف عن شرب الشراب والبدء بتناول الطعام".
أوماً بييلي برأسه. "أنت محق".

فيما توجه نحو المنزل، شعر أنهما يراقبانه، لم ينظر إلى الخلف. كان قلبه هادئاً نسبياً، عاد الآن ليخفق بقوة مجدداً. لا يستطيع تصديق حظه، حشي ألا يستمر ذلك. على المصطبة، رفع ساعته عن الدرايزون، ووضعها على معصمه. انحنى لرفع قينة الشراب الاسكتلندي، لم يرَ الغطاء، لا بد أنه تدحرج على المصطبة أو تحت كرسي هزاز.

على الطاولة قرب كرسيه، وضع قطع البسكويت الثلاث في العلبة الفارغة، التي احتوت لبعض الوقت المسدس عيار 0.38 ملم، رفع كوب الكولا.

توقع سماع محركيّ سيارتي الشرطة، لكنه لم يسمع أي شيء.

من دون النظر إلى الخلف، حمل الكوب والعلبة والقنينة إلى
الداخل، أغلق الباب واتكأ عليه.
في الخارج، بقي صمت النهار، والمحركان صامتين.

الفصل 31

حذرت الريبة المفاجئة بيلي أنه طالما بقي متكئاً بظهره على الباب، لن يغادر الرقيبان نابوليتينو وسوياسكي.

أصغى جيداً، ثم توجه إلى المطبخ، وضع علبة البسكويت في سلة المهملات.

أصغى جيداً، وأفرغ آخر أونصة من قنينة الشراب الاسكتلندي في حوض غسل الصحون، ثم ألحقها بالكولا الموجودة في الكوب، رمى القنينة في سلة المهملات، ووضع الكوب في غسالة الصحون.

عندما لم يسمع بيلي أي صوت لمحركي السيارتين، أزعجه الفضول بإصرار كبير.

أصبح المنزل المسدل الستائر مصدراً أكبر لرهاب الاحتجاز، بدا له المنزل وكأنه يتقلص إلى حجم تابوت، ربما لأنه يعرف أنه يحتوي على جثة.

ذهب إلى غرفة الجلوس، وحاول رفع إحدى الستائر المثانة، كلها، لكنه لم يشأ أن يظن الرقيبان أنه يرفع الستائر لمراقبتهما وأن وجودهما المستمر يقلقه.

أبعد بجذر طرف إحدى الستائر عن إطار النافذة، ليس في زاوية لرؤية المشى.

انتقل بيلي إلى نافذة أخرى، وحاول مجدداً، رأى الرجلان يقفان أمام سيارة نابوليتينو، حيث تركهما. لم يكن أي من الرقيبين ينظر إلى المنزل. كانا في حديث عميق، يستبعد أهما يناقشان الباييسول.

تساءل إذا كان نابوليتينو فكر في تفتيش المحترف بحثاً عن لوح الخشب المشتمل على العقدة، لن يعثر الرقيب على هذا اللوح طبعاً لأنه غير موجود.

عندما التفت سوياسكي نحو المنزل، أفلت بيلى الستارة على الفور، أمل أنه تحلى بالسرعة الكافية.

قبل أن يذهب، لا يستطيع بيلى فعل أي شيء غير القلق. لكن مع كل الأمور الواجب القلق بشأنها، بدا غريباً أن كل هذه السحابة من القلق تكثفت فوق الفكرة الغريبة أن جثة رالف كوتل لم تعد موجودة تحت المكتب، حيث تركها.

لنقل الجثة، يتوجب على القاتل أن يعود إلى المنزل فيما كان الرقيبان يتحدثان مع بيلى في الممشى، قبل أن يعود هو إلى المنزل، لقد أثبت القاتل جراته، لكن هذا يعتبر هوراً لا بل هوراً شديداً. لكن إذا تم نقل الجثة، عليه العثور عليها، لا يستطيع الانتظار حتى تظهر الجثة فجأة في وقت غير ملائم.

سحب بيلى المسدس من تحت وسادة الأريكة. عندما فتح الأسطوانة وتحقق من وجود الخراطيش الست في مكانها، أكد لنفسه أن هذا شكاً سليماً، وليس رهاباً قوياً. مشى في الردهة، فيما تسارع قليلاً توتر أعصابه، وعندما اجتاز العتبة المؤدية إلى المكتب، تحول القلق إلى إنذار قوي. أبعد الكرسي عن المكتب.

محاطاً بالجهات الثلاث لمساحة القدمين، في الطيات الناعمة لبذلته المتجددة، بدا رالف كوتل مثل حشوة الجوزة المتفوقعة داخل القشرة. قبل دقائق قليلة، لم يتخيل بيلى أبداً أنه سيشعر بالارتياح للعثور على جثة في منزله.

شك في أنه تم زرع قطع عدة من الأدلة التي تربطه بكتول على
جثة الرجل، حتى لو أخذ الوقت لفحص الجثة بدقة، سيفوت حتماً
دليلاً أو آخر.

لا بد من إتلاف الجثة أو حرقها حيث لا يمكن العثور عليها أبداً،
لم يقرر بيلي بعد كيف سيتخلص منها؛ لكن بالرغم من التطورات
المتراكمة للأزمة الحالية، راحت الزوايا المظلمة لعقله تعدّ سيناريوهات
بشعة.

بعدها عثر على الجثة مثلما تركها، اكتشف أيضاً أن شاشة
الكمبيوتر لا تزال مضاءة وتنتظر. لقد حمل القرص الذي وجده في يد
كتول، لكن قبل أن يتمكن من مراجعة محتوياته، اتصلت روزالين تشان
لسؤاله إذا اتصل بالرقم 911.

أعاد الكرسي إلى أمام المكتب مرة جديدة، جلس خلف
الكمبيوتر، واضعاً ساقيه تحت الكرسي، بعيداً عن الجثة.
احتوى القرص على ثلاثة مستندات، الأول اسمه *لماذا* من دون
علامة استفهام.

عندما نفذ إلى المستند، تبين أنه قصير:

لأنني، أنا أيضاً، صياد رجال.

قرأ بيلي السطر ثلاث مرات، لم يعرف ماذا يفعل به، لكن
الجروح في حاجبه ألمته مجدداً.

تعرف على المغزى الديني لهذه العبارة.

الاستنتاج السهل قد يكون أن القاتل متعصب دينياً يظن أنه يسمع
أصواتاً تحثه على القتل، لكن الاستنتاجات السهلة تكون غير صحيحة
عادة، يحتاج التحليل المنطقي السليم إلى أكثر من شكل واحد للتعميم.

بالإضافة إلى ذلك، يملك القاتل ميلاً إلى الازدواجية، قدرة على التشويش والإرباك، موهبة بتوليد خيبة الأمل، وبراعة في الغموض، يفضل المائل على المستقيم، المراوغة على الصراحة.
لماذا.

لأنني أنا أيضاً صياد رجال.

المعنى الحقيقي والكامل لهذه العبارة لا يمكن معرفته بشكل مؤكد حتى بعد قراءتها مئة مرة، وليس في الوقت المحدد الذي يستطيع يبلي حالياً تكرسه لتحليلها.
المستند الثاني اسمه كيف. ولم يكن أقل غموضاً من المستند الأول.

وحشية، عنف، موت
حركة، سرعة، تأثير
لحم، دم، عظم.

بالرغم من افتقاد هذه الأسطر الثلاثة إلى السجع أو القافية، فإنها أشبه بقصيدة، وكما هي الحال في القصائد الأكثر إهاماً، لم يكن المعنى واضحاً.

أحسّ يبلي أن هذه الأسطر الثلاثة هي الأجوبة الثلاثة، وأنه إذا عرف الأسئلة، سيرف أيضاً هوية القاتل.

سواء أكان هذا الانطباع حدساً موثقاً أو وهمًا، لا يملك الوقت الآن للتفكير فيه، لا تزال جثة لاني تنتظر ل يتم التخلص منها، تماماً مثل جثة كوتل، كان يبلي مقتنعاً جزئياً أنه إذا نظر إلى ساعة يده، سيرى الدقائق والساعات تدور بسرعة كما لو أنها مجرد ثوان.

المستند الثالث في القرص كان اسمه متى، وعندما نفذ يبلي إليه، حرّك الرجل الميت قدمه.

لو استطاع بيلى التنفس، لصرخ عالياً، لكن عندما خرج النَّفس العالق من حنجرته، أدرك أن التفسير ليس خارقاً للطبيعة مثلما ظن أولاً.

لم يمسك به الرجل الميت، خلال اضطراب بيلى، ضغط بقدميه على الجثة، فعاد ليضعهما تحت الكرسي مجدداً.
على الشاشة، كشف المستند الذي يحمل اسم متى عن رسالة تستلزم تفسيراً أقل من لماذا وكيف.

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس

انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

الفصل 32

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس
انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

نظر بيلى وايلز إلى ساعة يده، الساعة الثانية عشرة وبضع دقائق
من ظهر يوم الأربعاء.

إذا كان القاتل يقصد فعلاً ما قاله، فإن هذا الأداء، أو مهما كان
اسمه، سيحصل خلال ست وثلاثين ساعة.

الإشارة إلى آخر قتل لا يعني بالضرورة أن جريمة واحدة فقط
ستحصل، خلال اليوم ونصف اليوم الماضي، قتل المهووس ثلاثة
أشخاص، وخلال اليوم ونصف اليوم المقبل، قد لا يكون أكثر
رحمة.

وحشية، عنف، موت. حركة، سرعة، تأثير. لحم، دم، عظم.
بين هذه الكلمات التسع في المستند الثاني، ثمة كلمة لفتت انتباه
بيلى أكثر من الكلمات الأخرى. سرعة.

بدأت الحركة عندما وضعت الورقة الأولى على الزجاج الأمامي
لسيارة الإكسبلورر، التأثير سيأتي مع القتل الأخير، ذلك الذي سيجعله
يفكر في الانتحار.

في غضون ذلك، وبسرعة متزايدة باضطراد، يتم إلقاء تحديات
جديدة على بيلى، مما أفقده التوازن، كلمة سرعة تعده على ما يبدو أنه
لا يزال أمامه أشواط طويلة من هذه الأفعوانية.

لم يتجاهل الوعد بتزايد السرعة ولم يتجاهل التأكيد الواثق من أنه سينتحر.

الانتحار خطيئة كبيرة، لكن بيلي يعرف أنه رجل سطحي، ضعيف في بعض النواحي، مليء بالعيوب، في هذه المرحلة، ليس قادراً على التدمير الذاتي؛ لكن قد تتحطم القلوب والعقول معاً. واجه بعض الصعوبة في تخيل ما قد يدفعه إلى مثل هذا التصرف، في الواقع، لم يواجه أي صعوبة على الإطلاق.

موت باربارة ماندل وحده لن يدفعه إلى الانتحار، طوال أربعة أعوام تقريباً، حَضَّر نفسه لموتها، حاول تعويد نفسه على فكرة العيش من دون الأمل بشفتائها.

إلا أن طريقة قتلها قد تسبب توتراً قاتلاً في الهندسة العقلية لبيلي، في غيبوبتها، قد لا تدرك كثيراً ما فعله القاتل بها، لكن على افتراض أنها معرضة للألم، للإهانات الكبيرة، يتخيل بيلي رعباً كبيراً قد يجعله ينهار.

كان رجلاً يضرب معلمات المدرسة الجميلات حتى الموت ويسلخ وجوه النساء.

بالإضافة إلى ذلك، إذا أراد القاتل هندسة الظروف بحيث يبدو أن بيلي نفسه لم يقتل فقط جيزيل وينسلو، ولايني، ووالف كوتل، وإنما أيضاً باربارة، لن يرغب بيلي حينها في تحمل أشهر من التعرض لضغط الإعلام أو المحاكمات، أو الشك الذي سيحيط به حتى لو تبين أنه بريء في محكمة القانون.

القاتل يقتل للمتعة، وإنما أيضاً بهدف وخطوة، مهما كان الهدف، قد تتمثل الخطوة في إقناع الشرطة أن بيلي ارتكب الجرائم المؤدية إلى قتل باربارة في سريرها في وايسبرينغ باينز، وأن نيته كانت الإيحاء أن

بجرماً خطيراً يجول في المنطقة، وبالتالي إبعاد الشكوك عن نفسه وتوجيهها إلى مريض نفسي غير موجود.

إذا كان القاتل ذكياً - وهو كذلك - ستعتمد السلطات هذه النظرية كما لو أنها حقيقة مؤكدة، في النهاية، يملك بيلي حافظاً قوياً، برأيهم، للانتهاء من باربارة.

رعايتها الطبية مغطاة بمدخول الاستثمار الناجم عن وديعة قدرها سبعة ملايين دولار تم الحصول عليها من الشركة المسؤولة عن غيوبتها، بيلي هو الأول بين ثلاثة قيّمين على إدارة الأموال. إذا ماتت باربارة وهي في الغيبوبة، يكون بيلي الوريث الوحيد لأموالها.

لا يريد المال، لا يريد شيئاً منه، ولن يحتفظ به إذا وصل إليه، في تلك الحال الحزينة، ينوي توزيع الملايين. لن يصدق أحد طبعاً أن هذه نيته. خصوصاً بعدما يكون القاتل قد انتهى من تجريمه، إذا كان هذا ما يفعله القاتل فعلاً.

الاتصال بالرقم 911 أشار إلى هذه النية، لقد لفت انتباه قسم الشريف إلى بيلي في سياق سيتدكرونه... ويتساءلون بشأنه.

جمع الآن بيلي المستندات الثلاثة وطبعها على ورقة واحدة:

لأنني أنا أيضاً صياد رجال.

وحشية، عنف، موت

حركة، سرعة، تأثير

لحم، دم، عظم

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس

انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

باستعمال المقص، شذب بيلى حدود النص لطّي الورقة ووضعها في محفظته، حيث يمكنه الرجوع إليها بسهولة.

عندما انتهى، أدرك أن هذه الورقة مماثلة للأوراق التي تلقى عليها الرسائل الأربع السابقة من القاتل، إذا تم إعداد القرص الذي كان في يديّ كوتل على هذا الكمبيوتر، فإن الرسائل الأربع تمت كتابتها هنا أيضاً ربما.

غادر برنامج مايكروسوفت وورد ثم دخل البرنامج مجدداً، استدعى لائحة الملفات.

لائحة المستندات غير طويلة، لقد استخدم هذا البرنامج فقط لتأليف القصص.

تعرف إلى الكلمات الرئيسة لعناوين روايته الوحيدة والقصص الصغيرة التي ألفها، وكذلك القصص التي لم ينجزها أبداً، ثم مستند واحد فقط بدا غير مألوف له **موت** عندما قام بتحميل ذلك المستند، اكتشف نص الرسائل الأربع للقاتل.

تردد، متذكراً الإجراءات، ثم ضغط على المفاتيح، طالباً التاريخ الذي جرى فيه إعداد المستند للمرة الأولى، وتبين أنه عند الساعة 10:09 من صباح يوم الجمعة السابق.

لقد غادر بيلى إلى العمل قبل خمس عشرة دقيقة من الموعد المحدد ذلك اليوم، ذهب إلى مكتب البريد لتسديد بعض الفواتير.

الورقتان اللتان وضعتا على الزجاج الأمامي لسيارته، وتلك التي تم لصقها على قضيب عجلة القيادة للإكسبلورر، وحتى تلك التي وجدها على البراد هذا الصباح تم تحضيرها كلها على هذا الكمبيوتر قبل أكثر من ثلاثة أيام من تسليم الرسالة الأولى، قبل أن يبدأ الكابوس ليلة الاثنين.

لو لم يتلف لاني أول ورقتين لإنقاذ مهمته، ولو عرضهما بيلى على الشرطة بمثابة دليل، ستتحقق الشرطة عاجلاً أو آجلاً من هذا الكمبيوتر، ستستنتج حتماً أن بيلى نفسه كتب الرسائل. لقد استعد القاتل لكل الاحتمالات، إنه دقيق جداً، وهو واثق من أن خطته ستسير مثلما أراد.

حذف بيلى المستند الذي يحمل اسم **موت**، والذي قد يستخدم بمثابة دليل ضده، حسب تطور الأمور هنا.

شك في أن حذفه من الدليل لا يحذفه من القرص الصلب للكمبيوتر، عليه العثور على طريقة لسؤال شخص خبير في الكمبيوتر. عندما أوقف عمل الكمبيوتر، أدرك أنه لم يسمع دوران محركي سيارتي الشرطة.

الفصل 33

أبعد يبلي الستارة عن نافذة المكتب، واكتشف أن المشى فارغ من السيارات تحت أشعة الشمس الساطعة. كان غارقاً جداً في القرص بحيث لم يسمع محركي السيارات، لقد ذهب الرقيبان. توقع اكتشاف تحدّ جديد على القرص: الاختيار بين ضحيتين بريئتين، مع موعد نهائي قصير لاتخاذ القرار.

لا شك في أن تحدياً جديداً سيظهر قريباً، لكنه أعفى في الوقت الحاضر من ذلك بحيث يستطيع الاهتمام بمسائل أخرى ملحة، هناك الكثير منها.

ذهب إلى المرأب، وعاد مع حبل طويل وأحد شراشف النايلون التي استخدمها لتغطية الأثاث عندما أعاد طلاء المنزل في الربيع. فتح الشرشف على أرض المكتب أمام طاولة الكمبيوتر. بعد إخراج جثة كوتل من تحت المكتب وسحبها حوله، برمها فوق الشرشف.

شعر بالقرف من فكرة تفتيش جيوب رجل ميت، لكنه فعلها على كل حال.

لم يكن يبلي يبحث عن أدلة مزروعة لإدانته، إذا فعل القاتل ذلك في الجثة، لا بد أنه كان دقيقاً جداً، لن يعثر يبلي على أي شيء. بالإضافة إلى ذلك، أراد التخلص من الجثة في مكان لا يمكن العثور عليها أبداً، لهذا السبب، لم يكثر لبقاء بصماته على شرشف النايلون. احتوت سترة البذلة على جيبيين داخليين، في الأول، وضع كوتل

قنينة الشراب الاسكتلندي التي أوقعها أرضاً، من الجيب الثاني، أخرج بيلى قنينة شراب ثقيل، ثم أعادها إلى مكانها.

في الجيبين الخارجيين للسترة هناك سجائر، وولاعة رخيصة، ولفافة من الحلوى، في الجيبين الأماميين للسروال، عثر على نقود معدنية هي سبعة وستون سنتاً، وعلبة من ورق اللعب، وصفارة على شكل كنار بلاستيكي.

احتوت محفظة كوتل على ست أوراق نقدية من فئة الدولار، وورقة من فئة الخمسة دولارات، وأربع عشرة ورقة من فئة العشرة دولارات، لا بد أنها من القاتل.

عشرة دولارات لكل سنة من سنوات براءتك، سيد وايلز.

إنه مقتصد عموماً، فلم يشأ بيلى دفن المال مع الجثة، فكر في وضع المال في صندوق التبرعات في دار العبادة حيث ركن السيارة - وتعرض للاعتداء - الليلة الماضية.

تغلب الغثيان على حسن الاقتصاد، فترك بيلى المال في المحفظة، مثلما كان الفراعنة الموتى يذهبون إلى الجانب الآخر من العالم مع ملح، وحبوب، وشراب، وذهب وخدم، سيذهب رالف كوتل مع هذا المال. بين الأغراض القليلة الأخرى الموجودة في المحفظة، برز اثنان مهمان أحدهما صورة قديمة ومجعدة لكوتل عندما كان شاباً، بدا رجلاً وسيماً، مختلفاً تماماً عن الرجل المنهك في سنواته الأخيرة، وإنما يمكن التعرف إليه، ثمة امرأة شابة جميلة معه؛ كانا يتسمان، بيدوان سعيدين.

الغرض الثاني هو بطاقة عضوية من العام 1983 في الجمعية الأميركية للشكوكيين، رالف ثورمان كوتل، عضو منذ العام 1978.

احتفظ بيلى بالصورة الفوتوغرافية وبطاقة العضوية وأعاد كل شيء آخر إلى جيب سروال كوتل.

لف الشرشف حول الجثة بإحكام، طوى الطرفين جيداً وثبتت
اللفافة بياردادات طويلة من الشريط اللاصق.

توقع أن تبدو الجثة، داخل الطبقات العدة لشرشف النايلون
المعتم، بمثابة سجادة ملفوفة في كيس نايلون واقٍ، لكنها بدت مثل جثة
ملفوفة بكيس.

استعمل الحبل لإعداد مقبض مربوط بإحكام في أحد طرفي الجثة
الملفوفة، ليتمكن من جرّها بواسطته.

لا ينوي التخلص من كوتل إلا بعد حلول الظلام. مساحة
الصندوق في سيارة الإكسبلورر محاطة بالنوافذ، السيارات الرباعية
الدفعة هي سيارات مفيدة، لكن إذا أردت نقل جثث في وضع النهار،
من الأفضل اقتناء سيارة لها صندوق مغلق.

بما أنه بدأ يشعر أن منزله أصبح عمومياً مثل محطة الباصات،
أخرج بيبي الجثة من المكتب، ونقلها إلى غرفة الجلوس حيث تركها
وراء الأريكة. لا يمكن رؤيتها من الباب الأمامي أو من الممر المؤدي إلى
المطبخ.

فوق حوض غسل الصحون في المطبخ، فرك يديه بقوة بالكثير من
الصابون السائل وشطفهما بالماء الشديد البرودة.

ثم حضر لنفسه سندويشاً من المارتاديللا. تساءل كيف يملك
الشهية لتناول الطعام بعد العمل المقرف الذي أمّاه للتو.

لم يظن أن رغبته في العيش بقيت قوية إلى هذا الحد خلال سنوات
انطوائه. تساءل عن المزايا الأخرى، الجيدة والسيئة، التي سيكتشفها أو
يعيد اكتشافها في نفسه، خلال الساعات الست والثلاثين المقبلة.

ثمّة واحد يتذكر الطريق إلى بابك: الحياة قد تمرب منها، لكن
الموت لا يمكنك الهروب منه.

الفصل 34

فيما أنهى بيلى سندويش المارتاديللا، رنّ الهاتف.
لا يريد الإجابة، لا يتلقى الكثير من الاتصالات من الأصدقاء،
ولاني قتل، عرف من يكون. هذا يكفي.
عند الرنة الثانية عشرة، أبعاد كرسيه عن الطاولة.
لا يستفوه القاتل أبداً بأي شيء عبر الهاتف، لا يريد الكشف عن
صوته، لا يفعل أي شيء سوى الإصغاء إلى بيلى بصمت ساخر.
عند الرنة السادسة عشرة، نهض بيلى عن الطاولة.
تهدف هذه الاتصالات إلى الترهيب فقط، من غير المنطقي الإجابة
عنها.

وقف بيلى قرب الهاتف وحدّق إليه، عند الرنة السادسة
والعشرين، رفع السماعة.
لم يظهر على الشاشة الرقمية رقم المتصل.
لم يقل بيلى آلو، أصغى فقط.
بعد ثوانٍ قليلة من الصمت في الطرف الآخر، سمع صوت نقرة
آلية، تلاها هسيس، أصوات خدوش رافقت الهسيس: إنه صوت شريط
مسجل يدور في مسجلة.
عندما جاءت الكلمات، كانت في سلسلة من الأصوات، بعضها
لرجال، وبعضها لنساء، لم يتحدث أي كان أكثر من ثلاث كلمات،
وفي أغلب الأحيان كلمة واحدة فقط.
بالحكم على مستويات الأصوات غير المتناسقة وعلى أمور أخرى،

أعدّ القاتل الرسالة بجمع عينات من أصوات موجودة، من كتب مسجلة ربما على أشرطة بأصوات قرّاء مختلفين.

"سأقتل... صهباء جميلة. إذا... قلت... اعفِ الساقطة... سوف... أقتل... مها... بسرعة. وإلا... سوف... تعاني... من عذاب... كثير. أمامك... دقيقة واحدة... لتقول... اعفِ الساقطة. الخيار... خيارك"

صدر مجدداً صوت الهسيس والخدوش في الشريط الفارغ...
تم إعداد اللغز بطريقة مثالية، لا يسمح للرجل الهارب بالمزيد من الهروب.

في السابق، تعاون بيلى معنوياً فقط إلى درجة أن اختيار الضحايا تم بناء على عدم تصرفه، وبسبب رفضه للتصرف في حال كوتل.
في الخيار بين معلمة مدرسة جميلة وامرأة عجوز محبة للخير، بدت الوفاتان مأساويتين على نحو متساوٍ إلا إذا تم التحيز إلى الجميلة ضد العجوز، اتخاذ قرار فعلي لا يفضي إلى مأساة أكبر من عدم اتخاذ أي قرار.

وعندما كانت الضحية المحتملة رجلاً غير متزوج لن يشاق إليه العالم كثيراً أو أما شابة لطفلين، بدت المأساة الأكبر في موت الأم. في تلك الحال، تم تحديد الخيار على أن عدم ذهاب بيلى إلى الشرطة يضمن بقاء الأم على قيد الحياة، ما يكافئ عدم الفعل ويشدد على ضعفه.
مرة جديدة، طُلب منه الاختيار بين شرين، وكان بالتالي شريك القاتل، لكن عدم التصرف هذه المرة ليس خياراً موجوداً، ففي حال عدم قول أي شيء، سيحكم على الصهباء بالعذاب قبل الموت، وعند الاستجابة، سيتمنحها درجة من الرحمة.
لا يستطيع إنقاذها.

الموت موجود في كلتا الحالين.
لكن موتاً سيكون أخف وطأة من موت آخر.
أصدر الشريط كلمتين إضافيتين: "... ثلاثون ثانية..."
شعر بيلي وكأنه عاجز عن التنفس، لكنه تنفس. شعر وكأنه
سيختنق إذا حاول الابتلاع، لكنه لم يختنق.
"... خمس عشرة ثانية..."
أصبح فمه جافاً، تجمد لسانه. لم يصدق أنه يستطيع الكلام، لكنه
تكلم: "اعف الساقطة"
أقفل القاتل الخط، وكذلك فعل بيلي.
متعاونان.

تحركت المارتاديل والحبز والمايونيز في معدته.
لو عرف أن القاتل سيتواصل فعلياً عبر الهاتف، لاستعد لتسجيل
الرسالة، لكن الوقت قد فات، غير أن مثل هذا التسجيل لن يكون
مقنعاً لرجال الشرطة على كل حال إلا في حال ظهور جثة الصهباء،
وإذا تم العثور على مثل هذه الجثة، ستكون الأدلة الدامغة مرتبطة على
الأرجح ببيلي، يعمل مكيف الهواء كما يجب، لكن بدا هواء المطبخ
كأنه خانق، فعلق في حنجرته، واستقر بثقل في رثيته.
اعف الساقطة.

لا يتذكر أبداً كيف غادر المنزل، لكن بيلي وجد نفسه ينزل
درج المصطبة الأمامية، لا يعرف إلى أين يذهب.
جلس على الدرج.
حدّق إلى السماء، في الأشجار، في الفناء الخلفي.
نظر إلى يديه، لم يعرفهما.

الفصل 35

غادر البلدة عبر طريق متعرجة ولم يرَ أحداً يلحق به. من دون وجود جثة في الإكسلورر، خاطر بيلى بتجاوز السرعة المسموح بها في معظم الطريق المؤدية إلى الطرف الجنوبي من المنطقة، دخل الهواء الساخن عبر النافذة المكسورة لباب السائق فيما اجتاز حدود مدينة نابا عند الساعة 1:52 بعد الظهر.

نابا هي بلدة هادئة وجميلة، بصورة طبيعية في معظم أنحاءها، وليس بفضل السياسيين والشركات التي تتآمر لتحويلها إلى مدينة ملاهي على طريقة ديزني لاند، وهذا قدر العديد من الأماكن في كاليفورنيا.

هارى أفاكيان، محامي بيلى، يملك مكاتب في وسط المدينة، ليس بعيداً عن المحكمة، في شارع محاط بأشجار الزيتون القديمة، كان ينتظر بيلى وألقى عليه التحية بعناق كبير.

في عمر الخمسين، طويل وقوي البنية، مع وجه مطاطي وابتسامة سريعة، بدا هاري مثل الناطق الرسمي باسم مرمم عجيب للشعر؛ إذ إن لديه رأساً مغطى بالشعر الأسود المجمع الكثيف جداً بحيث يبدو وكأن الخلاق يحتاج ربما إلى قصه يومياً، مع شارب سميك، والكثير من الشعر الأسود على متن يديه بحيث يبدو وكأنه عرضة للسبات في الشتاء.

عمل خلف مكتب قدم، بحيث عندما جلس بيلى قبالة، لم تبدُ العلاقة وكأنها بين محامٍ وزبون وإنما بين صديقين منخرطين في حديث عمل.

بعد السلام والتحية العادية والتحدث عن موجة الحر، قال هاري:

"ما الشيء المهم الذي لا نستطيع معالجته عبر الهاتف؟"

كذب بيلى: "ليست المسألة في أنني لا أريد مناقشة الأمر عبر الهاتف، توجب عليّ المجيء إلى هنا من أجل بعض الأمور الأخرى، ولذلك تصورت أنه من الأفضل أن أجلس معك شخصياً وأسألك عما يقلقني".

"وجّه إليّ أسئلتك ودعنا نرى إذا كنت أعرف شيئاً بشأن القانون".

"الأمر متعلق بالأموال الخاصة بباربارة".

هارى أفاكيان وجي مينه جورج نغوين محاسب بيلى، هما الوصيان الآخيران في الهيئة الثلاثية الأعضاء.

قال هاري: "قبل يومين، راجعت الوضع المالي للفصل الثاني، كانت العائدات أربع عشرة في المئة، رقم ممتاز في هذه السوق، حتى بعد نفقات باربارة، لا يزال رأس المال يزداد باضطراد".

قال بيلى: "قمنا باستثمار ذكي، لكنني أستلقي مستيقظاً خلال الليل أفكر في ما إذا كان باستطاعة أحد أن يستولي على المال؟".

"المال؟ تقصد مال باربارة؟ إذا أردت القلق بشيء ما، اقلق بشأن ارتطام نيزك بالأرض".

"أنا قلق. هذا خارج عن إرادتي".

"بيلى، أنا من أعدّ المستندات، وهي محكمة تماماً، بالإضافة إلى ذلك، أنت الوصي على أموالها، ولن يتمكن أحد من الاستيلاء على فكرة واحدة".

"أقصد إذا حصل لي شيء ما".

"عمرك فقط أربعة وثلاثون عاماً، برأيي الشخصي، بالكاد تجاوزت سن البلوغ".

"توفي موزارت عن عمر أصغر من أربعة وثلاثين عاماً".

قال هاري: "لسنا في القرن الثامن عشر، ولا تعترف البيانو، وبالتالي فإن المقارنة غير منطقية، هل أنت مريض أو ما شابه؟".
اعترف بيلى: "كنت أفضل حالاً".
"ما هذه الرقعة على جبينك؟".
روى له بيلى حكاية العقدة في اللوح الخشبي. "ما من شيء خطير".

"أنت شاحب نسبة إلى الصيف".
"لا أذهب كثيراً إلى صيد السمك، اسمع هاري، أنا لا أعاني من السرطان أو من أي شيء، لكن يمكن أن تدهسني شاحنة".
"هل طاردتك أخيراً تلك الشاحنات؟ هل اضطررت إلى الهروب من بعضها؟ منذ متى وأنت متشائم هكذا؟".
"ماذا عن داردر؟".

داردر هي أخت باربارة، إلهما توأم، ولكنهما ليستا توأم متشابه، لا تشبهان بعضهما في أي شيء، وهما مختلفتان تماماً عن بعضهما.
قال هاري: "لم تبطل المحكمة فقط حقوقها، وإنما حرمتها أيضاً من كل شيء".
"أعرف، لكن...".

"صحيح أنهما رمز الشر، لكنها ليست أكثر أهمية من سندويش اللبنة والجبنة الذي تناولته على الغداء قبل أسبوع".
سيسيلي، والدة باربارة وداردر، كانت مدمنة مخدرات، لم تتعرف أبداً إلى والدهما، وتم تسجيل التوأم على شهادة الميلاد باسم أمهما.
ذهبت سيسيلي إلى مصحح للأمراض العقلية حين كان عمر الفتاتين عامين، وحرمتا من وصاية أمهما، وتم إرسالهما إلى دار للرعاية، توفيت سيسيلي بعد أحد عشر شهراً.

حتى عمر الخامسة، تنقلت الفتاتان في السلسلة نفسها من دور الرعاية، بعد ذلك، انفصلتا، لم ترَ باربارة داردر أبداً مجدداً، في الواقع، عندما حاولت في عمر الواحد والعشرين تعقب أثر أختها وإقامة علاقة معها، تم صدّها. صحيح أن داردر لم تدمّر نفسها بقدر سيسيلي، لكنها ورثت ميل أمها إلى المركبات الكيميائية غير الشرعية وحياة الليل، بحيث وجدت أختها النظيفة والرزينة مضجرة وغير ممتعة.

بعد ثماني سنوات، بعد التغطية الإعلامية الكبيرة للقضية، عندما خصصت شركة التأمين ملايين الدولارات لباربارة لدفعها بدل رعايتها الطويلة الأمد، كشفت داردر عن تعلق عاطفي عميق بأختها، بما أن قرية الدم الوحيدة المعروفة لباربارة، تقدمت بدعوى قضائية لتكون الوصية الوحيدة على أموال أختها.

لحسن الحظ، وبناء على إلحاح هاري السريع، مباشرة بعد خطوبتهما، وقّع بيلي وباربارة، في مكتبه، على وصيتين بسيطتين يذكران فيهما أن كل واحد منهما هو الوريث الحصري للآخر. حصلت داردر على توبيخ القاضي بسبب تاريخها وأساليبها وجشعها الواضح، وتم رفض قضيتها بحكم مسبق.

حاولت اللجوء إلى محكمة أخرى والتقدم بدعوى جديدة. لكنها لم تنجح، لم يسمعوا أخبارها منذ عامين. قال بيلي: "لكن إذا مُتّ...".

"اخترتَ وصيين للحلول مكانك. إذا صدمتك شاحنة، سيحلّ أحدهما مكانك".

"أفهم. لكن...".

قال هاري: "إذا صدمتنا شاحنة أنا وأنت وجورج نغوين، أو بالأحرى إذا صدمت شاحنات مختلفة كل واحد منا، ثمة مرشحون

آخرون لتولي الوصاية، وهم مقبولون من المحكمة، ومستعدون لتولي المهمة، وإلى أن يتم تعيينهم، ستكون المسائل اليومية في أيدي شركة موثوقة لإدارة الاستثمارات".

"لقد فكرت في كل شيء".

ارتفع شاربه الكئيف مع ابتسامته، قال هاري: "بين كل إنجازاتي، أنا فخور أنني لم أتعرض أبداً للإقصاء".

"لكن إذا حصل أي شيء لي...".

"أنت تصيبي بالجنون".

"... هل من أحد غير داردر يجدر بنا القلق بشأنه؟".

"مثل من؟".

"أي أحد".

"لا".

"هل أنت أكيد؟".

"نعم".

"لا أحد يستطيع أخذ مال باربارة؟".

أنحنى هاري إلى الأمام، ووضع ذراعيه على مكتبه، وقال:

"ما قصة كل ذلك؟".

هزّ بيلي كتفه: "لا أعرف، في الآونة الأخيرة، أشعر

بالخوف".

بعد صمت، قال هاري: "لقد حان الوقت لك ربما لتعيش حياتك

مجدداً".

قال بيلي: "أنا أعيش حياتي" وكان صوته حاداً جداً نسبة إلى

كون هاري صديقاً ورجلاً محترماً.

"يمكنك الاهتمام بباربارة، والبقاء وفيّاً لذكراها، والتمتع بالحياة".

"ليست مجرد ذكرى، إنها حية، هاري، أنت آخر شخص أرغب في ضربه على فمه".

تنهد هاري. "أنت محق، لا يعرف أحد ما الذي تشعر به في قلبك".
"اللعنة، هاري، لن أضربك أبداً على فمك".
"هل أبدو خائفاً؟".

ضحك بيلى بنعومة وقال: "تبدو مثلما أنت، تبدو مثل دمية المابت".

انتقلت الظلال الجميلة لأشجار الزيتون عبر النافذة الزجاجية ودخلت الغرفة.

بعد صمت، قال هاري أفاكيان: "ثمة حالات يخرج فيها الأشخاص من الغيبوبة من دون أي عطل تقريباً في قدراتهم".
اعترف بيلى: "إنها حالات نادرة".
"النادر ليس مثل أبداً".

"أحاول أن أكون واقعياً، لكنني لا أريد ذلك فعلاً".
قال هاري: "كنت أحب حساء الفيشيسواز، لكن إذا حصل الآن ورأيتَه على الرف في السوبرماركت، أصاب بالغثيان في معدتي".

فيما كان بيلى يعمل في المشرب ذات يوم سبت، فتحت باربارة علبة من الحساء للعشاء. فيشيسواز، حضّرت سندويش جبنة أيضاً.
عندما لم تجب عبر الهاتف صباح يوم الأحد، ذهب إلى شقتها، وفتح بمفتاحه، عثر عليها فاقدة الوعي على أرض الحمام.

في المستشفى، تمت معالجتها بمضادات السموم بسرعة كافية لإنقاذها من الموت، وهي الآن تنام وتنام.

إلى أن تستيقظ، إذا استيقظت، لا يمكن بالضبط تحديد مدى الضرر اللاحق بدماعها.

صانع الحساء، شركة مشهورة، قام فوراً بسحب كل علب حساء الفيشيسواز من السوق، بين ثلاثة آلاف علبة، تم العثور على ست علب فاسدة فقط.

لم تكشف أي من العلب الست عن إشارات تورّم، هكذا، وبطريقة ما، أنقذت معاناة باربارة ستة أشخاص على الأقل من قدر مماثل.

لم ينجح بيلي أبداً في العثور على عزاء في تلك الحقيقة.
قال هاري: "إنها امرأة جميلة".

قال بيلي: "إنها شاحبة ونحيلة، لكنها لا تزال جميلة بالنسبة إليّ، ولا تزال حية في مكان ما داخلها، إنها تقول أشياء، لقد أخبرتك، لا تزال حية، وتفكر".

راقب ظلال أشجار الزيتون الملقاة على المكتب عبر زجاج النافذة.

لم ينظر إلى هاري، لا يريد رؤية الشفقة في عينيّ المحامي.
بعد برهة، تحدث هاري عن الطقس، ثم قال بيلي: "هل سمعت أنه في برنستون- أو ربما في هارفارد- يحاول العلماء صنع حيوان مقزز بدماغ بشري؟".

قال هاري: "ينجزون مثل هذه التفاهات في كل مكان، لا يتعلمون أبداً، كلما أصبحوا أكثر ذكاء، أصبحوا أكثر غباءً".
"إنه الرعب".

"لا يرون الرعب. فقط المجد والمال".

"لا أرى المجد".

"أي مجد هو ذلك الذي كان في الحرب العالمية؟ لكن بعضهم رآه".

بعد صمت متبادل، نظر بيلي في عينيّ هاري. "هل أعرف كيف
أهج الغرفة، أم لا؟".
"لم أضحك بهذه القوة منذ أبوت وكوستيلو"⁽¹⁾.

(1) أبوت وكوستيلو (بالإنكليزية: Abbott and Costello) هما ثنائي أميركي في الكوميديا (التمثيل الفكاهي). الأول بود أبوت (بالإنكليزية: Bud Abbott) والثاني لو كوستيلو (بالإنكليزية: Lou Costello). أول ظهور لها في فيلم (One Night in the Tropics) عام 1940. (المترجم)

الفصل 36

من متجر إلكترونيات في نابا، اشترى بيلى كاميرا ومسجلة فيديو صغيرة، يمكن استعمال الجهاز بالطريقة الاعتيادية أو يمكن ضبطه بدل ذلك لتسجيل سلسلة مستمرة من اللقطات الساكنة المأخوذة كل بضعة ثوانٍ.

في النمط الثاني، وعند تحميله بالقرص الملائم، يستطيع الجهاز توفير مراقبة مسجلة لمدة أسبوع مماثلة لتلك الموجودة في المتاجر. وبما أن السنافذة المكسورة في سيارة الإكسبلورر لا تسمح له بالاحتفاظ بأي أشياء قيّمة في السيارة، دفع ثمن مشترياته ووعد بالعودة لإحضارها بعد نصف ساعة.

من متجر الإلكترونيات، ذهب للبحث عن آلة لبيع الجرائد، عثر على واحدة أمام صيدلية.

العنوان الرئيس تناول جيزيل وينسلو؛ تم قتل معلّمة المدرسة في الساعات الأولى من صباح الثلاثاء، لكن لم يتم العثور على جثتها إلا بعد ظهر يوم الثلاثاء، أي قبل أقل من أربع وعشرين ساعة.

صورتها في الجريدة مختلفة عن تلك التي كانت موضوعة في الكتاب في حضان لاني أولسن، لكنهما صورتان للمرأة الجذابة نفسها.

حمل بيلى الجريدة، وذهب إلى الفرع الرئيس من المكتبة، يملك كمبيوتراً في المنزل ولكن من دون النفاذ إلى الإنترنت، توفر المكتبة الاثنين معاً.

كان وحده أمام صف أجهزة الكمبيوتر، ثمة أشخاص آخرون يقرأون أمام الطاولات أو يفتشون بين الكدسات، في النهاية، يبدو أن اعتناق مبدأ بدائل الكتب لن يكون مستقبل المكتبات.

عندما كان يؤلف القصص، استخدم شبكة الإنترنت للأبحاث، لاحقاً، باتت الشبكة مصدراً للإلهاء، للهروب، خلال العامين الماضيين، لم يتصفح شبكة الإنترنت على الإطلاق.

في غضون ذلك، تغيرت الأمور، النفاذ بات أسرع، الأبحاث أسرع أيضاً، وأكثر سهولة.

كتب بيلى أحرفاً في خانة البحث، عندما لم يحصل على أي نتائج، بدّل الأحرف، ثم بدّلها مجدداً.

تختلف قوانين العمر المسموح لشرب الشراب بين ولاية وأخرى، في العديد من السلطات القضائية، لم يكن ستيف زيليس كبيراً كفاية للعمل كنادل في مشرب قبل عمر الواحد والعشرين، ولذلك أسقط بيلى كلمة نادل مشرب من خانة البحث.

يعمل ستيف في المشرب منذ خمسة أشهر فقط، لم يتشارك أبداً مع بيلى السير الذاتية.

يتذكر بيلى بغموض أن ستيف ذهب إلى الجامعة، لكنه لا يتذكر إلى أين، أضاف كلمة طالب إلى خانة البحث.

قد تكون كلمة قتل محددة جداً، استبدالها بعبارة سلوك غير أخلاقي.

حصل على جواب واحد. من دنفر بوست.

تعود القصة إلى خمسة أعوام وثمانية أشهر، بالرغم من أن بيلى حذّر نفسه من ضرورة عدم الغوص في هذا الاكتشاف، بدت له المعلومات ذات صلة.

في شهر نوفمبر من ذلك العام، في جامعة كولورادو في دنفر، ثمّة شابة اسمها جوديث ساره كيسلمان، عمرها ثمانية عشر عاماً، اختفت. في البداية، على الأقل، لم تكن هناك دلالات على سلوك غير أخلاقي. أفاد أول مقال صحافي عن تلك الشابة المفقودة، أن طالباً آخر في جامعة كولورادو، ستيفن زيليس، تسعة عشر عاماً، قال إن جوديث كانت "فتاة رائعة، حنونة ومهتمة، وصديقة للجميع". قلق لأن "جودي مسؤولة جداً لتختفي يومين من دون إطلاع أحد على مشاريعها".

أفضى بحث آخر عن جوديث سارة كيسلمان إلى مجموعة من النتائج، حضرّ يبلي نفسه للاكتشاف أنه تم العثور على جثتها من دون وجه. تصفح المقالات، وقرأها عن كتب في البداية، وحين أصبحت المواد متكررة، قام بمسحها.

ذكرت أحاديث لأصدقاء وأقارب وأساتذة لجوديث كيسلمان، لم يتم ذكر ستيفن زيليس مجدداً.

بالحكم على كمية المواد المتوفرة لبلي، لم يتم العثور على أي أثر لجوديث، اختفت تماماً كما لو أنها انتقلت من هذا العالم إلى عالم آخر. انخفضت التغطية الصحافية للموضوع بشكل مضطرب بعد الميلاد من ذلك العام، وتضاءلت التغطية بشدة مع بداية السنة الجديدة.

تفضل وسائل الاعلام التحدث عن الموتى بدل المفقودين، عن الدم بدل الغموض، هناك دوماً عنف جديد ومثير.

آخر مقال كان في الذكرى الخامسة لاختفاء جوديث. بلدها هي لاغونا بيتش، كاليفورنيا، وكان المقال في سجل أورانج كاونتي.

ثمّة صحافي، متعاطف مع الحزن الكبير لعائلة كيسلمان، كتب بطريقة مؤثرة عن الأمل المستمر في أن جوديث لا تزال على قيد الحياة، نوعاً ما، في مكان ما، وستعود إلى المنزل في يوم ما.

كانت تدرس الموسيقى، عزفت البيانو جيداً، والغيتار، أحبت الموسيقى الدينية، والكلاب، والنزهات الطويلة على الشاطئ. عرضت الصحافة صورتين لها، بدت في الصورتين ذكية ومسرورة ولطيفة.

بالرغم من أن بيلي لم يعرف أبداً جوديث كيسلمان، لم يستطع تحمل رؤية وجهها النضر، تجنب النظر إلى الصورتين. قام بسحب نسخ مطبوعة لبعض المقالات لقراءتها لاحقاً. طواها داخل الجريدة التي حصل عليها من الآلة. فسيما كان يغادر المكتبة، ويمرّ أمام طاولات المطالعة، قال رجل: "بيلي وايلز، لم نرك منذ وقت طويل". في كرسي أمام إحدى الطاولات، مبتسماً ابتسامة عريضة، جلس الشريف جون بالمر.

الفصل 37

بالرغم من أنه ارتدى بذلته الرسمية، من دون قبعة، بدا الشريف أشبه بسياسي أكثر من رجل شرطة، ونظراً لمنصبه المهم، كان في الواقع شرطياً وسياسياً.

قص شعره إلى درجة التصنع، وحلق ذقنه بنعومة كبيرة، تالأأت أسنانه ببياض مثالي، بدت قسماته ملائمة لعملة نقدية، فبدا أصغر بعشر سنوات من عمره الحقيقي؛ وجاهزاً للكاميرات.

بالرغم من أن بالمر جلس أمام طاولة مطالعة، لم يكن يضع أمامه مجلة أو جريدة أو كتاباً، بدا وكأنه يعرف كل شيء أصلاً.

لم ينهض بالمر، بقي يبلي واقفاً.

سأل بالمر: "كيف حال الأمور في فينيارد هيلز؟".

قال يبلي: "الكثير من الكروم والكثير من الهضاب".

"ألا تزال تعمل نادلاً في مشرب؟".

"هناك دوماً حاجة. إنها ثالث أقدم مهنة في التاريخ".

سأل بالمر: "ما هي المهنة الثانية بعد بيع الهوى؟".

"السياسة".

بدا الشريف مسروراً. "هل تكتب هذه الأيام؟".

كذب يبلي: "قليلاً".

في إحدى رواياته القصيرة المنشورة، ثمة شخصية قريية نوعاً ما من

جون بالمر.

سأل بالمر: "هل تنجز بعض الأبحاث لكتاباتك؟".

من حيث جلس الشريف، يستطيع أن يرى مباشرة الكمبيوتر،
الذي كان يعمل عليه بيلى، ولكن ليس شاشته.

يملك بالمر طريقة ربما لمعرفة ما كان بيلى يفعله أمام الكمبيوتر،
فالكمبيوتر العمومي يحتفظ ربما بسجل لما فعله.

لا. ربما لا. بالإضافة إلى ذلك، هناك قوانين للخصوصية.

قال بيلى: "نعم، بعض الأبحاث".

"رأك شرطي عندي تركن سيارتك أمام مكتب هاري أفاكين".

لم يقل بيلى أي شيء.

"بعد ثلاث دقائق من مغادرتك لمكتب هاري، نفذ الوقت من

مكان ركوبك".

قد يكون ذلك صحيحاً.

قال بالمر: "وضعت قطعتين نقديتين لك".

"شكراً".

"نافذة باب السائق مكسورة في سيارتك".

قال بيلى: "حادث بسيط".

"ليس هذا خرقاً للقانون، لكن عليك إصلاحه".

كذب بيلى: "أخذت موعداً ليوم الجمعة".

سأل الشريف: "لا يزعجك هذا، أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

راقب بالمر المكتبة، ما من أحد يراقبهما. "أن نتحدث أنا وأنت

هكذا، فقط نحن الاثنان".

قال بيلى: "لا يزعجني".

يملك كل سبب للانطلاق بعيداً، لكنه بقي بدل ذلك، مصمماً

على عدم الإيحاء بالخوف.

قبل عشرين عاماً، حين كان شاباً عمره أربعة عشر عاماً، تعرض بيلسي وايلز لاستجوابات أجريت بطريقة يفترض أن تقضي على مهنة جون بالمر في تطبيق القانون.

إلا أنه جرت ترقية بالمر بدل ذلك من رتبة ملازم إلى رتبة نقيب، ولاحقاً إلى رائد، ترشح في النهاية لمنصب الشريف وتم انتخابه، مرتين. قدّم هاري أفاكيان شرحاً موجزاً لترقي بالمر وقال إنه سمع الخبر من رجال الشرطة في القسم: الفاسد يترقى. سأل بالمر: "كيف حال الآنسة ماندل هذه الأيام؟". "على حالها".

تساءل إذا كان بالمر يعرف بشأن الاتصال بالرقم 911. لا يملك نابوليتينو وسوياسكي سبباً لتقديم تقرير حول الموضوع، خصوصاً وأنه كان إنذاراً خاطئاً.

بالإضافة إلى ذلك، يعمل الشرطيان في مركز سانت هيلينا، فيما يجول الشريف بالمر في كل نطاق سلطته، فإن مكتبه موجود هنا. قال بالمر: "كم كان الأمر مخزناً".

لم يجب بيلسي. "على الأقل لبقية حياتها، ستحظى بأفضل رعاية مع كل ذلك المال".

"ستتحسن، ستخرج من المحنة".

"هل تظن ذلك فعلاً؟".

"نعم".

"كل ذلك المال، أتمنى أن تكون محقاً".

"أنا محق".

"تدين بفرصة للاستمتاع بكل ذلك المال".

بقي وجه بيلي جامداً مثل الحجر، ولم يعطِ أي تلميح أنه فهم تلميح بالمر.

تثاءب وتمدد، وكان مرتاحاً جداً في كرسيه، بحيث اعتبر بالمر نفسه ربما مثل قطعة تلعب مع فأرة. "حسناً، سيسعد الناس حين يسمعون أنك لست محطماً، وأنت تكتب قليلاً".
"أي أشخاص؟".

"الأشخاص الذين يحبون كتاباتك، طبعاً".

"هل تعرف أحداً منهم؟".

هزّ بالمر كتفه. "لا أختلط مع تلك المجموعات، لكنني واثق حتماً من أمر واحد...".

لأن الشريف أراد أن يسأله بيلي ماذا، لم يسأله بيلي.

بعد صمت بيلي، قال بالمر: "أنا واثق من أن أمك وأباك فخوران جداً".

ابتعد بيلي عنه، وخرج من المكتبة.

بعد مكيف الهواء، أحرقتة حرارة الصيف، شعر وكأنه يخبثق عندما تنشق الهواء، كما لو أنه يخبثق عندما يزفره، أو ربما ليست الحرارة، إنه الماضي.

الفصل 38

متوجهاً شمالاً على الطريق 29، خارج الشمس وداخل الشمس، فيما ضاق الوادي الشهير والخصب بطريقة غير ملحوظة في البداية وبعدها بطريقة ملحوظة، قلق بيلى بشأن حماية باربارة.

تستطيع الأموال المخصصة لها استئجار حماية على مدار الساعة طوال الأيام، إلى أن يعثر بيلى على القاتل أو إلى أن يقضي القاتل عليه، المال ليس مهماً.

لكن ليست هذه مدينة كبيرة، دليل الهاتف لا يحتوي على صفحات من الإعلانات لشركات الحماية الخاصة.

الشرح للحراس عن سبب الحاجة إليهم سيكون محفوفاً بالمخاطر، فالحقيقة الكاملة ستربط بيلى بثلاث جرائم قد تلقى على الأرجح على عاتقه.

إذا أخفى معظم الحقيقة، لن يعرف الحراس ماذا ينتظرهم، سيرض حياتهم للخطر.

بالإضافة إلى ذلك، معظم الحراس العاملين في هذه الشركات كانوا رجال شرطة سابقين أو رجال شرطة حاليين يعملون بدوام ثانٍ في ساعات فراغهم. لقد عمل - أو يعمل - العديد منهم مع جون بالمر. لا يريد بيلى أن يعرف بالمر بشأن حراسة باربارة من قبل رجال حراسة مستأجرين، سيتساءل الشريف، سي طرح أسئلة.

بعد أعوام قليلة من بقائه تحت رادار بالمر، عاد الآن ليصبح تحت المجهر مجدداً، لم يجرؤ على لفت المزيد من الانتباه إلى نفسه.

لا يستطيع أن يطلب من الأصدقاء مساعدته في حراسة باربارة، سيكونون عرضة للخطر.

على كل حال، ليس لديه أصدقاء مقربون يشعر بالارتياح للطلب منهم، فالأشخاص في حياته هم مجرد معارف.

تدبر الأمور بهذه الطريقة، لا توجد حياة خارج المجتمع، يعرف ذلك، يعرف، إلا أنه لم يُنشئ شبكة اجتماعية قوية ولا يستطيع الآن حصاد أي شيء.

الريح الداخلة عبر النافذة المكسورة سببت له التشوش. في ساعات الخطر الأعظم المهدق بباربارة، عليه أن يحميها وحده، إذا استطاع.

تستحق الحياة أكثر منه، فمع تاريخه، لن يأتي إليه أي شخص يحتاج إلى حارس، على الإطلاق، آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس. إذا فهم بيلى القاتل جيداً - وهو واثق تماماً من أنه فهمه - سيكون قتل باربارة الذروة التي تسدل الستارة على هذا الأداء الوحشي.

انتحارك: بعد فترة وجيزة.

مساء غد، قبل حلول منتصف الليل، سيكون قرب سريرها. هذا المساء، لن يكون معها، المهام الملحة على جدول أعماله ستبقيه مشغولاً ربما حتى بزوغ الفجر.

إذا كان غير مصيب، إذا كان قتلها مفاجأة حقيقية، سيصبح هذا الوادي المشمس، بالنسبة إليه، مظلماً بقدر المساحات الفارغة بين الكواكب في الفضاء.

قاد السيارة بسرعة أكبر، منحنيًا إلى الأمام بفعل توق إلى التحرر، فيما سطع نور الشمس من يساره، وبدا جبل سانت هيلينا في الوادي

أمامه أقرب وأقرب إليه، استخدم بيلي هاتفه الخليوي للاتصال بوايسيرينغ باينز، فضغط على الرقم 1 منتظراً إجراء الاتصال. بما أن باربارة تملك غرفة خاصة مع حمام متصل بها، لا تنطبق عليها مواعيد الزيارات الاعتيادية. مع موافقة مسبقة، يستطيع فرد من العائلة تمضية الليل عندها.

أمل في المرور على وايسيرينغ باينز في طريقه إلى المنزل وتدبر مسألة الإقامة عند باربارة من مساء الخميس حتى صباح يوم الجمعة على الأقل، لقد اخترع قصة قد يتم قبولها من دون أي شكوك، عاملة الهاتف التي أجابت على اتصاله أبلغته أن السيدة نورلي، المديرية، موجودة في اجتماع حتى الخامسة والنصف لكنها ستمكن من رؤيته بعد ذلك، فأخذ موعداً.

قبل قليل من الساعة الرابعة، وصل إلى المنزل، متوقفاً جزئياً رؤية سيارات شرطة، وعربة لنقل الجثث، وعدداً من رجال الشرطة والرقيب نابوليتينو على المصطبة الأمامية، واقفاً أمام كرسي هزاز جلست فيه جثة رالف كوتل، من دون أي غطاء، لكن كل شيء كان هادئاً.

بدل استعمال المرأب، ركن بيلي السيارة في المشى، نحو الجهة الخلفية للمنزل.

دخل المنزل وفتش كل غرفة. لم يعثر على أدلة تشير إلى دخول غريب المنزل في غيابه، لا تزال الجثة متوقعة وراء الأريكة.

الفصل 39

فوق المايكرووايف، وراء بابيّ خزانة، ثمّة مساحة عميقة تحتوي على صواني خبز، وصينيّتي بيتزا، وأغراض أخرى موضبة بطريقة عمودية. أخرج بيلى الصواني - والرف المتحرك الذي كانت عليه - ووضعهما في غرفة الطعام.

في الجهة الخلفية من المساحة التي باتت الآن فارغة، ثمّة مأخذ كهربائي مع مقبسين، ثمّة قابس موضوع في المقبس السفلي، اختفى الحبل عبر فتحة في الجدار الخلفي للخزانة.

إنه قابس المايكرووايف. سحبه بيلى.

وقف على سلّم صغير، واستخدم المثقاب الكهربائي، وفتح فجوة في أرضية الخزانة العلوية، عبر سقف المايكرووايف. أدى ذلك إلى إتلاف المايكرووايف، لا يبالي.

استخدم المثقاب الكهربائي كما لو أنه مبرد كهربائي، فمره حول إطار الفتحة وحركه صعوداً ونزولاً لتوسيع الفتحة. كان الضجيج كبيراً جداً.

فاحت رائحة حريق كهربائي، لكنه أكمل المهمة قبل أن تتحول حرارة الاحتكاك إلى مشكلة.

نظف الأوساخ من المايكرووايف، ووضع الكاميرا في الداخل. بعد غرز كابل بث الفيديو في الكاميرا، مرر الطرف الآخر للكابل عبر الفتحة التي أحدثها في سقف المايكرووايف، فعل الشيء نفسه مع الكابل الكهربائي.

في الخزانة التي كانت تحتوي قبلاً على الصواني، وضع بيلى مسجلة الفيديو، اتبع التعليمات المذكورة، وأدخل الطرف الطليق من كابل البث في المسجلة.

وضع الكابل الكهربائي للكاميرا في المقبس العلوي في الجهة الخلفية من الخزانة، أما المسجلة فتم إدخالها في المقبس السفلي الذي كان فيه كابل المايكرووايف.

وضع قرصاً مدته سبعة أيام، ضبط الجهاز حسب التعليمات المذكورة ووضعه قيد التشغيل.

عندما أغلق باب المايكرووايف، ضغط السطح الداخلي لنافذة المايكرووايف على الحافة المطاطية لغطاء عدسة الكاميرا، تم توجيه الكاميرا عبر المطبخ إلى الباب الخلفي.

مع ضوء المايكرووايف المطفأ، استطاع بيلى رؤية الكاميرا في الداخل عندما وضع وجهه قريباً جداً من نافذة المايكرووايف، لن يكتشفها القاتل إلا إذا قرر تحضير البوشار في المايكرووايف.

بما أن نافذة المايكرووايف احتوت على شاشة ناعمة مصفحة بين طبقات الزجاج، لم يعرف بيلى ما إذا كانت الكاميرا ستوفر رؤية واضحة، عليه اختبارها.

كانت الستائر المثناة مسدلة فوق كل نوافذ المطبخ، رفعها، وأشعل الأنوار الفوقية.

وقف داخل الباب الخلفي لحظة، ثم عبر الغرفة بوتيرة غير مستعجلة.

تحتوي المسجلة على شاشة صغيرة لمراجعة سريعة للتسجيل، عندما تسلق بيلى السلم الصغير وأعاد عرض التسجيل، رأى صورة داكنة. عندما اجتاز الغرفة، تحسنت الرؤية، واستطاع التعرف إلى نفسه.

لم يحب رؤية نفسه؛ كان شاحباً مثل الموتى، منهكاً وغير واثق من نفسه، مليئاً بالعزيمة وإنما بهدف متردد.

مقارنة مع ذاته، كانت الصورة بالأسود والأبيض، ومشوشة قليلاً، ترنحه الظاهر ناجم ببساطة عن الفارق في وقت التسجيل.

بالرغم من كل ذلك، رأى الشكل غير مقنع: شكل وظلال، ولكن من دون أي تفاصيل أخرى. بدا غريباً في منزله.

أعاد ضبط الكاميرا، أغلق أبواب الخزانة وأبعد السلم الصغير.

في الحمام، بدّل الضمادة فوق حاجبه، كانت الجروح حمراء غامقة، ولكن ليست أسوأ من قبل.

ارتدى قميصاً قطنياً سوداء، وسروال جينز أسود، وانتعل حذاء رياضياً أسود، ستغيب الشمس خلال أقل من أربع ساعات، وعندما يختفي الضوء، يحتاج بيلى إلى التحرك بأكبر خفاء ممكن في الليل العدائي.

الفصل 40

تحب غريتشن نورلي البذلات الداكنة الرسمية، ولا تضع المجوهرات، وتمشط شعرها إلى الخلف بعيداً عن جبينها، وتنظر إلى العالم عبر نظارتها ذات الإطار الفولاذي - وتزين مكتبها بالدمى المخملية المحشوة: دب صغير، وضفدع، وبطة، وأرنب، وهرة زرقاء صغيرة مصفوفة كلها على رفوف في مجموعة تألفت أساساً من كلاب تلقي التحية على الزوار بألسنها الحمراء والوردية المشرقة.

تدير غريتشين دار رعاية وايسرينغ باينز المشتغل على مئة وسريرين بفاعلية عسكرية وحنان فائق، أسلوبها الدافئ يتناقض مع الخشونة في صوتها.

لا توجد فيها تناقضات أكثر من أي شخص آخر وجد توازناً مؤقتاً في هذا العالم المؤقت، إلا أن تناقضاتها أكثر بروزاً للعيان، وأكثر تحبباً.

تركت مكتبها للإشارة إلى أنها تعتبر ذلك مسألة شخصية أكثر منها مسألة عملية، وجلست غريتشن في كرسي هزاز أمام الكرسي الذي جلس عليه بيلي.

قالت: "بما أن باربارة تحجز غرفة خاصة، يمكنها تلقي الزيارات خارج أوقات الدوام من دون إزعاج بقية المرضى، لا أرى أي مشكلة، بالرغم من أن العائلة تمكث عادة خلال الليل فقط عند عودة مريض من نقل مستشفى".

بالرغم من أن غريتشن تتحلى بالكثير من الرقي للتعبير عن فضولها

مباشرة، شعر ببلي أنه مجبر على إرضاء ذلك الفضول بتفسير، بالرغم من أن كل كلمة قالها لها كانت كذبة.

"كانت مجموعتي الدينية تناقش ما يقوله الكتاب المقدس عن قوة التضرع".

قالت كما لو أنها محتارة: "أنت تنتمي إذاً إلى مجموعة دينية". كما لو أنه ليس رجلاً يمكن تخيله بسهولة ملتزماً دينياً.

"ثمّة دراسة طبية كبيرة أظهرت أنه عندما يتضرع الأصدقاء والأقارب بفاعلية لشخص مريض، يتعافى المريض في أغلب الأحيان، ويتعافى بسرعة أكبر".

أشعلت تلك الدراسة المثيرة للجدل فتيل العديد من النقاشات الحامية عندما جرى طرحها في الصحف، تذكر ببلي كل ذلك الكلام الأحمق، وليس مجموعة دينية، فقرر ابتكار تلك القصة للتغطية.

قالت غريتشن نورلي: "أظن أنني قرأت عن الموضوع".

"أنا أتضرع طبعاً لباربارة كل يوم".
"طبعاً".

"لكنني اكتشفت أن التضرع يصبح أكثر أهمية عندما ينطوي على بعض التضحية".

قالت باهتمام كبير: "التضحية".

ابتسم. "أنا لا أقصد ذبح حروف".

"آه، سيرضي ذلك بعض الجماعات".

"لكن لا مشكلة أبداً في صلاة قبل النوم، مهما كانت صادقة".

"أفهم وجهة نظرك".

"لا شك في أن التضرع سيكون أكثر فائدة وفاعلية إذا أتى على

حساب شخصي؛ مثل خسارة نوم ليلة على الأقل".

قالت: "لم أفكر أبداً في الأمر بهذه الطريقة".
قال بيلى: "بين الحين والآخر، أحب الجلوس معها طوال الليل
للتضرع، إذا لم يساعدها ذلك، فإنه يساعدي أنا على الأقل".
مصغياً إلى نفسه، رأى أنه يبدو مثل مبشّر على التلفاز يتحدث
عن فضيلة التقشف بعد القبض عليه عارياً مع ساقطة في سيارة
ليموزين.
لا شك في أن غريتشن نورلي سمعته بطريقة مختلفة عما سمع نفسه،
وراء نظارتها ذات الإطار الفولاذي، دمعت عيناها بالتعاطف.
براعته الجديدة أرعبت بيلى، وأقلقته، حين يصبح الكاذب بارعاً
جداً في الكذب، قد يفقد القدرة على تمييز الحقيقة، ويمكن أن يصبح
بدوره ضحية الكذب بسهولة أكبر.
توقع أن يكون هناك ثمن للتذاكي على امرأة مثل غريتشن نورلي،
مثلما يوجد ثمن لكل شيء.

الفصل 41

فيما سار بيلى في الردهة الأساسية المؤدية إلى غرفة باربارة في الجناح الغربى، خرج الدكتور جوردان فيرييه، طبيبها، من غرفة مريض آخر. كادا يصطدمان ببعضهما.

"بيلى!".

"مرحبا دكتور فيرييه".

"بيلى، بيلى، بيلى".

"أشعر وكأن محاضرة تنتظرني".

"أنت تتجنبني".

اعترف بيلى: "أبذل ما في وسعي".

يبدو الدكتور فيرييه أصغر من اثنين وأربعين عاماً، شعره أشقر، وعيناه خضراوان، وهو دائم المرح وتاجر متفان للموت.

"مضت أسابيع عدة على موعدنا نصف السنوي".

"الموعد النصف السنوي هو فكرتك أنت، أنا سعيد جداً باللقاء

مرة كل عشر سنوات فقط".

"دعنا نذهب لرؤية باربارة".

قال بيلى: "لا، لن أتحدث عن ذلك أمامها".

"حسناً". أمسك بيلى بذراعه، وقاده الدكتور فيرييه إلى القاعة

التي يستريح فيها الموظفون.

كانا وحدهما في الغرفة، ثمة آلات بيع تحتوي على وجبات خفيفة ومشروبات محلاة، جاهزة لتوفير الكثير من الوحدات الحرارية،

والدهون والكافيين للموظفين الطبيين الذين يعرفون عواقب جوعهم لكنهم يملكون المنطق الجيد للامتناع نوعاً ما عن هذه الأطعمة. أبعده فيريه كرسيًا بلاستيكيًا أبيض عن طاولة فورمايكا برتقالية، عندما لم يحدُ بيلى حذوه، تنهد الطبيب، وأعاد الكرسي إلى تحت الطاولة وبقي واقفاً على قدميه.

"قبل ثلاثة أسابيع، أنجزت تقييماً لحال باربارة".

"أنجز واحداً كل يوم".

"أنا لست عدوك، بيلى".

"تصعب المعرفة في هذه الفترة من السنة".

كان فيريه طبيباً يعمل بكدّ، ذكياً وموهوباً وحسن النوايا، إلا أن الجامعة جعلته لسوء الحظ يصاب بما يعرف بالأخلاق المنفعيّة.

قال الدكتور فيريه: "لم تتحسن أبداً".

"لكنها لم تصبح أسوأ حالاً أيضاً".

"أي فرصة لاستعادتها الوظيفة الإدراكية..."

قاطعته بيلى: "تحدث أحياناً، أنت تعرف ذلك".

"هل تكون منطقية؟ هل الكلمات متناسقة؟"

قال بيلى: "بين الحين والآخر".

"أعطني مثلاً".

"لا أستطيع الآن، عليّ التحقق من دفاتري".

لدى فيريه عينان عاطفتان، يعرف كيف يستخدمهما.

"كانت امرأة رائعة، بيلى، لا يحترمها أحد أكثر مني سواك أنت،

لكنها لم تعد تحيا الآن حياة ذات معنى".

"بالنسبة إليّ، إنها ذات معنى كبير".

"لست أنت من يعاني، وإنما هي".

قال بيلي: "لا يبدو أنها تعاني".
"لا يمكننا التأكد تماماً، أليس كذلك؟".
"بالضبط".

لقد أحببت باربارة الدكتور فيريه، لهذا السبب، لم يستبدله بيلي.
في مستوى ما، قد تكون مدركة لما يجري حولها، في تلك الحال،
قد تشعر بأمان أكبر لتلقيها العلاج على يد الدكتور فيريه بدل طبيب
غريب لم تلتق به أبداً.
المثير للسخرية أحياناً أن إحساس بيلي بعدم العدالة يصل إلى
درجة التهكم.

لو عرفت باربارة بإصابة فيريه بمرض الأخلاق الطبية، لو عرفت
أنه يعتقد أنه يملك الحكمة والحق في تحديد ما إذا كان طفل مصاب
بتناذر داون أو ولد معاق أو امرأة داخلية في غيبوبة، يستمتع بنوعية
حياة تستحق العيش، لقررت ربما بتبديل الطبيب، لكنها لا تعرف.
قال فيريه: "كانت امرأة نابضة جداً بالحياة، لا تريد أن تبقى
هكذا، سنة بعد سنة".

قال بيلي: "لن تبقى هكذا، لم تصل إلى القعر، إنها تطفو قرب
السطح، إنها هنا".
"أفهم أملك بيلي، صدقني أفهمك، لكنك لا تملك المعرفة الطبية
لتقييم حالتها، ليست هنا، لن تكون أبداً".
"أذكر شيئاً قالته ذلك اليوم: أريد أن أعرف ماذا يقول... البحر،
ما الذي يستمر في قوله".

نظر إليه فيريه بحنان وإحباط في الوقت نفسه. "هل هذا أفضل
مثل عندك عن التناسق؟".
قال بيلي: "لا تلحق أي أذى".

"يلحق الأذى بالمرضى الآخرين عندما ننفق موارد محدودة على قضايا ميؤوس منها".

"ليست حالها ميؤوس منها، إنها تضحك أحياناً، إنها هنا، وتملك الكثير من الموارد المالية".

"ما يمكن أن يفيد كثيراً في حال استعماله كما يجب".

"لا أريد المال".

"أعرف، لست من الرجال الذين ينفقون فكة واحدة على أنفسهم، لكن يمكنك تحويل هذه الموارد إلى أشخاص آخرين يملكون احتمالاً أكبر لعيش حياة مقبولة أكثر منها، أشخاص يكونون أكثر تقبلاً للمساعدة".

تحمّل بيلي الدكتور فيريه لأن الطبيب كان فعالاً جداً في الشهادات السابقة للمحاكمة التي قرر صانع حساء الفيشيسواز التقدم بها قبل الانتقال إلى المحكمة.

تابع فيريه: "أنا أفكر فقط في باربارة، لو كنت في حالها، لما أردت الاستلقاء هناك هكذا، سنة بعد سنة".

قال بيلي: "وأنا أحترم رغباتك، لكننا لا نعرف ما هي رغباتها".

ذكّره فيريه: "جعلها تموت لن يستلزم خطوات ناشطة، علينا فقط أن نكون سلبين، نزرع أنبوب التغذية".

في غيبوبتها، لا تملك باربارة رد فعل الابتلاع ولا تستطيع الابتلاع، ينتهي الطعام في رئتيها، "نزرع أنبوب التغذية وترك الطبيعة تأخذ مجراها".

"الحرمان جوعاً".

"فقط الطبيعة".

أبقاها بيلى تحت رعاىة فىرىبه لأن الطىب صرىح بشأن رآبه فى الأخلاق الطبىة، قد ىعمد طبىب آخر إلى التفكىر فى الطرىقة نفسها وإنما ىخفى ذلك... وىتظاهر أنه ملاك - أو وكىل - الرحمة. مرتان كل عام، ىناقش فىرىبه هذا الموضوع، ولكنه لا ىتصرف من دون موافقة بىلى.

قال بىلى: "لا. لا. لن نفعل ذلك، سنتابع مثلما كنا".

"أربع سنوات هو وقت طویل جداً".

قال بىلى: "لكن الموت أطول".

الفصل 42

شمس السادسة صباحاً المشرقة على حقول الكروم ملأت النافذة بالصيف والحياة والسخاء.
تحت جفنيها الشاحيين، لحقت عينا باربارة ماندل حركة الأحلام القوية.

جلس بيلى على الكرسي الصغير قرب سريرها وقال: "رأيت هاري اليوم، لا يزال يتسم حين يذكر كيف كنت تنادينه الدمية مايبت. يقول إن أعظم إنجاز حققه هو عدم شطبه أبداً عن اللائحة القانونية".
لم يخبرها عن أي شيء آخر في هذا اليوم، فبقية الأمور لن ترفع معنوياتها.

من الناحية الدفاعية، ثمة نقطتا ضعف في الغرفة وهما الباب المؤدي إلى الردهة والنافذة، أما الحمام المحاذي فلا يحتوي على نافذة.
كشفت النافذة عن ستارة ومزلاج، أما الباب فلا يمكن إقفاله.
مثل أي سرير مستشفى آخر، لسرير باربارة دواليب. مساء الخميس، مع اقتراب منتصف الليل، يستطيع بيلى جرّ سريرها بعيداً عن هنا، حيث يتوقع القاتل العثور عليها، ووضعها في غرفة أخرى، في مكان أكثر أماناً.

ليست متصلة بأجهزة داعمة للحياة أو بأجهزة مراقبة، مورد الطعام والمضخة يتدليان من قضيب مثبت بإطار السرير.

من مكتب الممرضات وسط الردهة الأساسية الطويلة، لا يستطيع أحد رؤية الزاوية المؤدية إلى هذه الغرفة في الجناح الغربي، إذا حالفه

الحظ، قد يتمكن من نقل باربارة في اللحظة المناسبة من دون أن يراه أحد، ثم يعود إلى هنا لانتظار القاتل.

على افتراض أن الأمور وصلت إلى هذا الحدّ، فهذا افتراض آمن إن لم يكن سعيداً.

ترك باربارة وحدها، ومشى في الجناح الغربي، ملقياً نظرة على غرف المرضى الآخرين، متحققاً من خزانة اللوازم، وغرفة الاستحمام، مراجعاً الاحتمالات.

عندما عاد إلى غرفتها، كانت تتكلم: "... مبلل بالماء... ملطخ بالوحل... مغطى بالحجارة...".

أوحت كلماتها بلم سيئ، لكن نبرة صوتها لم توح بذلك، تحدثت بهدوء كما لو أنها مقتادة.

"... مقطع بالصوّان... ملدوغ بالأشواك... ممزق بالورد البري..."

نسي بيلى دفتره الصغير وقلمه. لكن حتى لو تذكرهما، لن يملك الوقت للجلوس وتسجيل هذه التتمات.

قالت: "بسرعة".

وقف قرب سريرها، ووضع يده على كتفها.

همست بإلحاح: "اضربه على فمه".

توقع جزئياً أن تفتح عينيها وتثبتها عليه، لكنها لم تفعل.

عندما صمتت باربارة، جلس بيلى القرفصاء بحثاً عن الحبل المشغّل

لآلية تعديل الفراش في السرير. إذا احتاج إلى تحريكها في الليلة التالية، عليه سحب ذلك الحبل.

على الأرض، مباشرة تحت السرير العالي، وجد صورة ملتقطة

بكاميرا رقمية، رفع بيلى الصورة ووقف ليتأملها في الضوء.

همست باربارة: "... ازحف وازحف..."
برم الصورة في اتجاهات ثلاثة قبل أن يدرك أنها صورة يسروع
يتضرع، وهو ميت على ما يبدو، وشاحب جداً.
"... ازحف وازحف... ومزقه لفتحه..."
فجأة أصبح صوتها الهامس مثل صورة يسروع يحتضر وتغلغل
بسرعة عبر أذنيّ بيلى، ما سبب له الارتعاش.
خلال ساعات الزيارات العادية، يدخل أهل المرضى وأصدقائهم
عبر الأبواب الأمامية ويذهبون إلى حيث يريدون، من دون الحاجة إلى
التوقيع على سجل.

همست: "... يديّ الميت..."
بما أن باربارة تستلزم انتباهاً أقل من المرضى الواعين ومشاكلهم
العديدة وطلباتهم الكثيرة، لا تزورها الممرضات كثيراً مثلما يزرن
المرضى الآخرين.

"... حجارة رائعة... حمراء غاضبة..."
يستطيع الزائر السريع المكوث هنا نصف ساعة من دون أن يراه
أحد قرب هذا السرير- أو وهو يدخل أو يغادر.
لا يريد ترك باربارة وحدها، تتحدث إلى غرفة فارغة، بالرغم من
أنها فعلت ذلك مرات عدة في مناسبات سابقة. أمسية بيلى، الغارقة
أصلاً تحت وطأة المواعيد، باتت أكثر تعقيداً بإضافة مهمة جديدة أكثر
إلحاحاً.

"... سلال متدلّية... مريع..."
وضع بيلى الصورة في جيبه.
انحنى صوب باربارة، وقبّلها على جبينها، كان حاجبها بارداً،
مثلما هو بارد دوماً.

أمام النافذة، أسدل الستارة.
كره المغادرة، فوقف في باب الردهة ونظر إليها.
قالت شيئاً طنّ في أذنيه، ولكن من دون أن يعرف السبب.
قالت: "سيدة جو. سيدة جو".
لا يعرف سيدة جو أو سيدة جوزيف أو سيدة جوهانسون أو
سيدة جوناس، أو أي شخص له اسم مماثل للاسم الذي لفظته باربارة،
وبالرغم من ذلك، ثمة شيء لفته.
طنّ صوت شبح يسروع في أذنيه مجدداً، ارتعش عموده الفقري.
بتضرع حقيقي فعلاً وليس مثل تلك التي كذب بشأها أمام
غريتشن نورلي، ترك باربارة وحدها في هذه الليلة الأخيرة التي قد
تكون فيها آمنة.
بقيت أقل من ثلاث ساعات من ضوء النهار في سماء جافة جداً
لتحمل غيمة، فسطعت الشمس بإشراق تام، وصمت الهواء كما لو أنه
يتحضر لانفجار كوني.

الفصل 43

لا يحتوي الفناء الأمامي المسيّج على عشب يحتاج إلى الزجّ، وإنما احتوى بدل ذلك على سجادة من النباتات الكثيفة، وتحت الباقات الجميلة من شجيرات الفليفلة، أزهار متشابكة. ثمة نفق مشجّر مكمل بكروم العنب ظلل المشى الأمامي، رفعت الأبواق القرمزية الصامته أجراسها المتفتحة إلى الشمس. السنق المقوّس المغطى بالشبيكة أفضى إلى مصطبة أمامية مشمسة حيث أوعية مليئة بأزهار بلون العقيق الأحمر. المنزل بنغالو إسباني، متواضع وإنما جميل، ويحظى بصيانة ممتازة.

تم رسم شكل أسود لعصفور على الباب الأمامي الأحمر، الجناحان مرتفعان إلى الأعلى والعصفور في زاوية تخليق إلى الأعلى. فيما طرق بيلى نصف طرقة صغيرة على الباب، فتح الباب، كما لو أن حضوره كان متوقّعا وتم انتظاره بتوقع قوي. قالت آيفي إيلجين: "مرحبا بيلى". من دون دهشة، كما لو أنها رآته عبر نافذة، لكن لا توجد أي نافذة. حافية القدمين، ارتدت سروالاً قصيراً باللون الكاكي وقميصاً قطنياً أحمر خالياً من أي علامة، بالرغم من بساطتها، بقيت آيفي تشع جمالاً وجاذبية.

قال: "لم أكن واثقاً من أنني سأجدهك هنا".
"عطلتي يوم الأربعاء" تراجعت عن الباب.

تردد يبلي لرهة على العتبة، ثم قال: "نعم. لكن لديك حياة".
"أنا أقشر الفستق الحلبي في المطبخ".
استدارت، ودخلت المنزل، وتركته يتبعها كما لو أنه جاء إلى
هنا قبلاً ألف مرة، إنها زيارته الأولى.
تناسق نور الشمس المظلل بستائر سميككة مع نور مصباح أرضي
مغطى بالحرير الفيروزي في غرفة الجلوس.
تأمل يبلي الأرضية الداكنة، والمفروشات الموهير باللون الأزرق
الكحلي، وسجادة من الطراز الفارسي. بدا العمل الفني وكأنه يعود إلى
ثلاثينيات القرن العشرين.
أصدر بعض الضجيج على أرضية الخشب، لكن آيفي لم تصدر
أي ضجيج، اجتازت الغرفة كما لو أن رفاقة من الهواء فصلت دوماً
بين قدميها والألواح الخشبية في الأرضية، تماماً مثل تختار الذبابة العبور
فوق بركة من دون التأثير في سطح الماء.
في الجهة الخلفية من المنزل، تطابق المطبخ مع حجم غرفة
الجلوس، واحتوى على مساحة لتناول الطعام.
ألواح خشبية زخرفية، أبواب خزانات فرنسية الطراز، أرضية
بيضاء مطعمة بأشكال ماسية سوداء، وترتيب ممتاز جعله يتذكر سحر
نيو أورليانز.
كانت النافذتان الفاصلتان بين المطبخ والمصطبة الخلفية مفتوحتين
للتهوئة، ثمة عصفور أسود كبير جاثم على نافذة.
أوحى السكون المثالي للعصفور بأنه محطّط، ثم حرّك رأسه.
بالرغم من أن آيفي لم تقل أي شيء، شعر يبلي أنه مدعو إلى
الجلوس أمام الطاولة، وعندما جلس، وضعت كوباً من الثلج أمامه،
رفعت إبريقاً عن الطاولة، وسكبت الشاي.

ثمة كوب آخر من الشاي على شرشف الطاولة المطيع بمربعات
بيضاء وحمراء، وطبق من الكرز الطازج، وصينية مليئة بكومات عالية
من الفستق غير المقشر.

قال بيلي: "منزلك جميل".

"كان هذا منزل جدي، هي تولت تربيتي". أخذت ثلاث
حبات كرز من الطبق.

تحدثت آيفي بهدوء، مثلما تفعل دوماً، حتى في المشرب، لا ترفع
صوتها أبداً، لكنها تحرص دوماً على إبقاء صوتها مسموعاً.

من دون وجود أحد يتحسس، تفاجأ بيلي لسماع نفسه يسأل،
بصوت هادئ مثل صوتها: "ماذا حصل لأمك؟".

قالت آيفي فيما وضعت حبات الكرز على حافة النافذة قرب
العصفور: "ماتت في أثناء الولادة، غادر بعدها والدي للتو".

تمت تحلية الشاي برحيق المشمش، مع القليل من النعناع.
فيما عادت آيفي إلى الطاولة، وجلست، وتابعت تقشير الفستق،
راقب العصفور بيلي، وتجاهل حبات الكرز.

سأل بيلي: "هل هذا العصفور لك؟".

"نحن نملك بعضنا بعضاً، نادراً ما يدخل أبعد من النافذة، وحين
يفعل، يحترم قواعدنا في النظافة".

"ما اسمه؟".

"لم يخبرني بعد، سيفعل في النهاية".

لم يشعر بيلي أبداً في حياته، لغاية الآن، بهذا القدر من الارتياح
والتشوش في الوقت نفسه، وإلا لما وجد نفسه يطرح سؤالاً غريباً آخر:

"أيهما جاء أولاً، العصفور الحقيقي أو العصفور على الباب الأمامي؟".

قالت: "وصلاً معاً". بحيث لم يكن جوابها أقل غموضاً من سؤاله.

"ما نوعه، غراب؟".

قالت: "إنه أكثر وقاراً من ذلك، إنه غراب أسود، يريدنا أن نعتقد أنه ليس أكثر من ذلك".

لم يعرف بيلى ماذا يقول، ولذلك لم يقل أي شيء، شعر بالارتياح في الصمت، وهي أيضاً على ما يبدو.

أدرك أنه فقد إحساس الإلحاح الذي كان معه عندما غادر وإيسيرينغ باينز، لم يعد الوقت يمرّ بسرعة على ما يبدو، في الواقع، بدا الوقت غير مهم هنا.

أخيراً، استدار العصفور نحو حبات الكرز، مستخدماً منقاره لكشط اللب عن النوى بفاعلية مذهلة.

بدت أصابع آيفي الطويلة والممشوقة تعمل ببطء، لكنها أضافت بسرعة حبات الفستق المقشرة إلى الوعاء.

قال بيلى: "هذا المنزل هادئ جداً".

"لأن الجدران لم تتشعب بسنوات من الكلام العديم الفائدة".

"لم تفعل؟".

"كانت جدتي صمّاء، كنا نتواصل بلغة الإشارة والكلام المكتوب".

وراء المصطبة الخلفية، ثمة حديقة من الأزهار مفتوحة بألوان حمراء أو زرقاء أو أرجوانية، فإذا تحركت ورقة، إذا تحرك زيز، إذا حامت نحلة حول وردة، لا يدخل أي صوت عبر النوافذ المفتوحة.

قالت آيفي: "قد تحب بعض الموسيقى، لكنني لا أفضل شيئاً".

"ألا تحبين الموسيقى؟".

"أسمع منها ما يكفي في المشرب".

"أحب زيديكو، والألحان الغربية، تكساس توب هاندس، بوب

ويلز وتكساس بلايبيوز".

قالت: "على كل حال، توجد أصلاً موسيقى إذا جلست ساكناً كفاية لسماعها".

لا بد أنه ليس ساكناً كفاية.

أخرج بيلي صورة اليسروع الميت من جيبه ووضعها على الطاولة، وقال: "وجدت هذه على الأرض في غرفة باربارة في وايسبرينغ باينز".

"يمكنك الاحتفاظ بها إذا أردت".

لم يعرف ماذا يفعل بهذا. "هل كنت تزورينها؟".

"أجلس معها أحياناً".

"لم أكن أعرف".

"كانت لطيفة معي".

"لكنك بدأت العمل في المشرب بعد سنة واحدة من دخولها الغيبوبة".

"عرفتها قبلاً".

"حقاً".

"كانت لطيفة معي عندما كانت جدتي تموت في المستشفى".

كانت باربارة ممرضة، وممرضة جيدة.

سأل بيلي: "كم مرة تزورينها؟".

"مرة كل شهر".

"لماذا لم تخبريني أبداً آيفي؟".

"سنضطر حينها إلى التحدث عنها، أليس كذلك؟".

"نتحدث عنها؟".

سألت آيفي: "تحدث عن حالها، وما عانتها؛ هل يعطيك ذلك

السلام؟".

"السلام؟ لا. وكيف ذلك؟".

"هل تشعر بالسلام عند تذكر كيف كانت، قبل الغيبوبة؟"
فكر قليلاً "أحياناً".

رفعت نظرها عن حبات الفستق، والتقت عيناها الرائعتان بعينيه.
"دعنا لا نتحدث إذاً عن الموضوع الآن، نتذكر فقط."
انتهى الغراب من تناول حبتين من الكرز، ثم توقف لتمديد
جناحيه، فتح الجناحان بصمت، وأغلقهما بصمت.
عندما نظر بيلي إلى آيفي مجدداً، عاد انتباهها إلى يديها.
سألها: "لماذا أخذت هذه الصورة معك عندما ذهبت إلى
زيارتها؟".

"أخذها معي إلى كل مكان، أحدث صور الأشياء الميتة".
"لكن لماذا؟".

ذكرته: "توقع المستقبل، أقرأ في هذه الصور، إنها تتوقع المستقبل".
ارتشف الشاي.

راقبه الغراب، ومنقاره مفتوح، كما لو أنه ينبغ، لكنه لم يصدر
أي صوت.

سأل بيلي: "ماذا تقول عن باربارة؟".

هدوء آيفي وقدرتها على الاستبصار أخفيا ما إذا كانت تحسب
جوابها أم أنها ترددت بدل ذلك لأن أفكارها مشتتة بين هنا ومكان
آخر. "لا يوجد شيء".

"ليس من شيء على الإطلاق".

لقد أعطت جوابها، لا تملك جواباً آخر.

على الطاولة، في الصورة، لم يقل اليسروع شيئاً لبيلي.

سأل: "من أين جاءتك فكرة قراءة الأشياء الميتة؟ من جدتك؟".
"لا. عارضتني. كانت كاثوليكية ملتزمة".

"لكنك لم توافقها الرأي".

قالت آيفي همدوء أكثر من المعتاد: "أوافقها ولا أوافقها".

بعدما انتهى الغراب من حبة الكرز الثالثة، بقيت حبات النوى العارية مصفوفة على حافة النافذة، كما لو أنها اعتراف بقواعد النظافة والترتيب في المنزل.

قالت آيفي: "لم أسمع أبداً صوت أمي".

لم يعرف بيلي ماذا يفعل عند سماع هذه الجملة، ثم تذكر أن أمها ماتت خلال الولادة.

قالت آيفي: "منذ صغري، أعرف أن أمي تملك شيئاً مهماً جداً لقوله لي".

للمرة الأولى، لاحظ ساعة على الجدار، لا عقارب للشواني أو للدقائق أو للساعات فيها.

قالت آيفي: "لطالما كان هذا المنزل هادئاً على الدوام، هادئاً جداً، عليك الإصغاء هنا".

أصغى بيلي.

قالت آيفي: "الموتى يملكون أشياء لقولها لنا".

نظر الغراب إلى سيدته بعينين رماديتين لامعتين.

قالت: "الجدار أرقّ هنا، الجدار الفاصل بين العالمين. تستطيع الروح التحدث عبره إذا أرادت ذلك بشدة".

دفعت القشور الفارغة جانباً، ووضعت حبات الفستق في الوعاء، فأصدرت سمفونية ناعمة من الأصوات، أكثر هدوءاً من صوت الثلج الذائب في كوبيّ الشاي.

قالت آيفي: "أحياناً عند الليل، أو في لحظة ساكنة من بعد الظهر، أو عند غروب الشمس حين يتلعب الأفق الشمس ويسود الصمت،

أعرف أنها تناديني. أكاد أسمع نوعية صوتها... ولكن ليست الكلمات، ليس بعد".

فكّر بيلى في باربارة وهي تتحدث من أعماق نومها غير الطبيعي، بحيث تكون كلماتها من دون معنى للجميع، وإنما مليئة بالمعنى الغامض بالنسبة إليه.

وجد آيفي إيلجين مثيرة للقلق بقدر ما هي مثيرة للجاذبية، تبدو براءتها أحياناً أقرب إلى الطهارة، حذر بيلى نفسه أنه في أعماق قلبها، كما هي حال قلب أي رجل وامرأة، لا بد من وجود مكان لا يصله النور، حيث لا يمكن بلوغ الصمت الهادئ.

لكن، وبغض النظر عن رأيه الشخصي في الحياة والموت، وبالرغم من كل الحوافز غير النقية التي تدفع آيفي، إذا كانت هناك حوافز تدفعها، شعر بيلى أنها صادقة في اعتقادها أن أمها تحاول الوصول إليها، وتستمر في المحاولة، إلى أن تنجح في النهاية.

الأكثر أهمية أنها أثرت فيه، ليس بالمنطق وإنما بحكم لاوعيه المتكيف، بحيث لا يستطيع اعتبارها مجرد فتاة غريبة الأطوار، في هذا المنزل، قد تكون الجدران الفاصلة بين العالمين رقيقة جداً، ومشبعة بسنوات طويلة من الصمت.

نادراً ما تصح التفاصيل في توقعاتها المرتكزة على قراءة المستقبل، تقول إن هذا يعزى إلى عدم خبرتها في قراءة الإشارة، ولا تعترف أبداً بالافتراضات القائلة إن توقع المستقبل علم الفائدة بمحدّ ذاته.

فهم الآن بيلى عنادها، إذا لم يكن في وسع الشخص قراءة المستقبل في الظروف الفريدة لكل شيء ميت، قد يكون صحيحاً أيضاً أن الموتى لا يملكون شيئاً لإخبارنا به وأن الولد الذي ينتظر سماع صوت أم ضائعة لن يسمعه أبداً مهما أصغى أو مهما بقي صامتاً ومنتبهاً.

هكذا، تتأمل صور حيوانات أبوسوم الميتة على جوانب الطرقات،
واليساريع الميتة، والطيور الواقعة من السماء.

تمشي بصمت في منزلها، تقشر الفستق من دون ضجيج،
تتحدث بهدوء إلى الغراب أو لا تتحدث إطلاقاً، وفي بعض الأحيان
يصبح الهدوء سكوناً مثالياً.

سيطر الآن هذا السكون عليهما، لكن بيلى كسره.
اهتم في رد فعل آيفي أكثر مما اهتم في تحليلها، وراقبها بتمعن
أكثر مما فعل الطير الأسود، وقال بيلى: "في بعض الأحيان، يحتفظ
المجرمون المريضون نفسياً بتذكارات لتذكيرهم بضحاياهم".

بالرغم من أن تعليق بيلى لم يكن أكثر غرابة من الإشارة إلى الحرّ،
توقفت آيفي لارتشاف الشاي، ثم عادت لتقشير الفستق.

شك في أن أي شيء يقوله أي كان لآيفي لا يثير مفاجأة لديها،
كما لو أنها تعرف دوماً الكلمات قبل أن يتم لفظها.

تابع بيلى القول: "سمعت عن هذه القضية التي قام فيها مجرم كبير
بقطع وجه الضحية وحفظه في وعاء من الفورمالديهايد".

غرفت آيفي قشور الفستق عن الطاولة، ووضعتها في سلة
المهملات قرب كرسيها، لم توقعها في السلة وإنما وضعتها في سلة
المهملات بطريقة لم تصدر أي صوت.

عند مراقبة آيفي، لم يستطع بيلى أن يعرف ما إذا كانت سمعت
قبلاً بقصة سارق الوجه أو أن الخبر جديد عليها.

"إذا صادفت ذلك الجسم الخالي من الوجه، ماذا تقرئين فيه؟ ليس
المستقبل، وإنما هو، القاتل.

قالت من دون تردد: "مسرّح".

"لم أفهم ماذا تقصدين".

"يجب المسرح".

"لماذا تقولين هذا؟".

قالت: "دراما قطع وجه".

"لم أجر هذا الرابط".

أخذت حبة كرز من طبق مسطح.

قالت: "المسرح هو خيبة أمل، ما من ممثل يؤدي شخصيته الحقيقية".

كل ما استطاع يبلي قوله هو "حسناً". ثم انتظر.

قالت: "في كل دور، يختار الممثل هوية زائفة".

وضعت حبة الكرز في فمها، بعد برهة، بصقت النواة في راحة

يدها، وابتلعت الثمرة.

سواء أكانت تريد الإشارة إلى أن النواة هي الحقيقة القصوى

للكرز أم لا، هذا ما فهمه.

مرة جديدة، نظرت آيفي في عينيه: "لم يرد الوجه لأنه وجه،

أراده لأنه قناع".

كانت عيناها جميلتين أكثر مما يمكن قراءتهما، لكنه لا يظن أن

بصيرتها تصيها بالقشعريرة مثلما فعلت به، عندما تمضي حياتك ربما

وأنت تصغي إلى أصوات الموتى، لا تصيبك القشعريرة بسهولة.

قال: "هل تقصدين أحياناً، أنه عندما يكون وحيداً وعلى مزاجه،

يخرج القناع من الوعاء ويضعه؟".

"ربما يفعل ذلك، أو يريد ربما لأنه يذكره بدارما مهمة في حياته،

في أداء مفضل".

أداء.

لقد أثرت فيه هذه الكلمة عندما لفظها رالف كوتل، قد تكون

آيفي كررتها عن معرفة، أو بكل براءة، لا يستطيع أن يعرف.

استمرت في النظر إليه. "هل تظن أن كل وجه هو قناع، بيلي؟".
"وأنت؟".

"جدي الصماء، اللطيفة والرفيقة مثل الصالحة، لا تزال تحمل أسرارها. إنها أسرار بريئة، لا بل فاتنة، كان قناعها شفافاً مثل الزجاج؛ لكنها كانت تضع واحداً".

لم يعرف لماذا تخبره بذلك، وما الذي أرادت الإيحاء به مما أخبرته، لم يصدق أن سؤالها مباشرة سيفضي إلى جواب أكثر صراحة.

لم تقصد بالضرورة أن تسبب خيبة الأمل، كان حديثها مراوغة أكثر مما هو صريح في أغلب الأحيان، ليس بسبب النية وإنما بسبب طبيعتها، كل شيء قالته بدا صافياً مثل رنين الجرس على الأذن؛ وإنما في الوقت نفسه صعب قليلاً على التفسير.

في أغلب الأحيان، يقول صمتها أشياء أكثر من الكلمات التي تلفظها، وهذا منطقي بالنسبة إلى فتاة ربّتها جدة صماء.

إذا قرأها جيداً، لم تكن آيفي تحاول تخييب أمله بأي طريقة، ولكن لماذا قالت إن كل وجه، بما في ذلك وجهها، هو قناع؟

إذا كانت آيفي تزور باربارة فقط لأن باربارة كانت لطيفة قبلاً معها، وإذا كانت تأخذ معها صور الأشياء الميتة إلى وايسبرينغ باينز فقط لأنها تأخذها إلى كل مكان، يعني ذلك أن صورة اليسروع ليست لها علاقة بالفخ الذي وجد بيلي نفسه عالقاً فيه، ولا تعرف أبداً بشأن القاتل.

في هذه الحال، يستطيع أن ينهض ويفعل الأشياء الملحة الواجب إنجازها، إلا أنه بقي جالساً أمام الطاولة.

أخفضت عينيها مرة جديدة إلى حبات الفستق، وعادت يداها إلى التقشير الهادئ والمفيد.

قالت آيفي: "كانت جدتي صمّاء منذ الولادة، لم تسمع أبداً أي كلمة ملفوظة ولم تعرف كيف تركّب الكلمات".

راقب يبلي أصابعها الرشيقة، وشك في أن أيام آيفي مليئة بالعمل المفيد- الاعتناء بحديقته، إبقاء هذا المنزل الجميل في وضعه الحالي من المثالية الخالية من الشوائب، الطهو- وتفادي الكسل بأي ثمن.

"لم تسمع أبداً أي شخص يضحك، لكنها كانت تعرف كيف تفعل ذلك، كانت تملك ضحكة جميلة ومعدية، لم أسمعها أبداً تبكي إلا حين أصبحت في الثامنة".

فهم يبلي دوافع آيفي، وتعاطف معها، استلطفها، بغض النظر عن التفكير في ما إذا كان بالإمكان الوثوق فيها أم لا.

قالت آيفي: "عندما كنت أصغر سناً، لم أفهم تماماً ماذا يعني أن أمي توفيت في أثناء الولادة. كنت أظن أنني المسؤولة نوعاً ما عن موتها".
على حافة النافذة، مدد الغراب جناحيه مجدداً، بصمت مثلما فعل قبلاً.

قالت آيفي: "كنت في الثامنة عندما أدركت أنني لست مذبذبة، وعندما أشرت إلى جدتي بإدراكي، رأيتها تبكي للمرة الأولى، يبدو ذلك مضحكاً، لكنني افترضت أنه عندما تبكي، سيكون بكاؤها نحياً صامتاً، لا شيئاً سوى دموع وتشنجات صامتة، إلا أن بكاءها كان عادياً مثل ضحكتها، بالنسبة إلى هذين الصوتين، لم تكن امرأة مختلفة عن أي امرأة تستطيع السماع والتحدث، إنها واحدة من المجتمع".

ظن يبلي أن آيفي تفتن الرجال بجمالها وجاذبيتها، لكن الفتنة التي تلقيها حولها تكشف عن مصدر أعمق.

عرف أنه أراد كشف الحقيقة فقط عندما خرجت الكلمات من فمه:
"عندما كان عمري أربعة عشر عاماً، أطلقت النار على أمي وأبسي".

قالت "أعرف" من دون أن تنظر إليه.
"حتى الموت".
"أعرف، هل فكرت يوماً في أن واحداً منهما يرغب في التحدث
إليك عبر الجدار؟".
"لا، أبداً، وأتمنى ألا يفعل ذلك أبداً".
قشرت الفستق، ونظرت إليه، وقالت: "عليك أن تذهب".
حسب نبرتها، قصدت أنه يستطيع البقاء لكنه فهم أنه عليه المغادرة.
قال "نعم". ونفض عن كرسيه.
"أنت في مشكلة، بيلي، أليس كذلك؟".
"لا".
"هذه كذبة".
"نعم".
"ولا يمكنك إخباري"
لم يقل أي شيء.
"جئت إلى هنا بحثاً عن شيء ما، هل وجدته؟".
"لست أكيداً".
قالت: "أحياناً، يمكنك الإصغاء بشدة إلى أخف الأصوات بحيث
لا تسمع حتى الأصوات العالية".
فكّر في الأمر لبرهة ثم قال: "هل سترافقيني إلى الباب؟".
"أصبحت تعرف الطريق الآن".
"عليك إقفال الباب ورائي".
"يقفل الباب وحده عندما يغلق".
"ليس هذا جيداً كفاية، قبل الظلام، عليك إقفال كل الأبواب،
وإقفال النوافذ".

قالت: "لا أخاف من أي شيء، لم أخف يوماً".
"لظالما خفت".

قالت: "أعرف، طوال عشرين عاماً".

في طريق خروجه، أصدر بيلى ضحيجاً أقل على الأرضية الخشبية مما فعل في أثناء دخوله، أغلق الباب الأمامي، وجرب القفل، مشى في الرواق المظلل بالأشجار وصولاً إلى الشارع، تاركاً آيفي إيلجين مع الشاي والفسق، والغراب المراقب خلفها على حافة نافذة المطبخ حيث الساعة تفتقد إلى العقارب.

الفصل 44

استأجر ستيف زيليس منزلاً بطابق واحد من دون هندسة مميزة في شارع يبدو فيه أن الفلسفة الطاغية بين الجيران هي إهمال الملكية. المنزل الوحيد الذي حظي بصيانة جيدة يقع مباشرة شمال منزل ستيف، صديقة جاكى أوهارا، سيليا رينولدز، تعيش هناك. زعمت أنها رأت زيليس في نوبات غضب وهو يقطع الكراسي، والبطيخ والعارضات البلاستيكية في الفناء الخلفي لمنزله. يقع المرآب في الجهة الجنوبية لمنزله، بعيداً عن مرأى سيليا رينولدز، بعدما نظر مرات عدة إلى مرآياه وتأكد من عدم لحاق أحد به، ركن بيلى السيارة بجرأة في الممشى. بين زيليس وجارته الجنوبية ثمة جدار ارتفاعه ثماني أقدام من أشجار الأوكالبتوس غير المشذبة التي توفر الخصوصية. عندما خرج بيلى من سيارة الإكسبلورر، اقتصر تخفيه على اعتمار قبعة بايسبول زرقاء، أخفضها فوق جبينه. منحته علبة الأدوات شرعية الحضور، رجل مع علبة أدوات، يتحرك بسرعة، يفترض أن يكون عامل صيانة، ولا يثير أي شبهات. بصفته نادل مشرب، يملك بيلى وجهاً معروفاً في دوائر معينة، لكنه لا يتوقع أن يبقى في العلقن لوقت طويل. مشى بين أشجار الأوكالبتوس العطرة والمرآب. مثلما أمل، عثر على باب بحجم رجل، بما أن المكان كان مهملاً والإيجار رخيصاً، ثمة قفل بسيط يغلق الباب، ما من قفل محكم.

استخدم بيلى بطاقة رخصة القيادة خاصته لفتح القفل، أخذ علبه معداته إلى المرأب وأثار الضوء.

في طريقه من وايسبرينغ باينز إلى منزل آيفي إيلجين، مرّ أمام المشرب، كانت سيارة ستيف مركونة في المرأب. يعيش زيليس وحده، المكان إذاً خال.

فتح بيلى المرأب، وأدخل سيارته إلى الداخل، وأغلق الباب، تحرك بطريقة عفوية، كما لو أنه غير مستعجل للابتعاد عن الأنظار. ليالي الأربعاء تكون عادة مزدحمة في المشرب، لن يعود ستيف إلى المنزل إلا بعد الثانية من فجر يوم الخميس.

إلا أن بيلى لا يستطيع المجازفة بالبقاء سبع ساعات في المنزل وتفتيشه، في مكان آخر، ثمة جثتان مدمغتان بالأدلة ضده يجب التخلص منهما قبل بزوغ الفجر.

كان المرأب مليئاً بالعناكب والغبار، وخالياً من الأغراض، في عشر دقائق، عثر على عناكب ولكنه لم يعثر على مفتاح احتياطي للباب الداخلي.

أراد تفادي علامات الدخول الإكراهي، إلا أن فتح القفل ليس سهلاً مثلما يبدو في الأفلام، ولا إغراء امرأة أو قتل رجل، أو أي شيء آخر.

بما أنه وضع أفضالاً جديدة في منزله، تعلم بيلى كيف ينجز العمل بطريقة صحيحة وتعلم أيضاً أنه يمكن إنجاز العمل بطريقة سيئة، أمل في أن يكون العمل سيئاً هنا، وهكذا كان.

تم تركيب الباب ربما ليفتح من الجهة غير الصحيحة، فبدل أن يتم تركيب الباب للتطابق مع القفل، تم تركيب القفل في الجهة المعاكسة، وكانت الجهة الداخلية نحو المرأب.

بدل أن يكون غطاء ثقب المفتاح ثابتاً، وجد واحداً مثبتاً ببرغيين،
أما ثقب المفتاح فهو مزود بمقبض للسحب.

فتح الباب في وقت أقل من ذلك الذي احتاج إليه للبحث عن
مفتاح احتياطي، وقبل المتابعة، أعاد تركيب القفل، نظّف كل الأدلة
المشيّرة إلى أفعاله ومسح كل بصماته عن الباب.

عاد إلى علبة الأدوات، وأخرج منها مسدسه، لتسهيل الخروج
السريع، وضع الأدوات في سيارة الإكسلورر.

بالإضافة إلى علبة الأدوات، أحضر معه علبة من قفازات
اللاتكس. وضع زوجاً من القفازات في يديه.

الآن، مع بقاء ساعة من ضوء النهار، قام بجولة في المنزل،
وأشعل الأنوار في كل غرفة.

كانت العديد من الرفوف في غرفة الطعام فارغة، اقتصرت مؤونة
ستيف على بعض علب الحساء، وعلب اليخنات، ورقاقات البطاطا
المقلية، والبوشار، والبسكويت المملح.

الأطباق والطناجر الوسخة الموجودة في حوض غسل الصحون
كانت أكثر من عدد الأغراض النظيفة الموجودة في الخزانات، التي
كانت بمعظمها فارغة.

في درج، عثر على مجموعة من المفاتيح الاحتياطية الخاصة بسيارة
وأقفال منزل، للمنزل ربما. جرّب بعض المفاتيح في الباب الخلفي
ووجد واحداً يعمل، وضع ذلك المفتاح الاحتياطي في جيبه قبل إعادة
بقية المفاتيح إلى الدرج.

يحتقر ستيف زيليس المفروشات، في غرفة الطعام الملاصقة
للمطبخ، لم يتطابق الكرسي الوحيد مع طاولة الفورمايكا
القديمة.

احتوت غرفة الجلوس على أريكة قديمة، ومتكأ من الجلد المشقق، مع تلفاز ومشغل أقراص دي في دي على طاولة ذات دواليب، تم تكديس المجالات على الأرض، وثمة زوج من الجوارب الوسخة قربها. باستثناء قلة الملصقات، كان الديكور شبيهاً بديكور غرفة طالب جامعة، استمرار المراهقة مرض لكنه ليس جرمًا.

إذا جاءت امرأة يوماً للزيارة، لا تعود مجدداً؛ أو تنام، فالقدرة على ربط أعناق حبات الكرز باللسان ليست أمراً كافياً لضمان حياة غنية بالرومنسية.

غرفة النوم الاحتياطية لا تحتوي على مفروشات، وإنما على أربع عارضات بلاستيكية، كلها عارضات إناث، عارية، من دون شعر، صلح، تم العبث بثلاث منها.

ثمة عارضة مستلقية على ظهرها على الأرض، في وسط الغرفة، ثمة سكينان كبيرتان فيها، تم غرز كل سكين في حنجرتها، كما لو أنها طعنت نفسها مرتين.

تم ثقب فتحة بين ساقها، تم أيضاً إدخال قضيب مستدق الرأس مأخوذ من سياج حديدي بين ساقها، تم غرز الطرف مستدق الرأس في المهبل المستحدث.

بدل القدمين، حملت العارضة يدين في طرفي ساقها، كانت الساقان محيبتين للسماح لليدين الإضافيتين بالإمساك بالقضيب الحديدي.

ثمة زوج ثالث من اليدين مقطوع من المعصمين خرج من الثديين، ارتفعت هاتان اليدان نحو الهواء، بتوق وشوق، كما لو أن العارضة لا تشبع.

الفصل 45

إذا طفتَ خلصة في معظم المنازل، يمكن اكتشاف أدلة على أسرار انحراف.

وبما أنه تم تخصيص عناية كبيرة لتثويبه هذه العارضات، وتكريس الكثير من الوقت لذلك، بدت أنها تمثل شيئاً أكثر من هذا، لم يكن ذلك تعبيراً عن الرغبة وإنما عن توقّهم، عن حاجة كبيرة لا يمكن إشباعها أبداً.

ثمّة عارضة أخرى جلست وظهرها إلى الجدار، مع ساقين مفتوحتين، تم اقتلاع عينيها، وجرى غرز أسنان مكاهما. بدت أنها أسنان حيوان، ربما أسنان زواحف وربما حقيقية، أنياب معقوفة وقواطع مكسورة.

تم لصق كل سن بعناية في حافة الحجر، بدا وكأنه جرى لصق كل سن بعناية وتصميم للحصول على الشكل الأكثر ترويعاً وإرهاباً. تم قطع الفم وتجويفه كثيراً، ملأت أسنان غير بشرية فم العارضة. مثل بتلات الورد المفتحة، كانت الأذنان محاطتين بأسنان متوازنة.

نشأت أسنان من الحلمتين ومن السرة، كشف المهبل المحفور عن أنياب أكثر من الفتحات الأخرى.

لا يعرف يبلي، ولا يبالي، إذا كانت هذه الصورة المروعة تمثل الخوف من الأنوثة الطاغية أو إشباعاً للرغبة الذاتية. أراد فقط الخروج من هنا، لقد رأى ما يكفي، إلا أنه تابع المراقبة.

العارضة الثالثة جلست أيضاً وظهرها إلى الجدار، وضعت يديها في حُضنها وأمسكت بوعاء. الوعاء هو في الواقع القسم العلوي من جمجمتها، تم نشره بالمنشار.

ثمة صور لأعضاء تناسلية رجالية ملأت الوعاء، لم يلمسها بيلى.

ثمة باقة من صور متشابهة، الكثير منها، فاضت من أعلى الجمجمة المفتوحة، وفاض المزيد من الصور من فم العارضة.

يبدو جلياً أن ستيف زيليس أمضى الكثير من الوقت وهو يلتقط صوراً لنفسه من زوايا مختلفة، في وضعيات مختلفة.

أدت قفازات بيلى دوراً إضافياً غير الحماية من ترك البصمات، فلولا القفازات، لشعر بالعثيان من الحاجة إلى إمساك مقابض الأبواب، والضغط على المفاتيح الكهربائية، وأي شيء آخر في المنزل.

العارضة الرابعة لم يتم تشويها بعد، يتحرق زيليس شوقاً على الأرحح للانقضاض عليها.

خلال دوام عمله في المشرب، فيما يسكب شراب الشعير من الصنبور، ويخبر النكات، وينجز ألعابه، هذه هي الأفكار التي تراوده وراء الابتسامة المشعة.

كانت غرفة نوم ستيف مفتقدة إلى المفروشات تماماً مثل بقية المنزل، سرير، منضدة ليلية، مصباح وساعة، لا يوجد أعمال فنية على الجدران، لا زخارف صغيرة تافهة، لا أشياء جديدة بالذكر.

شراشف السرير كانت مبعثرة، ثمة وسادة على الأرض.

بدا جلياً أن زاوية من الغرفة تُستخدم بمثابة سلة للغسيل؛ قمصان مجمدة، سراويل، جينزات وملابس داخلية متسخة مكدسة فوق بعضها فيما يرميها ستيف.

البحث في غرفة النوم والخزانة أفضى إلى اكتشاف مزعج آخر،
تحت السرير، هناك عشرات الأفلام الإباحية التي كشفت أغطيها عن
صور نساء عاريات مقيدات بالأغلال، بالسلاسل، بعضهن معصوبات
العيون وبعضهن الآخر مهددات برجال ساديين.

ليست هذه الأفلام مصورة في المنزل، إنها أفلام موضبة بطريقة
مهنية ومتوافرة ربما في أي متجر لأفلام الفيديو، إما في الشوارع أو عبر
شبكة الإنترنت.

أعادها بيلى إلى حيث عثر عليها، وفكر ما إذا كان قد اكتشف
ما يكفي لإنذار الشرطة.

لا. فلا العارضات ولا الأفلام الإباحية تثبت أن ستيف زيليس
أذى أي كائن بشري حقيقي، وإنما أشبع فقط حياة خيالية مريضة.

في غضون ذلك، ثمة رجل ميت ملفوف بالنايلون ينتظر أن يتم
التخلص منه وهو محبباً وراء الأريكة في منزل بيلى.

إذا أصبح مشتبهاً به في جريمة حميزيل وينسلو في نابا أو إذا تم
العثور على جثة لاني أولسن وأصبح بيلى مشتبهاً به في تلك الجريمة،
سيوضع على الأقل تحت المراقبة، سيخسر حرية التصرف.

إذا عثروا على جثة كوتل، سيتم اعتقاله.

لن يفهم أو يصدق أحد الخطر المحدق بباربارة، لن يأخذوا
تحذيراته على محمل الجد، عندما تكون شخصاً مشتبهاً به، لا تريد
الشرطة أن تسمع منك إلا ما تتوقع سماعه منك، وهو اعتراف.

يعرف كيف يحصل ذلك، يعرف تماماً كيف يحصل.

خلال الأربع والعشرين ساعة أو الثماني والأربعين ساعة - أو
الأسبوع أو الشهر أو السنة - التي سيحتاج إليها لإثبات براءته، إذا
استطاع إثباتها، ستكون باربارة في خطر، من دون أي حراسة.

لقد غاص كثيراً في اللعبة، لن يستطيع أحد إنقاذه إلا هو.
إذا عثر على الوجه في وعاء الفورمالديهايد وعلى تذكارات
أخرى مقرفة، قد يتمكن من دفع السلطات إلى اعتقال زيليس، وإلا لن
يستطيع أي شيء آخر إقناعها.

كما هي حال معظم المنازل في كاليفورنيا، لا يحتوي هذا المنزل
على طابق سفلي، وإنما له عليّة، يحتوي سقف الردهة على باب له
مقبض مربوط بحبل.

عندما شدّ الحبل، نزل سلم مطوي من الفتحة.
سمع شيئاً خلفه، رأى في عقله عارضة مع أسنان في محجريّ
عينها، تتمدد نحوه.

استدار وأمسك بالمسدس الموضوع تحت حزامه، إنه وحده، لقد
سمع ربما صوت ترسب، صوت منزل قديم واقع تحت وطأة الجاذبية.
في أعلى السلم، عثر على مفتاح كهربائي في إطار العلية، ثمّة
مصباحان عاريان، مليئان بالغبار، أنارا مساحة فارغة من كل شيء
باستثناء رائحة عفن الخشب.

بدا جلياً أن القاتل حذر كفاية لإبقاء أدلته الجرمية في مكان
آخر.

رأى بيلي أن زيليس يقيم في هذا المنزل المستأجر، لكنه لا
يعيش هنا بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ فمع الحد الأدنى من المفروشات
والافتقار التام إلى الأغراض الزخرفية، بدا المكان وكأنه محطة، لا يملك
ستيف زيليس جذوراً هنا، إنه يمرّ فيه مرور الكرام.

يعمل في المشرب منذ خمسة أشهر، أين كان بين جامعة كولورادو
في دنفر، قبل خمسة أعوام ونصف العام، عندما اختفت جوديث
كيسلمان، وهذا المكان؟

عبر شبكة الويب، ارتبط اسمه باختفاء واحد فقط، ولكنه لم يرتبط بأي جريمة على الإطلاق، إذا بحث بيلى عن نفسه في الغوغل، لن يبدو أكثر نظافة من ذلك.

لكن في حال وجود لائحة بالمدن التي استقر فيها ستيف زيليس لبعض الوقت، وفي حال البحث عن الجرائم والاختفاءات التي حصلت في تلك المدن، قد تصبح الحقيقة أكثر وضوحاً.

المجرمون الأكثر نجاحاً هم الذين يتنقلون كثيراً، ويجوبون أراضٍ كثيرة بين الجريمة والأخرى. فعندما تفصل بين عمليات القتل مئات الأميال والعديد من السلطات القضائية، يتضاءل احتمال ربط الجرائم ببعضها؛ الأنماط في المشهد الطبيعي، الممكن رؤيتها من الطائرة، نادراً ما يمكن ملاحظتها من قبل رجل على قدميه.

نادل المشرب المتجول الذي يجيد خلط المشروبات ببعضها، ويستطيع جذب الزبائن، يمكنه العثور على عمل في أي مكان، إذا تقدم بطلب للعمل في الأماكن الصحيحة، لن يتم سؤاله غالباً عن تاريخه الرسمي في العمل، وإنما يسألونه فقط عن بطاقة الضمان الاجتماعي، ورخصة القيادة، وتقرير نظيف من هيئة مراقبة الشراب. جاكبي أوهارا لا يتصل مثلاً بأصحاب العمل السابقين لموظفيه، يتخذ قراره بقبول الموظف استناداً إلى فطرته.

أطفاً بيلى الأنوار فيما غادر المنزل، استخدم المفتاح الاحتياطي لإغلاق الباب وراءه، ووضعه مجدداً في جيبه لأنه توقع العودة.

الفصل 46

ألقت الشمس المائلة إلى الغروب بنورها الأحمر الوحشي على اللوحة الجدارية قيد التشييد عبر الطريق السريع مقابل المشرب. فيما كان يبلي عائداً إلى منزله لإحضار جثة كوتل، لفت انتباهه هذا المشهد المتألي، لفت انتباهه بشدة لدرجة أنه توقف على جانب الطريق.

خارج الخيمة الصفراء والأرجوانية الكبيرة التي يجتمع فيها فنانو المشروع وعماله بشكل منتظم لتناول الغداء، وعقد اجتماعات، وإقامة حفلات استقبال على شرف العديد من الشخصيات الفنية والأكاديمية، اجتمعوا الآن لتقييم هذا العمل الرائع للطبيعة.

قرب الخيمة، انتصب المنزل المتحرك العملاق باللونين الأصفر والأرجواني، المشيد على هيكل باص والموقع باسم فاليس، وكشف عن الكثير من الكروم والفولاذ بحيث سطعت عليه الشمس مثل النار المحترقة. تألقت النوافذ الملونة بوهج برونزي قرمزي، حزين ودخاني، وإنما متألق.

لكن لم تكن الخيمة الاحتفالية أو المنزل المتحرك أو الفنانون المشهورون المستمتعون بجمال غروب الشمس ما دفع يبلي إلى التوقف. في البداية، كان ليقول إن التوهج القرمزي والذهبي للمشهد الطبيعي هو ما أوقفه، إلا أن هذا التحليل الذاتي يفتقد إلى الحقيقة.

البناء قيد التشييد لونه رمادي شاحب، لكن انعكاسات الشمس أضفت عليه توهجاً لامعاً. في الحقيقة، إن هذا التوهج اللامع والحرارة

التي أشبعت الهواء المنبعث من الأسطح المطلية اجتماعاً معاً لتوليد مظهر اللوحة الجدارية المذهلة.

لبرهة، بدأ أن هذا ما دفع بيلي إلى التوقف على جانب الطريق: هذا المشهد المستبصر للبناء المتوهج، الذي ستم إزالته بعد انتهاء عمليات البناء.

هذا توقع مريع ناجم عن ضوء موسمي وظروف مناخية، النار الآتية، حتى الرماد النهائي يمكن اعتباره بمثابة كآبة كامنة تحت اللهب المشتعل. مع ازدياد كثافة هذا العرض الناري بالترافق مع آخر نور للشمس، اتضح لبيلي السبب الحقيقي للقوة المغناطيسية للمشهد، فما فننه هو الصورة الكبيرة العالقة بين الآلات، ذلك الرجل الذي يكافح للصمود بين العجلات الطاحنة العملاقة، والمحركات الكبيرة، والمكابس الضاربة.

خلال أسابيع البناء، فيما تم إعداد اللوحة الجدارية وصقلها، لطالما بدا الرجل في الآلة وكأنه عالق فيها، تماماً مثلما أراد الفنان، إنه ضحية قوى أكبر منه.

الآن، مع الروعة الغريبة لشمس الغروب، لم يبذُ الرجل وكأنه يتحرق مثلما بدت أشكال الآلات حوله. كان مشرقاً، نعم، وإنما بطريقة فريدة، مشرقاً وصلباً وقوياً، غير محترق باللهب وإنما منيع لها.

ما من شيء في الآلة الدائمة التغير كشف عن منطلق هندسي، إنها مجرد جمع لرموز آلات، من دون غرض وظيفي.

والآلة المفتقدة إلى وظيفة إنتاجية تفتقد إلى المعنى، لا يمكنها أن تصلح حتى كسجن.

يستطيع الرجل الخروج من الآلة عندما يشاء، ليس عالقاً فيها، يعتمد فقط أنه مسجون، وهذا اعتقاد ناجم عن الإعتقاد الذاتي باليأس،

وتبين هنا أنه زائف، يجدر بالرجل الابتعاد عن الأشياء العديمة المعنى، والعتور على معنى، واتخاذ غرض له من هذا المعنى.

ليس بيلى وايلز رجلاً مؤمناً، التبصر والألم مرادفان له.

إلا أنه اعتبر هذا بمثابة إيمان، ولم يهرب منه، بدل ذلك، فيما عاد لسلوك الطريق السريع والتوجه إلى المنزل مع نور مغيب الشمس، تسلق سلماً عقلياً من التضمينات المتصاعدة، ووصل إلى منعطف في السلم، وتسلق، ووصل إلى منعطف آخر.

لم يعرف ماذا يفعل بهذا الإدراك الفطري المفاجئ، قد لا يكون رجلاً كفاية لفعل أي شيء جدير به، لكنه عرف أنه سيفعل شيئاً ما.

عندما وصل إلى المنزل تحت السماء الكحلية فيما بقي دليل بسيط جداً للنور في الغرب، أوقف بيلى السيارة في الممشى، على المرج الخلفي. ركن السيارة بحيث يكون صندوق السيارة إلى الخلف قرب درجات المصطبة لتسهيل عملية تحميل رالف كوتل.

لا يمكن رؤيته من الطريق الريفي أو من منزل أقرب جار، خرج من سيارته الرباعية الدفع، وسمع صوت أول بومة ليلية، وحدها البومة ستراه، والنجوم.

في الداخل، أخرج السلم الصغير من غرفة الطعام وتحقق من مسجلة الفيديو في الخزانة فوق المايكروويف، أعاد عرض الشريط المسجل بسرعة، فكشف التسجيل أن أحداً لم يدخل إلى المنزل في غياب بيلى، أو على الأقل ليس عبر المطبخ.

لم يتوقع رؤية أحد، ستيف زيليس يعمل في المشرب.

بعد إبعاد السلم الصغير، جرّ كوتل عبر المنزل، وصولاً إلى المصطبة الخلفية وعلى الدرجات، باستعمال مقبض الحبل الذي ربطه

حول الجثة الملفوفة بالنيلون، إلا أن وضع كوتل في الصندوق الخلفي لسيارة الإكسبلورر استلزم صبراً وقوة أكثر مما توقع بيلى.

نظر عبر الفناء الخلفي إلى الغابة المظلمة، و صفوف الأشجار، أحس أنه غير مراقب، شعر أنه وحيد تماماً.

بالرغم من أن إقفال المنزل بدا عديم الجدوى، أقفل الباب، وأخذ سيارة الإكسبلورر إلى المرأب.

عند رؤية المنشار والمثقاب والأدوات على طاولته، أراد بيلى الهروب من الأزمة التي يعيشها، أراد شم رائحة الخشب المقطوع حديثاً، والإحساس بالرضى الناجم عن صناعة مفصل تعشيقية.

في الأعوام الأخيرة، صنع معظم أغراض المنزل، لنفسه، فقط لنفسه، إذا أراد الآن صنع أشياء للآخرين، لبدأ حتماً بما تبرز الحاجة إليه: توابيت، لقد صنع لنفسه مهنة في التوابيت.

أخذ لفافات نايلون كبيرة أخرى، ورزمة حبل سميك، وشريطاً لاصقاً، ومصباحاً وامضاً وأغراض أخرى ضرورية ووضعها في الإكسبلورر، أضاف بعض البطانيات المطوية وعلبتين فارغتين من الكرتون ووضعها كلها فوق الجثة لتمويه الشكل.

تنتظر بيلى ليلة طويلة من الموت والمقابر، وليس خائفاً فقط من القاتل المحرم وإنما أيضاً من العديد من الأمور في الظلام، فالظلام يستحضر الكثير من الرعب في العقل، لكن صحيحاً أيضاً أن الظلام يذكّرنا بالنور؛ وقد استمد الأمل من ذلك. النور، بغض النظر عما ينتظره في الساعات القليلة المقبلة، أعتقد أنه سيعيش في النور مجدداً.

الفصل 47

لم تكن كافية الساعات الأربع من النوم المساعد بالفيسودين وشراب الشعير الدانماركي.

لقد مرّت أكثر من اثنيّ عشرة ساعة على هوض بيلي من السرير، لا يزال يملك قوى جسدية، لكن عجلات عقله، التي تعمل منذ وقت طويل، لم تعد تدور بسرعة مثل قبل، بسرعة مثلما يحتاج إليها.

كان واثقاً من أن سيارة الإكسبلورر لا تبدو مثل سيارة دفن الموتى، فتوقف أمام متجر، اشترى دواء أناسين للصداع وعلبة من أقراص الكافيين المضادة للنعاس.

تناول قطعتين من المافن عند الفطور، ثم تناول لاحقاً سندويش مارتاديللا. إنه يعاني من نقص في الوحدات الحرارية، ويرتجف كله.

يقدم المتجر سندويشات موضبة بالنايلون مع مايكروويف لتسخينها. لسبب ما، شعر بالغثيان في معدته لمجرد التفكير في اللحم.

اشترى ستة ألواح من شوكولاته هيرشي للسكر، وستة ألواح من بسكويت الفول السوداني للبروتين، وقنينة بيبسي لابتلاع الحبوب المضادة للنعاس.

عند النظر إلى كل السكاكر، قال الموظف على الصندوق: "هل هذا احتفال العشاق في شهر يوليو أم ماذا؟".

أجاب بيلي: "إنه هالووين".

جلس في سيارته، وتناول الأناسين وحبّة مضادة للنعاس.

على المقعد قرب السائق، استراحت الجريدة التي اشتراها من نابا. لم يجد الوقت بعد لقراءة القصة عن جريمة وينسلو.

مع الجريدة، هناك بضع مقالات من دنفر بوست قام بتحميلها من كمبيوتر المكتبة، جوديث كيسلمان، مفقودة إلى الأبد.

فيما تناول لوح شوكولا هيرشي، ولوح بسكويت الفول السوداني، قرأ المقالات المطبوعة؛ تحدث أشخاص من الجامعة، وأناس عاديون، ومسؤولون في الشرطة. قال الجميع، باستثناء الشرطة، إنهم واثقون أن جوديث بخير.

كان رجال الشرطة حذرين في تصريحاتهم، على عكس الأكاديميين، والبيروقراطيين ورجال السياسة، تجنب رجال الشرطة الكلام الفارغ، كانوا الوحيدين الذين بدوا وكأنهم يهتمون فعلاً لمصير الشابة.

الشرطي المسؤول عن التحقيق كان التحري رامسي أوزغارد، يناديه بعض زملائه باسم أوز.

كان أوزغارد في الرابعة والأربعين عندما حصل الاختفاء. في تلك المرحلة من مهنته، كان قد حاز على ثلاثة تنويهات بالشجاعة.

في عمر الخمسين، لا يزال ربما في الخدمة، وهذا احتمال مدعوم بالمعلومة الشخصية الوحيدة عنه في المقالات، عندما كان في الثامنة والثلاثين، أصيب رامسي أوزغارد بطلق ناروي في ساقه اليسرى، تمت المصادقة على إصابته بإعاقه دائمة، لكنه رفض ذلك، فهو لا يعرج.

أراد بيلى التحدث إلى أوزغارد، لكن لفعل ذلك، لن يستخدم اسمه الحقيقي أو هاتفه الخاص.

فيما بدأت السكاكر والبيبيسي والأقراص المضادة للنعاس تعطي مفعولها في تزييت عقله، توجه بيلى إلى منزل لاني أولسن.

لم يركن السيارة أمام دار العبادة للمشبي، مثلما فعل قبلاً، عندما وصل إلى المنزل المعزول في نهاية الطريق، أدخل السيارة عبر الفناء الخلفي.

تحول المرح إلى عشب طويل وشجيرات متناثرة هنا وهناك، امتلأت الأرض بالحجارة والأحاديث.

توقف في ثلثي الطريق الصاعد إلى المنحدر، وأوقف سيارة الإكسيلورر وضغط على مكبح الطوارئ.

يمكنه الاستفادة من الأضواء الأمامية للسيارة، لكن نظراً لارتفاع الهضبة، يمكن رؤية هذه الأضواء من المنازل القريبة من الطريق الريفي. خاف من لفت الانتباه وجذب الفضول، أوقف عمل محرك السيارة وأطفأ الأضواء.

ترجل على قدميه، واستعمل المصباح الومض، وعثر بسرعة على فتحة التهوية، الموجودة على مسافة عشرين قدماً من السيارة.

قبل زرع الكروم، وقبل وصول الأوروبيين، وقبل مجيء أجداد الهنود الأميركيين من آسيا، قامت البراكين بصياغة هذا الوادي، وقد حددت مستقبله.

فقد تم تشييد مصنع شراب روسي قديم تحول الآن إلى قبو لتعتيق شراب هايتز، ومبان أخرى في الوادي بواسطة الريوليت، الشكل البركاني للغرانيت، المساحة التي يقع عليها منزل أولسن مؤلفة أساساً من البازلت، وهو حجر بركاني آخر، داكن وكثيف.

عند انفجار البركان، يترك وراءه فجوات من الحمم، وأنفاقاً طويلة عبر الحجارة المحيطة، لا يعرف يبلي الكثير عن علوم البراكين ليستنتج ما إذا كانت الفتحة في هذا المكان فجوة حمم أو منفذاً بركانياً يطلق الغازات.

إلا أنه يعرف أن عرض هذه الفتحة هو أربع أقدام عند الفوهة فيما العمق كبير جداً.

هذا المكان مألوف جداً بالنسبة إلى بيلى لأنه عندما كان عمره أربعة عشر عاماً وكان وحيداً، أعطته بيرل أولسن منزلاً، لم تخف منه أبداً، مثلما فعل بعضهم، عرفت الحقيقة حين سمعتها، فتحت له قلبها الطيب، وبالرغم من إصابتها بالسرطان، قامت بتربيته كما لو أنه ابنها. الاثنا عشر عاماً التي تفصل بين عمر بيلى وعمر لاني تعني أنهما ليسا أبداً مثل أخوين، بالرغم من أنهما عاشا في المنزل نفسه، بالإضافة إلى ذلك، لطالما كان لاني منطوياً على نفسه وكان يلهي نفسه برسم الصور المتحركة عندما يكون خارج دوام العمل في مكتب الشريف.

كان الرجلان ودودين مع بعضهما، وبين الحين الآخر، تصرف لاني بمثابة العم الخنون.

في أحد الأيام، قام لاني بإقناع بيلى بمحاولة تحديد عمق الفتحة. بالرغم من أن الولدين الصغار لا يلعبان عادة بين النباتات الشائكة، قلقت بيرل على سلامتهما، لذا، قامت قبل أعوام عدة بتثبيت إطار من الخشب الأحمر على الحافة الحجرية للفتحة. ثم جرى تثبيت غطاء من الخشب الأحمر بالإطار.

بعد إزالة الغطاء، بدأ لاني وبيلى بحثهما بواسطة مصباح يدوي مزود بالطاقة من محرك شاحنة صغيرة، سطع ضوء المصباح على الجدران لغاية عمق ثلاث مئة قدم تقريباً ولكن من دون العثور على القعر.

بعد الفوهة، اتسع النفق ليصبح عرضه ثماني إلى عشر أقدام، الجدران متموجة وغريبة.

قاما بربط باوند من الحلقات النحاسية بطرف حبل طويل وأنزلا هذا الحبل في وسط الفتحة، وأصغيا إلى رنين الحلقات وهي ترتطم بقعر الفتحة، امتلكا فقط ألف قدم من الحبل، وتبين أن هذا الطول غير كاف. رميا أخيراً كرات فولاذية في الفتحة، وقاما بتوقيت سرعة سقوطها، مستخدمين الصيغ الحسائية لحساب المسافة، لم ترتطم أي كرة بالقعر قبل ألف وأربع مئة قدم. قعر الفتحة إذاً أعمق من ألف وأربع مئة قدم.

بعد هذا النفق العمودي الطويل، بدا وكأن الفتحة تنعطف في زاوية، وتغير اتجاهها أكثر من مرة واحدة أيضاً، بعد الطقطقة القاسية للضربة الأولى، تمايلت كل كرة من جدار إلى جدار، مع صوت خشخشة، ولم يتوقف الضجيج أبداً فجأة وإنما راح يخبو شيئاً فشيئاً إلى أن تحول إلى صمت.

اعتقد بيلى أن أنبوب الحمم طوله أميال عدة وعمقه آلاف الأقدام تحت أرض الوادي.

الآن، بمساعدة وهج المصباح الوامض، استخدم مفك براغ بالبطارية لإزالة الاثني عشر برغياً فولادياً التي تثبت غطاء الفتحة؛ علماً أن هذا الغطاء أكثر حداثة من ذلك الذي قاما بإزالته قبل عشرين عاماً تقريباً، وضع الغطاء جانباً.

لم يخرج أي شيء من الفتحة، لم يشم بيلى أي شيء باستثناء رائحة رماد خفيفة، والقليل من رائحة الملح والحامض.

بذل كل جهده لإخراج الرجل الميت من السيارة وسحبه إلى الفتحة.

لم يكتثر لآثار التي تركها على العشب أو للآثار التي تركتها سيارة الإكسبلورر، فالطبيعة متمردة، بعد أيام قليلة، لن تبقى الآثار

ظاهرة للعيان، بالرغم من أن الرجل الميت ما كان ليوافق ربما، لكونه عضواً في جمعية المشككين، تتم بيلي بدعاء وجيز له قبل رمي جثته في الفتحة.

أصدر رالف كوتل ضجيجاً أكبر من ذلك الذي أصدرته الكرات عند نزوله في الفتحة. بدت الأصوات الأولى وكأنها أصوات تكسر عظام.

ثم صدر صوت صفير طويل فيما انحرف النفق من الشكل العمودي إلى زاوية وانزلقت الجثة الملفوفة بالنايلون بسرعة كبيرة في الأعماق، ودارت ربما بين جدران أنبوب الحمم مثلما تدور الرصاصات في أسطوانة المسدس.

الفصل 48

ركن بيلي سيارة الإكسلورر في المرج وراء المرأب، حيث لا يستطيع أن يراه أي راكب دراجة نارية قد يستخدم الطرف النهائي للطريق للانعطاف، وضع قفازا لاتكس في يديه. استخدم المفتاح الاحتياطي الذي أخذه من الفتحة في جذع السنديانة قبل نحو تسع عشرة ساعة، ودخل إلى المنزل عبر الباب الخلفي.

حمل معه لفافة النايلون، والشريط اللاصق والحبل. وطبعاً المسدس عيار 0.38 ملم.

فيما تحرك بيلي في الطابق الأرضي، أشعل الأنوار. الأربعاء والخميس هما يوماً الإجازة عند لاني، ولن يفترقه أحد بالتالي قبل ست وثلاثين ساعة. لكن إذا جاء صديق للقيام بزيارة غير معلنة، ورأى الأنوار في المنزل، لكنه لم يحصل على جواب بعد الرنّ على الجرس، ستبدأ المشاكل.

أراد بيلي إنجاز عمله بأسرع ما يمكن والخروج وإطفاء الأنوار بعده.

لا تزال الأيدي الكرتونية، المشيرة إلى مكان الجثة، ملصقة على الجدران، سيزيلها لاحقاً، كجزء من عملية التنظيف.

إذا تم دمع جثة لاني بأدلة مدينة لبيلي، مثلما قال كوتل إنه حصل مع جثة جيزيل وينسلو، لن يُستخدم أي من هذه الأدلة في المحكمة إذا استراح لاني إلى الأبد على عمق ميل أو أكثر تحت الأرض.

أدرك بيلي أنه عند التخلص من الأدلة التي تدينه، فإنه يقضي أيضاً على أي دليل قد يشير إلى ذنب القاتل تركه هذا الأخير عن غير قصد. إنه يقضي على الأدلة المدينة لهما معاً.

البراعة التي اعتمدت لتصميم هذا الشرك والخيارات الأولى التي اتخذها بيلي فيما اتضح الأداء أكثر فأكثر تؤكد أنه كان سيصل إلى هذه المرحلة وينجز ما ينجزه الآن.

لا يبالي، لا يهمه أي شيء سوى باربارة، عليه البقاء حراً لحمايتها، لأنه ما من أحد آخر سيفعل ذلك.

إذا أصبح بيلي مشتبهاً به في قضية قتل، سيعتقله جون بالمر بسرعة، سيبحث الشريف عن الأدلة المدينة لأنه مقتنع بمسؤولية بيلي عن الجريمة، وإذا حصل على تلك الأدلة، سيستخدمها لإعادة التاريخ أيضاً.

يمكنهم توقيفه لمجرد الشك فيه، لا يعرف لكم من الوقت، لكن حتماً لثمانين وأربعين ساعة.

في هذا الوقت، تكون باربارة قد ماتت، أو اختفت مثل جوديث كيسلمان، طالبة الموسيقى، محبة الكلاب، وعاشقة التنزه على الشواطئ.

سينتهي الأداء، سيضع القاتل ربما وجهاً آخر في وعاء آخر. الماضي، الحاضر، المستقبل، كل الوقت الموجود هنا وأبداً، والسباق - أقسم إنه يستطيع سماع عقارب ساعته تتكثك - ولذلك أسرع نحو السلام وتسلقها.

حتى قبل الوصول إلى هذا المنزل، خشي ألا يعثر على جثة لاني في الكرسي في غرفة النوم حيث رآها للمرة الأخيرة، خطوة أخرى في اللعبة، انحراف آخر في الأداء.

عندما وصل إلى أعلى السلم، تردد وتوقف بسبب الخوف، تردد مجدداً أمام باب غرفة النوم الرئيسة، ثم اجتاز العتبة وأثار الضوء. جلس لاني في الكرسي والكتاب في حضنه، وصورة جيزيل وينسلو في الكتاب.

لم تكن الجنة في حال جيدة، نجح مكيف الهواء في تأخير الأمر قليلاً ربما، بحيث لم يحدث التحلل الظاهري بعد، إلا أن الأوعية الدموية في وجهه بدأت تتحول إلى اللون الأخضر.

تحركت عينا لاني للحاق بيلي في الغرفة، لكنها كانت مجرد حيلة ضوئية.

الفصل 49

بعد بسط لفافة النايلون على الأرض، ولكن قبل فعل أي شيء آخر، جلس بيلى على طرف السرير ورفع الهاتف، حرص على عدم ارتكاب الخطأ الذي زعم أنه ارتكبه في وقت سابق من هذا اليوم، فطلب الرقم 411، وحصل من عاملة الهاتف على رمز منطقة دنفر.

حتى لو كان رامسي أوزغارد لا يزال يعمل كتحريّر مع شرطة دنفر، يحتمل ألا يقطن في المدينة. إنه يعيش ربما في إحدى الضواحي، وسيكون العثور عليه في هذه الحال صعباً جداً، كما أن رقم هاتف منزله قد لا يكون مذكوراً في الدليل.

عندما اتصل بيلى بعاملة الهاتف في دنفر، كان محظوظاً، يستحق في النهاية بعض الحظ، ثمة رقم هاتف باسم رامسي ج أوزغارد في المدينة. إنها الساعة 10:54 في كولورادو، لكن التوقيت قد يجعل الاتصال يبدو وكأنه أكثر إلحاحاً وبالتالي أكثر مصداقية.

أجاب رجل بعد الرنة الثانية، فقال بيلى: "حضرة التحري أوزغارد؟".

"نعم بنفسه".

"سيدي، أنا الرقيب لاني أولسن من مركز الشريف في شرطة نابا، هنا في كاليفورنيا، أريد أولاً الاعتذار على إزعاجك في هذه الساعة".

"أعاني من الأرق طوال حياتي أيها الشرطي، وأملك الآن نحو ست مئة قناة على التلفاز، ولذلك أشاهد حلقات معادة من مسلسل

جزيرة جيليجان أو أي شيء آخر حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ما الأمر؟".

"سيدي أنا أتصل بك من منزلي للتحدث عن قضية توليتها قبل بضعة أعوام، يمكنك الاتصال بمسؤول المراقبة في مركز الشرطة عندنا للتأكد من أنني أعمل في المركز، والحصول على رقم هاتف منزلي لمعاودة الاتصال بي".

قال أوزغارد: "أملك جهازاً لكشف رقم المتصل، أعرف الآن من تكون بالضبط. إذا كان ما تريده مني يبدو صعباً جداً، سأفعل ما تقوله، لكن في الوقت الحاضر، أخبرني بما لديك".

"شكراً لك سيدي، ثمة قضية توليتها بنفسك عن شخص مفقود ولها بعض الصلة بوضع هنا، قبل خمسة أعوام ونصف العام تقريباً...".

قال أوزغارد: "جوديث كيسلمان".
"بالضبط".

"حضرة الشرطي، لا تخبرني أنك عثرت عليها، على الأقل، لا تخبرني أنك وجدتها ميتة".

"لا سيدي، لا حية ولا ميتة".

قال رامسي: "فليكن الله في عونها، لا أتوقعها حية، لكنني سأشعر بالتعاسة حين أتأكد أنها ميتة. أحب تلك الفتاة".

قال بيلي متفاجئاً: "سيدي؟".

"لم ألتق بها أبداً لكنني أحبها، مثل ابنة، عرفت الكثير عن جودي كيسلمان بحيث أصبحت أعرفها أكثر من العديد من الأشخاص الموجودين فعلاً في حياتي".

"أفهم".

"كانت شابة رائعة".

"هذا ما سمعته".

"تحدثت إلى العديد من أصدقائها وأفراد عائلتها، لم تصدر كلمة سوء عن أي منهم، الأشياء التي فعلتها للآخرين، لطافتها... تعرف أحياناً كيف تصبح مهووساً بفكرة معينة، كيف تعجز عن التحلي بالموضوعية؟".

قال يبيلي: "طبعاً".

قال أوزغارد: "أنا مهووس بهذه الفتاة، كانت كاتبة عظيمة، عندما يدخل أحد إلى حياتها، تتشبث به، ولا تنساه، وتبقى على اتصال معه. قرأت المئات من رسائل جوذي، المئات أيها الشرطي أولسن".
"وهكذا أدخلتها إلى حياتك".

"لا يمكنك مقاومة ذلك، تدخل من دون استئذان، إنها رسائل شابة تحب الناس، تعطي قلبها للجميع. رسائل مشرقة".
وجد يبيلي نفسه يحدق إلى فجوة الرصاصة في جبين لاني أولسن، نظر نحو الباب المفتوح والردهة المؤدية إلى الأعلى.

قال: "لدينا وضع هنا، لا أستطيع البوح عنه بالتفصيل في الوقت الحاضر لأننا لا نزال نعمل على الأدلة ولسنا مستعدين بعد لإلقاء التهم".

طمأنه أوزغارد: "أفهم".

"لكن ثمة اسم أريد نقله لك، لأرى إذا كان يعني لك شيئاً".
قال أوزغارد: "بدأ يقشعرّ بدني. أتمنى أن يكون ذلك مفيداً".
"بحثت عبر الغوغل عن رجلنا والشيء الوحيد الذي حصلت عليه كان مرتبطاً باختفاء كيسلمان، بالرغم من أن ذلك لم يكن مهماً جداً".

قال أوزغارد: "أخبرني إذاً".

"ستيفن زيليس".

في دنفر، حبس رامسي أوزغارد أنفاسه.

قال بيلي: "هل تذكره؟".

"أوه طبعاً".

"هل كان مشتبهاً به؟".

"ليس رسمياً".

"لكنك شعرت شخصياً...".

"جعلني أشعر بعدم الارتياح".

"لماذا؟".

صمت أوزغارد. قال بعدها: "لا يمكنك الاستخفاف بسمعة

الرجل حتى لو كنت لا ترغب في شرب شراب الشعير معه، أو كنت

لا ترغب في مصافحته".

طمأنه بيلي: "هذه خلفية سرية، أخبرني بقدر ما تريد وبقدر ما

يمكنني استيعابه".

"القصة هي أنه في اليوم الذي اختطفت فيه جودي- إذا تم

خطفها، وأعتقد أنه تم خطفها- طوال ذلك اليوم، طوال الأربعاء

والعشرين ساعة، امتلك زيليس أعذار تبرئة لا يمكن ضحدها على

الإطلاق".

"لقد حاولت".

"صدقني، لكن حتى لو لم يملك أعذار تبرئة، ما من دليل ضده".

"ما الذي جعلك إذاً تشعر بعدم الارتياح حياله؟".

"كان متطوعاً جداً لتقديم المساعدة".

لم يقل بيلي أي شيء، وإنما خاب أمله، إنه واثق من تورط

زيليس، ولا يريد أوزغارد الإفصاح عن أي شيء.

لاحظ التحري خيبة الأمل تلك، فتوسع في ما قاله: "جاء إليّ قبل أن أنتبه إليه، في الواقع، ما كنت لأنتبه إليه أبداً لو لم يأت إليّ. أراد تقديم الكثير من المساعدة، تحدث وتحدث، اهتم بها كثيراً، كما لو أنها أخت حبيبة، لكنه عرفها فقط قبل شهر واحد".

"قلت إنها كانت استثنائية في العلاقات، وتحب الناس، وترتبط بهم".

"حسب أصدقائها المقربين، لم تكن تعرف زيليس جيداً، فقط بصورة عرضية".

أدى يبلي دور المبرر على مبيض وقال: "لقد شعر ربما بالقرب إليها أكثر مما فعلت هي، أقصد أنه إذا كانت تملك ذلك النوع من المغناطيسية، الجاذبية..."

قال أوزغارد: "كان عليك رؤيته، رؤية طريقة تعاطيه معي، بدا وكأنه أراد أن أشك فيه، أن أحقق معه، وأعثر على أعذار التبرئة لديه، وبعدما فعلت، برز ذلك الاعتداد بالنفس عنده".

لاحظ يبلي الاشتزاز الهادئ في صوت أوزغارد فقال: "لا تزال منزعجاً".

"أنا منزعج، زيليس يعود إليّ مثلما هو، لبرهة، قبل أن يختفي أخيراً، دأب على محاولة المساعدة، والاتصال، والمرور، وتقديم الأفكار، فيما ينتابك إحساس أن كل هذا هراء، وهو فقط يؤدي دوراً".

قال يبلي: "الأداء. أشعر بذلك أنا أيضاً، أحتاج فعلاً إلى المزيد".
"إنه محتمل، لا يعني ذلك أنه أسوأ من ذلك، لكنه محتمل معتد بنفسه، حاول ذلك المحتمل التصرف وكأننا صديقان، أنا وهو، لا يفعل ذلك أبداً من هو مشتبته محتمل، ليس ذلك طبيعياً، أنت تعرف هذا، لكنه يملك ذلك الأسلوب السهل والكثير المزاح".

"كيف حالكم أيها الرفاق؟".

سأل أوزغارد: "اللعة، هل ما زال يقول ذلك؟".

"نعم، لا يزال".

"إنه محتال، يخفي احتياله بهذا الشعور الفاتن الظاهري، لكنه محتال".

"لقد طاردك إذاً ثم اختفى".

"اختفى التحقيق بكامله، رحلت جوديت وكأفها لم تكن أبداً،

انسحب زيليس من الجامعة في نهاية تلك السنة، سنته الجامعية الأولى،

لم أره أبداً مجدداً".

قال بيبي: "حسناً إنه الآن هنا".

"أتساءل أين كان في الفترة الفاصلة".

"ربما سنعرف".

"أتمنى أن تعرف".

قال بيبي: "سأعاود الاتصال بك".

"في أي وقت بشأن هذه القضية، في أي وقت، يجري دم الشرطة

في عروقك، حضرة الشرطي؟".

لم يستوعب بيبي الفكرة لبرهة، وكاد ينسى من يفترض به أن

يكون، لكنه أعطى الجواب الصحيح: "نعم، لقد كان والدي شرطياً،

تم دفنه مع بذلته العسكرية".

قال أوزغارد: "كان والدي وجددي من رجال الشرطة، يجري

ذلك في عروقي بشدة بحيث لا يحتاج الناس إلى بطاقتي العسكرية

ليعرفوا من أكون، لكن جوديث كيسلمان تجري في عروقي مثل

الشرطة، أريدها أن ترتاح باحترام، وليس فقط... أن تكون مطمورة

في مكان ما، لا يوجد الكثير من العدل، لكن لا بد أن يكون هناك

بعض العدل في هذه القضية".

بعدهما أفقل الخط، لم يستطع بيلى لبرهة التحرك عن طرف السرير، جلس يحدق إلى لاني، وبدا كأن لاني يحدق إليه. لا يزال رامسي أوزغارد موجوداً، يسبح بين الأمواج، من دون الاكتفاء بالمشي بعناية على الشاطئ. إنه مغمور بحياة مجتمعه، وملتزم بها.

سمع بيلى التزام التحري عبر الخط من دنفر، وكان واضحاً جلياً كما لو أن الرجلين كانا في الغرفة نفسها، عند سماع ذلك، أدرك بيلى كم كان انعزاله كاملاً، وكم هو خطير. بدأت باربارة تصل إليه؛ ومن ثم حساء الفيشيسواز، وجهت له الحياة ضربة مزدوجة: الوحشية والسخافة. إنه الآن بين الأمواج، ولكن ليس باختياره. لقد دفعته الأحداث إلى أعماق المياه.

أثقلته وطأة عشرين عاماً من العواطف المكبوحه، من التجنب المدروس، من الانطواء الدفاعي. ها هو الآن يحاول تعلم السباحة مجدداً، لكن مداً قوياً يحاول إبعاده عن أي مجتمع، ويقوده إلى انعزال أكبر.

الفصل 50

كما لو أنه عرف إلى أين سيذهب، عبر أنبوب الحمم من دون الحصول على دفن أو وداع، لم يشأ لاني أن يتم لفه بالنايلون. لم يحدث إطلاق النار في هذه الغرفة، ولا توجد بالتالي بقع دم أو دماغ على الجدران أو المفروشات. وبما أنه أراد أن يختفي لاني بطريقة تولد أكبر الشكوك، ولا تفضي بالتالي إلى استهلال تحقيق فوري، أمل بيلى في إبقاء كل شيء نظيفاً.

أخرج من الخزانة الكثير من المناشف الزغبة، لا يزال لاني يستخدم دواء الغسيل ومطريّ الغسيل اللذين كانت تستخدمهما بيرل، تعرّف بيلى إلى الرائحة المميزة والنظيفة.

لف المناشف فوق ذراعيّ ومتن الكرسي حيث كانت الجثة، إذا كان سيخرج أي شيء من الجرح في الجهة الخلفية للجمجمة، ستمتصه المناشف الملفوفة بعناية.

أحضر من المنزل كيساً من النايلون يستخدم في سلات المهملات الصغيرة، تفادى العينين الناتنتين، فوضع الكيس فوق رأس الرجل الميت وختمه بأفضل طريقة ممكنة حول العنق بواسطة الشريط اللاصق؛ وهذه ضمانة إضافية لعدم خروج أي شيء من الجمجمة.

بالرغم من معرفته أنه لن يصاب أحد بالجنون نتيجة العمل المروّع، وإدراكه أن الرعب يأتي بعد الجنون، وليس قبله، تساءل عن عدد الموتى الذين سيواجههم قبل أن يتحول حلمه، أو ساعات يقظته، إلى جنون حقيقي.

أنزل لاني عن الكرسي إلى شرشف النايلون بسهولة كافية، لكنه أصبح غير متعاون بعدها، استلقى على الأرض في وضعية رجل جالس في كرسي، ولم يستطع تمديد ساقيه. تخشب الجثة، كانت الجثة متخشبة وستبقى هكذا إلى أن يحصل تحلل متقدم كفاية لتطرية الأنسجة التي أصبحت صلبة نتيجة تخشب الجثة. لا يملك بيلى فكرة عن الوقت الذي يستغرقه ذلك. ست ساعات؟ اثنتا عشرة ساعة؟ لا يستطيع الانتظار ليعرف. حاول لف لاني بالنايلون، بدت مقاومة الرجل الميت أحياناً واعية وعنيدة.

التوضيب النهائي بدا غريباً وإنما كان محتوماً بعناية، أمل في أن يثبت مقبض الحبل.

كانت المناشف خالية من أي بقع. طواها وأعادها إلى الخزانة. لم تعد رائحتها جميلة مثلما كانت قبلاً.

جرّ لاني إلى أعلى السلام كان سهلاً، لكن إنزال لاني إلى الطابق الأول أصدر صوتاً مزعجاً، في وضعية نصف منتصبه، طقطقت الجثة على كل درجة، وبدا الصوت كأنه صادر من العظام والغضروف في الوقت نفسه.

عند منبسط الدرج، ذكر بيلى نفسه أن لاني خانته في محاولة لإنقاذ مهنته ومعاش تقاعده، وأنها الآن هنا بسبب ذلك، هذه الحقيقة، التي لا يمكن الفرار منها، لم تجعل نزول الدرجات الأخيرة من السلم أقل إزعاجاً.

سحب الجثة عبر الممر السفلي، والمطبخ، وعبر المصطبة الخلفية كان سهلاً كفاية، المزيد من الدرجات، ومنبسط صغير، ووصلاً أخيراً إلى الفناء.

فكر في وضع الجثة في الأكسلورر وقيادة السيارة إلى أقرب نقطة
ممكنة من الفوهة. إلا أن المسافة ليست بعيدة، وبدا أن جرّ لاني إلى
مكان رقاد الأخير لا يتطلب جهداً أكبر من ذلك اللازم لوضعه في
السيارة ومن ثم إخراجها منها مجدداً.

مثل فرن ساخن، أعادت الآن الأرض الحرارة المخزنة من النهار،
لكن نسمة خفيفة هبّت أخيراً.

خلال الطريق، بدا الفناء المنحدر والعشب الطويل والأجمات
المرتفعة حتى مستوى الركبة أطول مما تخيل عند درج المصطبة، بدأ
يشعر بالألم في ذراعيه وكتفيه وعنقه.

جروح الصنانير، التي لم تزعجه أخيراً، عادت لتنبض بقوة مع
الحرارة الجديدة.

في مكان ما، أدرك أنه يبكي، أخافه ذلك، عليه البقاء صامداً.
فهم مصدر الدموع، كلما اقترب أكثر من أنبوب الحمم،
تضاءلت قدرة بيلى على اعتبار حمله بمثابة جثة مورطة في جريمة، إنه
لاني أولسن، ابن المرأة الجيدة التي فتحت قلبها ومنزلها لشاب محطم
عاطفياً عمره أربعة عشر عاماً.

الآن، تحت ضوء النجوم، بدا مقبض الصخرة المعانقة لأنبوب
الحمم مثل جمجمة أمام عيني بيلى المتكيفتين مع الظلمة.

مهما كان الشيء الذي أمامه، سواء أكان جبلاً من الجماجم أو
سهلاً واسعاً منها، لا يستطيع العودة، ولا يستطيع حتماً إعادة لاني إلى
الحياة مجدداً، لأنه فقط بيلى وايلز، نادل مشرب جيد وكاتب فاشل،
ليست لديه أعاجيب، وإنما لديه فقط أمل وعزيمة على المثابرة القوية.

هكذا، تحت ضوء النجوم والنسيم الدافئ، وصل إلى مكان
الجمجمة. هناك، لم يتأخر، ولا حتى لالتقاط أنفاسه، دفع الجثة في الفوهة.

استلقى على إطار الخشب الأحمر، محدقاً إلى السواد الخالي من القمر، مصغياً إلى النزول الطويل للجنة، لأن هذه الطريقة الوحيدة التي تشهد على اختفائها.

عندما ساد الصمت، أغمض عينيه في الظلمة وقال: "لقد انتهى". لا شك في أن هذه المهمة فقط انتهت، وثمة مهام أخرى في انتظاره، بعضها سيئ بهذا القدر ربما، لكنها ليست حتماً أكثر سوءاً. ترك المصباح الوامض ومفك البراغي على الأرض قرب أبواب الحمام، أعاد تثبيت الغطاء الأحمر في مكانه، وأخرج البراغي الفولاذية من جيبه وثبتها في مكانها.

غسل العرق الدموع الأخيرة عن وجهه عندما عاد إلى المنزل. وراء المرأب، ترك مفك البراغي والمصباح الوامض في سيارة الإكسبلورر. كان قفاز اللاتكس ممزقاً، نزعه ورماه في كيس النفايات في السيارة، ووضع زوجاً جديداً من القفازات. عاد إلى المنزل لفحصه من الأعلى إلى الأسفل. لا يجروء على ترك أي شيء يشير إلى وجوده أو وجود جثة هنا.

في المطبخ، لم يعرف ماذا يفعل بالشراب، والكولا، وشرائح الليمون، والأغراض الأخرى الموضوعة على الطاولة. أعطى نفسه الوقت للتفكير فيها.

أراد الصعود إلى الأعلى، والدخول إلى غرفة النوم الرئيسة، فمشى في الردهة المكسوة بسجادة مطبوعة بالأزهار والمؤدية إلى الجهة الأمامية للمنزل، حين اقترب من الردهة، أدرك وجود ضوء غير متوقع إلى يمينه، وراء قنطرة غرفة الجلوس.

المسدس في يده أصبح فجأة أداة أساسية أكثر مما هو وزناً غير ضروري.

خلال جولته الأولى في المنزل، في طريقه إلى الأعلى لرؤية إذا كانت جثة لابي لا تزال في الكرسي في غرفة النوم، أطفأ بيلي أنوار غرفة الجلوس، فقط لا غير، لم يكن هناك أي ضوء آخر. مرتاحاً في أريكة، أمام القنطرة، جلس رالف كوتل كما لو أنه شهادة على الجنون واللامنطق.

الفصل 51

نبح رالف كوتل في نزع غطاء النايلون عنه بطريقة غير معقولة، وصعد آلاف الأقدام من تحت أرض الوادي، ودخل منزل أولسن، بعد أربعين دقيقة فقط من نزوله عبر أنبوب الحمم، وبقي في الوقت نفسه ميتاً ومشككاً.

كانت رؤية كوتل محيرة جداً لدرجة أن يبلي اعتقد ليرهة أن الرجل عاد إلى الحياة، وأنه لم يمّت أبداً نوعاً ما، لكنه أدرك في اللحظة التالية أن الجثة الأولى التي رماها في الفوهة البركانية لم تكن جثة كوتل، وأنه تم استبدال الجثة بجثة أخرى.

سمع يبلي نفسه يقول "من؟" للسؤال عن الجثة التي كانت ملفوفة، وبدأ يستدير نحو الممر خلفه، بهدف إطلاق النار على أي شخص يصادفه، من دون طرح أي أسئلة.

إلا أن ضربة قوية، أو شيئاً من هذا القبيل، أصابته براءة في النقطة الصحيحة فوق الجهة الخلفية لعنقه، عند قاعدة الجمجمة، مولدة الألم واللون في الوقت نفسه، بالفعل، امتزج في رأسه وميض مبهر وإنما وجيز باللونين الأزرق الكهربائي والأحمر الملتهب وامتد الوميض إلى عينيه.

لم يشعر أبداً أنه ارتطم بالأرض، ولما بدا ساعات طويلة، سقطت حرة في أنبوب الحمم، متسائلاً كيف يستمتع الموتى في القلب البارد لبركان منطفئ.

بدا أن الظلمة تريده أكثر من الضوء، إذ استيقظ على نحو متقطع، غارقاً مجدداً في الأعماق كلما طفا على سطح الوعي.

تحدث إليه صوت قوي مرتين، أو أنه سمع ذلك مرتين، فهم في كلتا المرتين، لكنه لم يتمكن من الإجابة إلا في المرة الثانية.

بالرغم من شعوره بالدوار والارتباك، أراد بيلى أن يصغي إلى الصوت، أن يذكر النبرة واللكنة ليتمكن من التعرف إلى الصوت لاحقاً، سيكون التعرف صعباً لأن الصوت لم يكن صوتاً بشرياً: خشناً، غريباً، مشوهاً، مع نبرة سؤال مستمر.

"هل أنت مستعد لجرحك الثاني؟"

بعد التكرار، اكتشف بيلى أنه استطاع الإجابة: "لا".
بعد أن وجد صوته، وخشي أن يكون صافراً جداً، وجد أيضاً القوة لفتح عينيه.

بالرغم من أن رؤيته كانت مشوشة وبدأت تصفو ببطء، استطاع رؤية الرجل بقناع الثلج والملابس الداكنة واقفاً فوقه، كانت يدا القتال مغلفتين بقفاز من الجلد الطري، واحتاج إليهما معاً لحمل مسدس متطور.
قال بيلى مجدداً: "لا".

استلقى على ظهره، بحيث كان نصفه على السجادة المطبوعة بالأزهار ونصفه الآخر على الأرضية الخشبية الداكنة، وذراعه اليميني فوق صدره، فيما ذراعه اليسرى إلى جانبه، والمسدس ليس في أي من اليدين.

اختفى أخيراً الارتجاج من رؤيته، ولاحظ بيلى أن المسدس لا يوفّر في النهاية حماية من مسافر عبر الزمن أو من زائر غير أرضي، إنه ببساطة واحد من الأسلحة المحمولة المحدودة الاستعمال.

كانت يده اليسرى على الأرض وراحتها إلى الأعلى، فقام الرجل صاحب القناع بتثبيتها على الأرضية الخشبية بواسطة مسمار.

القسم الثالث

كل ما لديك هو كيف تعيش

الفصل 52

الألم والخوف يعكّران المنطق، يشوشان العقل.
ثقب اللحم بوسطة مسمار أدى ببيلي إلى إطلاق صرخة قوية،
أدت موجة كبيرة من الرعب إلى إبطاء أفكاره فيما أدرك أنه مسرّر
بالأرض، عاجز عن الحركة أمام القاتل.
يمكن تحمل الألم والتغلب عليه فقط في حال قبوله، فعند إنكاره
أو الخوف منه، يزداد في الإدراك إن لم يكن في الحقيقة.
أفضل استجابة للرعب هي الغضب المحق، الثقة في العدالة النهائية،
رفض الخضوع للترهيب.
إلا أن هذه الأفكار لم تخطر الآن وفق التسلسل الصحيح في عقله،
إنها حقائق محفوظة في لا وعيه، استناداً إلى تجربة قاسية، وهو يعمل
وفقها كما لو أنها غرائز ولدت باللحم والدم.
عندما سقط، أفلت المسدس، يبدو أن القاتل لم يأخذه، قد يكون
السلاح في متناول يده.
برم ببيلي رأسه، وفتش الممر، تحسس الأرض قرب جانبه الأيمن
بواسطة يده الطليقة.
رمى القاتل شيئاً في وجه ببيلي.
أغمض عينيه، متوقفاً المزيد من الألم، مجرد صورة فوتوغرافية.
لم يستطع رؤية الصورة، هزّ رأسه لإبعاد الصورة عن وجهه.
انقلبت الصورة على صدره، حيث ظن أن القاتل سيسحبها
فجأة.

لا. حاملاً مسدسه، مشى القاتل بعيداً في الردهة، نحو المطبخ، مسمار واحد مثبت جيداً، انتهى عمله هنا.

الحصول على صورة له، حفظها في الذاكرة، الطول والوزن التقريبيان، عريض الكتفين أو لا؟ عريض الوركين أو لا؟ أي شيء مميز في طريقة المشي، رشيقة أو لا؟

الألم، والخوف، وارتجاج الرؤية، وخصوصاً زاوية الرؤية القصوى - كان يبلي مستلقياً على ظهره، فيما القاتل عند قدميه - حالت كلها دون إنشاء صورة لبنية الرجل خلال الثواني القليلة التي رآه فيها. اختفى القاتل في المطبخ، تحرك هناك، مصدرراً ضحيجاً، بحث عن شيء ما، فعل شيئاً ما.

لمح يبلي فولاذاً ساطعاً على الأرض الخشبية الداكنة في الردهة؛ إنه المسدس، السلاح موجود وراءه وبعيداً عن متناول يده.

بعد أن ذهب إلى مكان الجماجم، بعد أن جرّ لاني إلى أنبوب اللحم، فقد يبلي كل قدرة لديه على الخوف، أو ظن ذلك إلى أن أدرك أنه عليه اختبار مدى إحكام تثبيت المسمار له بالأرض، نفر من تحريك يده.

كان الألم مستمراً وإنما مقبول، سيئاً وإنما ليس مريعاً مثلما تخيل، إلا أن محاولة تحريك اليد، أو محاولة إرخاء المسمار، ستكون مثل مضع التوفي بسنّ مسوسة.

لم ينفر فقط من تحريك يده وإنما أيضاً من النظر إليها، بالرغم من إدراكه أن الصورة المرسومة في عقله ستكون أسوأ من الحقيقة، انكشمت معدته فيما برم رأسه، وركّز نظره على جرحه.

باستثناء فائض عدد الأصابع، جعل قفاز اللاتكس الأبيض يده تبدو مثل يد ميكى ماوس، مثل الأيدي الكرتونية الملصقة على الجدران

والمشيئة إلى مكان الكرسي حيث تم وضع جثة لاني مع أحد كتب أمه، ثنية القفاز كانت مبرومة قليلاً.

ثم شيء زحف على معصمه، تبين أنه خيط من الدم أكد فظاعة الكوميديا المأساوية.

توقع أن يكون النزف أسوأ بكثير من هذا، لقد أوقف المسمار تدفق الدم، وعندما أخرجه...

حبس بيلى أنفاسه وأصغى. لا ضجيج في المطبخ، يبدو أن القاتل ذهب.

لا يريد أن يسمعه القاتل وهو يصرخ مجدداً، لا يريد أن يمنحه هذا الرضى.

المسمار، لم يتم تسطيح أعلى المسمار على اللحم، تفصل مسافة ثلاثة أرباع الإنش بين أعلى المسمار وراحة يده. استطاع رؤية القسم الفولاذي من المسمار.

ليست لديه طريقة لمعرفة طول المسمار، بالحكم على قطره، قدر أن يكون طوله ثلاثة إنشات على الأقل من الرأس إلى الأعلى.

عند حذف القسم الموجود فوق راحة يده والقسم المنغرز داخل يده، يمكن القول إن مسافة إنش ونصف الإنش انغرزت ربما في الأرض، بعدما دخل سطح الأرضية الخشبية وحشوة الأرضية، يبقى القليل من المسمار للانغراز في عارضة تدعيم الأرضية.

لكن إذا كان طول المسمار أربعة إنشات، قد يكون منغرزاً بإحكام في عارضة تدعيم الأرضية، وإرخاء ذلك الإنش سيكون مزعجاً جداً.

كانت المنازل تشيّد بطريقة جيدة عندما جرى تشييد هذا المنزل. هكذا، فإن عوارض اثنين بأربعة، أو اثنين بستة، مثبتة على

الأرجح على مسافة اثني عشر إنشاً، لدعم خشوة الأرضية، إلا أن تقديراته كانت جيدة، ففي كل أربعة عشر إنشاً من عرض الأرض، هناك أربعة إنشات فقط من عارضة تدعيم الأرضية.

في حال طرق عشرة مسامير بالأرضية بطريقة عشوائية، ينغرز ثلاثة منها فقط في عارضة تدعيم الأرضية، أما المسامير السبعة الباقية فتدخل في المساحات الفارغة بين العوارض.

عندما حاول طيّ يده اليسرى لاختبار مرونتها، أحسّ بصرخة ألم كبيرة تخرج منه، لم يستطع قمعها بالكامل.

لم تصدر أي ضحكة من المطبخ، ما يدعم الشك في أن القاتل قد رحل.

تساءل بيلي فجأة إذا كان القاتل قد طلب الرقم 911 قبل أن يغادر.

الفصل 53

بقدر ما تكون الجثة ساكنة ويقظة، جلس رالف كوتل على الأريكة. قام القاتل بشبك الساق اليمنى للرجل الميت فوق ساقه اليسرى ووضع يديه في حضنه لمنحه وضعية عفوية، بدا وكأنه ينتظر بصبر كي يأتي مضيفه مع صينية مشروبات، أو الرقيبين نابوليتينو وسوياسكي. بالرغم من أنه لم يتم تشويه كوتل أو التلاعب بجثته، فكر بيلي في العارضات البلاستيكية التي تم تشويهها بعناية في منزل ستيف زيليس. زيليس يعمل الآن في المشرب، لقد رأى بيلي سيارته هناك قبلاً، عندما توقف أمام المشرب لرؤية انعكاس مغيب الشمس على الجدارية العملاقة.

كوتل لاحقاً، زيليس لاحقاً، الآن المسمار.

استدار بيلي بعناية إلى جانبه الأيسر لمواجهة يده المثقوبة. أمسك بالطرف العلوي للمسمار بإبهام وسبابة يده اليمنى، حاول تحريكه برفق جيئة وذهاباً، على أمل كشف بعض الحركة فيه، لكن المسمار كان متصلباً، منغرزاً تماماً. لو كان الرأس صغيراً، لحاول ربما زلّ يده فوق الجزء المستقيم من المسمار لإرخائها، وترك المسمار في الأرض. لكن الرأس عريض، حتى لو استطاع تحمل ألم برم المسمار إلى الخلف عبر يده، سيلحق ضرراً كبيراً بنفسه في أثناء ذلك. عندما حرّك المسمار بقوة أكبر، حاول الألم تحميده، سحق الألم بين أسنانه، سحقه بقوة كبيرة لدرجة أن أضراسه اصطكت بين فكّيه.

إلا أن المسمار لم يتحرك في الخشب وبدا أنه سيخسر أسنانه قبل اقتلاع ذلك المسمار، ثم تحرك.

ارتخى المسمار قليلاً، ولكن ليس كثيراً، بين إبهامه المثقوب والإصبع، وفيما تحرك المسمار في خشب الأرضية، تحرك أيضاً في لحم يده.

كان الألم مثل البرق، مثل البرق المتسلسل، بحيث توهج داخله ومض وتوهج.

شعر أن الجزء المستقيم من المسمار يحتك بعظم. إذا كسر المسمار عظماً، سيحتاج إلى عناية طبية عاجلاً وليس آجلاً.

بالرغم من أن هواء المنزل كان مكيفاً، لم يكن المنزل بارداً قبلاً إلى هذا الحد، بدا العرق الآن وكأنه يتحول إلى جليد على بشرته. حرك بيلى المسمار، وازدادت قوة الألم داخله أكثر، أكثر فأكثر إلى أن ظن أنه أصبح شفافاً، بات الألم الآن مرئياً، ساطعاً من داخله، لن يراه أحد هنا سوى كوتل.

بالرغم من أن احتمالات انغراز المسمار في عارضة تدعيم الأرضية ضئيلة، يبدو أن هذا المسمار لم ينغرز فقط في الأرضية وحشوة الأرضية وإنما انغرز أيضاً في عارضة تدعيم الأرضية، أول حقيقة محزنة في لعبة قمار اليأس: تختار الأحمر فيأتي الأسود.

أصبح المسمار رخواً، وفي لحظة انتصار وغضب، رماه بيلى بعيداً عنه، إلى غرفة الجلوس، بما أنه فعل ذلك، عليه الذهاب لإيجاده لأن دمه ملتصق على الجزء المستقيم من المسمار.

وضع المسمار على الأرض قرب الفتحة التي أحدثها. تحول الألم القوي إلى جمرات نابضة، ووجد أنه يستطيع الوقوف على قدميه.

نزفت يده اليسرى من نقطتي الدخول والخروج، ولكن ليس بقوة، في النهاية، تم ثقبه بمسمار وليس بمثقاب، ولم يكن الجرح عريضاً. وضع يده اليمنى تحت يده اليسرى لتفادي سيلان الدم على سجادة الممر والأرضية الخشبية، وذهب مسرعاً إلى المطبخ. ترك القاتل الباب الخلفي مفتوحاً، ليس على المصطبة، وليس ربما في الفناء الخلفي أيضاً.

أمام حوض غسل الصحون، فتح بيبي الصنبور، ووضع يده اليسرى تحت الماء المتدفق إلى أن أصبح نصف خدر نتيجة الماء البارد. تحول دفق الدم سريعاً إلى نرّ. سحب مناديل ورقية من علبة ولف طبقات عدة منها حول يده. خرج إلى المصطبة الخلفية، حبس أنفاسه، مصغياً ليس إلى القاتل وإنما إلى سيارات الشرطة الآتية.

بعد دقيقة، قرر أنه لم يحصل اتصال بالرقم 911 هذه المرة. القاتل، المؤدي، يفتخر بذكائه، لا يكرر أي حيلة. عاد بيبي إلى الجهة الأمامية للمنزل، رأى الصورة الفوتوغرافية التي رماها القاتل في وجهه والتي نسيها، فرماها في أرضية الممر. إنها امرأة صهباء جميلة، تنظر إلى الكاميرا، مذعورة. ذات ابتسامة جميلة.

لم يرها أبداً من قبل، لا يهم ذلك، إنها ابنة شخص ما، ثمة أشخاص يحبونها. اعف الساقطة.

هذه العبارة، التي ترددت في ذاكرته، أوقعت بيبي تقريباً على ركبتيه. طوال عشرين عاماً، لم تكن عواطفه مكبوتة تماماً، تم إنكار بعضها، لطالما سمح لنفسه أن يشعر فقط بما بدا آمناً الشعور به.

سمح لنفسه أن يغضب فقط باعتدال، ولم يسمح بالكراهية على الإطلاق، خشي أنه عند الاعتراف بقطرة واحدة من الكراهية، قد يطلق العنان لتيارات غاضبة قد تدمره.

إلا أن التحفظ أمام وجه الشر ليس فضيلة، وكره هذا القاتل المجرم ليس خطيئة، إنه شعور محق، ملتهب أكثر من الاشتزاز، أقوى من الألم الذي بدا وكأنه حوِّله إلى مصباح ضوئي.

حمل المسدس، ترك كوتل وحده في غرفة الجلوس، وصعد يبلي السلام، متسائلاً إذا كان سيجد الرجل الميت على الأريكة حين يعود.

الفصل 54

في خزانة أدوية لاني الموجودة في الحمام، عثر بيلى على مطهر للجروح، وعلبة غير مفتوحة من الضمادات السائلة، ومجموعة من قناني الأدوية التي كتب عليها كلها: تنبيه! عدم تركها في متناول الأولاد.

المسار كان نظيفاً وليس بالتالي مصدر التهاب بحد ذاته، إلا أنه نقل البكتيريا ربما من سطح البشرة إلى داخل الجرح. صبّ بيلى المطهر فوق يده اليسرى، على أمل أن تتغلغل جيداً في الجرح المفتوح، بعد برهة، بدأ الوخز.

بما أنه حرص على عدم ثني يده أكثر من اللزوم، توقف النزف، لم يبدأ مجدداً نتيجة المطهر، إنه تعقيم غير مثالي، لا يملك الوقت ولا المصادر لفعل شيء أفضل.

دهن الضماد السائل على مدخل الجرح ومخرجه، من شأن ذلك الحؤول دون دخول الأوساخ إلى الجرح.

الأهم من ذلك، أن الضماد السائل - الذي جفّ وتحول إلى طبقة مطاطية مرنة - يحول دون المزيد من النزف.

احتوت مجموعة قناني الأدوية على بضعة أقراص أو كبسولات، لا شك في أن لاني كان مريضاً سيئاً لا ينهي أبداً علبة الدواء، وإنما يحتفظ دوماً بحصة تتيح له معالجة نفسه في المستقبل.

عثر بيلى على نوعين من المضاد الحيوي؛ سايرو 500 ملغ، احتوت أول علبة على ثلاثة أقراص، والثانية على خمسة.

جمع الأقراص الثمانية في علبة واحدة، نزع اللصيقة عن العلبة ورمها في سلة المهملات.

خشى من الالتهاب أكثر مما خشى من تلوث الجرح، إذا تورمت يده وتصلبت، لن يكون جاهزاً في أي مواجهة قادمة.

بين الأدوية، اكتشف فيسودين، لن يحول دون الالتهاب وإنما سيخفف الألم إذا أصبح أسوأ. بقيت أربعة أقراص، فأضافها إلى أقراص السايرو.

نبض الألم بقوة في يده المجروحة، وعندما نظر مجدداً إلى صورة المرأة الصهباء، انتابه ألم من نوع آخر، ألم عاطفي أكثر مما هو جسدي. الألم نعمة، فالبشرية، من دون ألم، لا تعرف الخوف أو الشفقة، فمن دون خوف، لا يمكن أن يكون هناك تواضع، ويصبح كل رجل وحشاً، فرؤية الألم والخوف عند الآخرين يولد فينا الشفقة، وفي شفقتنا تكمن إنسانيتنا، خلاصنا.

في عينيّ المرأة الصهباء برز رعب واضح، فمن وجهها، بدا أنها عرفت قدرها.

لم يتمكن من إنقاذها، لكن إذا أدى القاتل اللعبة وفق قواعده، لم تتعذب.

فيما انتقل انتباه بيلى من وجهها إلى الغرفة خلفها، تعرف إلى غرفة نومه، تم أسرها في منزل بيلى، تم قتلها هناك.

الفصل 55

جلس على حافة المغطس في حمام لاني، وأمسك بصورة المرأة الصهباء، واسترجع بيلى التسلسل الزمني للجريمة.

لقد اتصل المريض النفسي -متى؟- قرابة الثانية عشرة والنصف تقريباً بعد الظهر، من هذا اليوم نفسه، بعدما غادر الرقيان وبعدهما جرى لف كوتل بالنايلون للتخلص منه، بالنسبة إلى بيلى، قام بيث الشريط المسجل الذي عرض خيارين: تعذيب المرأة الصهباء حتى الموت؛ أو قتل المرأة الصهباء بطلقة أو طعنة واحدة.

حتى في ذلك الوقت، كان القاتل قد أسر الضحية، جعلها تصغي حتماً إلى الشريط فيما قام بيثه عبر الهاتف.

عند الساعة الواحدة، غادر بيلى إلى نابا، بعد ذلك، أحضر القاتل المرأة إلى المنزل، والتقط هذه الصورة الفوتوغرافية، وقتلها.

عندما عثر القاتل على رالف كوتل ملفوفاً بالنايلون ومخبأ وراء الأريكة، تفجرت روح الدعابة لديه، فاستبدل الجثتين، ووضع المرأة الشابة في النايلون.

قام بيلى عن غير قصد برمي المرأة الصهباء في أنبوب الحمم، وبالتالي حرم عائلتها من العزاء الصغير الذي قد تجده عبر دفن جثتها.

هذا التبديل للجثث يذكر بزليس: هذه الدعابة المراهقة، العفوية التي يمكن لشخص ما أن يقول دعابة تافهة.

لم يذهب ستيف إلى العمل إلا عند السادسة مساءً، كان يملك الوقت للعب.

لكن الحقير موجود الآن في المشرب، لا يمكن أن يكون وضع
كوتل على الأريكة، وقام بقرع المسمار فيه.

نظر بيلى إلى ساعة يده، الحادية عشرة وإحدى وأربعون دقيقة.
أحير نفسه على النظر إلى المرأة الصهباء مجدداً لأنه فكّر في أنه
سيجمع الصورة مع أدلة أخرى لرميها في الفوهة البركانية، أراد أن
يتذكرها فوجد نفسه مجبراً على حفر صورة وجهها في ذاكرته إلى الأبد.
عندما بث القاتل الرسالة المسجلة عبر الهاتف، إذا كانت المرأة
موجودة هناك، مكبلة ومصغية، فإنها سمعت على الأرجح جواب بيلى:
اعف الساقطة.

هذه العبارة أعفتها من العذاب، لكنها الآن تعذب بيلى.
لا يستطيع رمي صورتها، الاحتفاظ بالصورة ليس تصرفاً حكيماً،
لا بل إنه خطير، إلا أنه طواها وحرص على عدم تجعيد وجهها،
ووضعها في محفظته.

خرج منهكاً إلى سيارة الإكسلورر، أراد أن يعرف إذا كان
القاتل لا يزال في الجوار، يراقب، بدا الليل آمناً ونظيفاً.
وضع قفاز اللاتكس المثقوب في كيس النفايات، وأخرج واحداً
جديداً، رفع هاتفه الخلوي عن الركيزة وأخذه معه.

عاد إلى المنزل مجدداً، وفتش في كل الغرف من الأعلى إلى
الأسفل، جامعاً كل الأدلة في كيس نفايات بلاستيكي، بما في ذلك صورة
جيزيل وينسلو (التي لن يحتفظ بها)، والأيدي الكرتونية، والمسمار...

بعدما انتهى، وضع الكيس قرب الباب الخلفي.
أخذ كوباً نظيفاً، من الإبريق الموجود على الطاولة، سكب بضع
أونصات من الكوكا الفاترة، بسبب الحركة، أصبح الألم في يده أسوأ،
فتناول قرص سايبرو، وقرص فيسودين.

قرر التخلص من كل الأدلة المشيرة إلى شرب صديقه للشراب،
يجب ألا يوفر المنزل أي شيء غير اعتيادي للشرطة لتفكر فيه.
عندما يبقى لاني مختفياً لوقت طويل، سيأتون إلى هنا، ويطلقون
على الباب، وينظرون عبر النوافذ، سيدخلون، إذا رأوا أنه كان يشرب
الشراب الثقيل، قد يفكرون في الاكتئاب واحتمال الانتحار.
كلما توصلوا إلى الاستنتاجات بسرعة أكبر، قاموا بتفتيش أرجاء
المكان بسرعة أكبر، وكلما أخذ العشب المسحوق وقتاً أطول للعودة
إلى طبيعته، تضاعل احتمال تركيزهم على غطاء أنبوب الحمم.
بعدما أصبح كل شيء مرتباً وبعدها تم ربط كيس النفايات
المشتمل على الأدلة، ولم يبق إلا رالف كوتل للتخلص منه، استخدم
بيلي هاتفه الخليوي للاتصال برقم هاتف المشرب.

أجاب جاكى أوهارا: "المشرب".

سأل بيلى: "كيف حال الحيوانات المقززة مع الأدمغة البشرية؟"

"إنهم يشربون في مشرب آخر".

"لأن المشرب هو مشرب عائلي".

"هذا صحيح، وسيبقى دوماً هكذا".

"اسمع جاكى...".

"أكره عبارة /سمع جاكى. تعني دوماً أنني سأقع في ورطة".

"سأخذ إجازة يوم غد أيضاً".

"أنا في ورطة".

"لا أنت تضخم الأمور".

"لا تبدو مريضاً إلى هذه الدرجة".

"ليس زكماً في الرأس، إنه شيء في المعدة".

"ضع الهاتف على بطنك ودعني أصغي إليه".

"تصبح فجأة عنيداً".
"من غير الملائم أن يقوم صاحب المشرب شخصياً بالعمل كثيراً".
"المكان مزدحم جداً، لا يستطيع ستيف الاهتمام بزبائن منتصف
الليل وحده؟".

"ستيف ليس هنا، أنا وحدي".
انكمشت يد بيلي فوق الهاتف الخليوي. "مررت قبلاً أمام
المشرب، كانت سيارته مركونة هناك".
"إنه يوم إجازة بالنسبة إلى ستيف، ألا تذكر؟".
لقد نسي بيلي.

"عندما لم أفلح في العثور على بديل للعمل مكانك، جاء ستيف
من الثالثة إلى التاسعة لإنقاذي، وماذا تفعل أنت في السيارة إذا كنت
مريضاً؟".
"كنت ذاهباً إلى موعد مع طبيب، استطاع ستيف منحك ست
ساعات فقط؟".

"توجب عليه إنجاز أمور قبل ذلك وبعده".
مثل قتل المرأة الصهباء قبلاً، وتسمير يد بيلي بالأرضية لاحقاً.
سأل جاكبي: "ماذا قال الطبيب؟".
"إنه فيروس".
"هذا ما يقولونه دوماً عندما لا يعرفون الحقيقة".
"لا، أظن فعلاً أنه فيروس الثماني والأربعين ساعة".
قال جاكبي: "كما لو أن الفيروس يعرف من ثماني وأربعين ساعة،
تخرج عين ثلاثة من جبينك ويقولون إنه فيروس".
"آسف بشأن ذلك جاكبي".
"سأصمد، إنه فقط عمل المشرب في النهاية، ليست حرباً".

ضغط بيلى على الزر الأحمر لإلغاء المكالمة، وشعر أنه فعلاً في حرب.

على رف المطبخ، كانت محفظة نقود لاني، ومفاتيح السيارة، ونقود معدنية، وهاتف خلوي، ومسدس عيار 9 ملم، تماماً حيث كانت كلها الليلة الماضية.

أخذ بيلى محفظة النقود. عندما غادر، أخذ أيضاً الهاتف الخلوي، والمسدس، وقراب ويلسون كومبات.

من الأغراض الموجودة في درج الخبز، أخذ نصف رغيف من الخبز الكامل القمحة في كيس نايلون.

في الخارج، وقف على الجهة الشرقية من المصطبة، ورمى الخبز على المرج. ستحتفل طيور الصباح.

عاد إلى المنزل مرة جديدة، وغطى الكيس بمنشفة.

(ثمّة خزانة للأسلحة ذات أبواب زجاجية موجودة في المكتب، في الأدراج تحت الأبواب، احتفظ لاني بعلب من الذخيرة، بعلب رذاذ مادة مايس الكيميائية، وبخزام شرطة إضافي.

على الخزام، كانت هناك جيوب لخراطيش احتياطية، وقراب للمسدس، وجيب، وعلبة للأغلال، وحمالة مفاتيح، ومحمل قلم، وقراب، إنه جاهز للاستعمال.

أخرج بيلى من الخزام الذخيرة الاحتياطية، أخذ أيضاً الأغلال السيدوية، وعلبة رذاذ مايس الكيميائية، وضع هذه الأغراض في كيس الخبز.

الفصل 56

ثمة طيور سريعة، ربما خفافيش تقف من العث عند الساعة الأولى من بعد منتصف ليل يوم الأربعاء، حلقت على علو منخفض في الفناء، فوق بيلي، ثم توجهت عالياً، عندما لحق بصوت ما لم يستطع رؤيته، ارتفع نظره إلى الشكل الفضّي الرقيق لهلال جديد.

بالرغم من وجود القمر في السماء قبل ذلك، متوجهاً نحو الغرب، لم يلاحظ بيلي هذا الهلال الصغير إلا الآن، ليس هذا مستغرباً، فمنذ حلول الظلام، لم يكن لديه الوقت للنظر إلى السماء إذ كان انتباهه مركزاً على الأرض.

رالف كوتل، الذي تصلبت أطرافه في زاويا مزعجة نتيجة تخشب الميت، تم لفه ببطانية بسبب عدم إمكانية العثور على لفافة نايلون كبيرة، وجرى ربطه على شكل حزمة بمجموعة ربطات عنق لاني - ثلاث - ثم تم جرّه بصعوبة عبر الفناء المنحدر وصولاً إلى الشجيرات. قال كوتل إنه ليس بطل أحد، ومات حتماً موت الجبناء.

أراد أن يعيش بالرغم من حياته التعيسة لأنه - ماذا يوجد هناك؟ - لم يتخيل أنه يوجد ربما شيء أفضل للكفاح من أجله، أو القبول به. في اللحظة التي دخل فيها نصل السكين بين ضلوعه وأوقف قلبه، أدرك أنه يمكن الهروب من الحياة، ولكن لا يمكن الهروب من الموت.

شعر بيلي بتعاطف مع هذا الرجل، الذي كان يأسه أعظم من يأس بيلي وكانت موارده أقل عمقاً.

عندما علقت الشجيرات والأشواك بالبطانية الناعمة وجعلت جرّ الجثة أمراً صعباً جداً، رفع الجثة وحملها على كتفه، من دون تدمير أو شكوى، تحت العبء، تعثر ولكن من دون أن ينهار، جاء قبل دقائق قليلة لإزالة الغطاء مرة جديدة عن الإطار الأحمر الخشبي، كانت الفتحة تنتظر، قال كوتل إنه لا يوجد عالم واحد وإنما مليارات العوالم، وإن عالمه مختلف عن عالم بيلي. سواء أكان هذا صحيحاً أم لا، أصبحت العوالم هنا عالماً واحداً.

سقطت الجثة الملفوفة عبر الفوهة، وارتطمت، وتعثرت، وسقطت في الظلام، الفراغ في الفراغ.

عندما ساد الصمت، موحياً أن المشكك وصل إلى راحته العميقة مع الابن الصالح والمرأة المجهولة، أعاد بيلي الغطاء إلى مكانه، واستخدم المصباح الومض للتأكد من تحاذي الفتحتين، وقام بتثبيت البراغي مجدداً. **أهم** ألا يرى هذا المكان أبداً مرة جديدة، إلا أنه شك في أنه لن يملك خياراً آخر سوى العودة.

ابتعد بالسيارة عن منزل أولسن، لكنه لم يعرف إلى أين يذهب، في النهاية، عليه مواجهة ستيف زيليس، ولكن ليس فجأة، ليس الآن، عليه أولاً تحضير نفسه.

في عصر آخر، كان الرجال عشية المعركة يذهبون إلى دور العبادة لتحضير أنفسهم، روحياً وفكرياً وعاطفياً، لإشعال البخور، وإضاءة الشموع، والحصول على التواضع.

في تلك الأيام، كانت دور العبادة تفتح ليلاً نهاراً، تقدم الملاذ من دون شروط.

إلا أن الأوقات تغيرت، هناك بعض دور العبادة التي تبقى الآن مفتوحة على مدار الساعة، لكن العديد من دور العبادة الأخرى تفتح

في ساعات محددة، وتغلق أبوابها قبل ساعات طويلة من منتصف الليل.

تغلق بعض دور العبادة أبوابها بسبب تكاليف التدفئة والكهرباء، الميزانية تتغلب على الرسالة، بدل الانتقال من دار عبادة إلى أخرى، وتجربة أبوابها والعتور على ملاذ وفق موعد مسبق، ذهب يبلي إلى حيث يذهب الرجال العصريون الذين هم بحاجة إلى التأمل في الساعات التالية لمنتصف الليل: محطة شاحنات.

نظراً لعدم وجود طرق سريعة عريضة في المنطقة الريفية، كانت محطة الشاحنات المتوافرة، على الطريق السريع رقم 29، متواضعة نسبة إلى معايير سلسلة ليتل أميركا التي تشغل محطات الشاحنات في البلدات الصغيرة، إلا أنها اشتملت على مجموعات من مضخات الوقود المضاء بطريقة تنافس ضوء النهار، ومتجر صغير، وحمامات مجانية، ونافذ للإنترنت، ومطعم 7/24 يقدم أطعمة مقلية وقهوة تجعلك تقشعر.

لا يريد يبلي القهوة أو الكولسترول، يريد فقط زحمة التجارة المنطقية لموازنة اللامنطقية التي يعيشها حالياً، ومكاناً عاماً جداً بحيث لا يكون فيه عرضة للهجوم.

ركن السيارة أمام المطعم، تحت عمود كهرباء فيه مصباح قوي جداً بحيث استطاع القراءة تحت الضوء الداخلى عبر الزجاج الأمامي. أخرج من علبة القفازات رزماً من المناديل الرطبة، استخدمها لفرك يديه.

تم ابتكار هذه المناديل لتنظيف الأيدي بعد تناول وجبة بيغ ماك والبطاطا المقلية في السيارة، وليس لتعقيم الأيدي بعد التخلص من الجثث، إلا أن يبلي ليس في موقع - أو مزاج - للتذمر.

كانت يده اليسرى، المثقوبة بمسمار وغير المعالجة، ساخنة ومتصلبة، ثناها ببطء وحذر شديد، بسبب الفيسودين، لم يشعر بألم، قد لا يكون ذلك جيداً، فالمشكلة المتزايدة في اليد قد تتحول إلى ضعف مفاجئ في القبضة في اللحظة التي تبرز فيها أمس الحاجة إلى القوة في هذه الأزمة المتطورة.

بمساعدة البيسي الفاترة، تناول حبتين إضافيتين من الأناسين، للعمل بمثابة مضاد للالتهاب. لا شك في أن دواء موترين أفضل، لكنه لا يملك الآن سوى أناسين.

يمكن للجرعة الصحيحة من الكافيين أن تعوض نوعاً ما عن قلة النوم، لكن الكثير من الكافيين قد يؤثر الأعصاب ويدفعه إلى تصرف متهور، تناول حبة إضافية مضادة للنعاس على كل حال.

مضت ساعات طويلة على تناوله لوح شوكولا هيرشي ولوح بسكويت بلانترز، تناول لوحاً جديداً من كل منهما. فيما تناولهما، فكر في ستيف زيليس، المشتبه به الرئيس، المشتبه به الوحيد.

بدأت الأدلة ضد زيليس كثيرة جداً، لكنها كلها أدلة ظرفية. لا يعني ذلك أن القضية غير صحيحة، فنصف الإدانات أو أكثر التي يتم الحصول عليها في المحاكم الجنائية مستندة على تشابكات مقنعة من الأدلة الجنائية، ويكون أقل من واحد في المئة منها إخفاً للعدالة.

لا يترك المجرمون بالضرورة أدلة مباشرة في مسرح الجريمة، ففي هذا العصر من مقارنة الحمض النووي (دي. أن. أيه)، يمكن لأي شخص يملك تلفازاً أن يشاهد برامج CSI ويتعلم الخطوات البسيطة الواجب اعتمادها لتفادي الإدانة الذاتية.

إلا أن كل شيء، من المضادات الحيوية إلى موسيقى الزيديكو،
يكشف عن سلبياته وعرف بيلى جيداً مخاطر الأدلة الظرفية.
ذكر نفسه أن المشكلة لم تكن في الأدلة، المشكلة كانت في جون
بالم، الذي أصبح الآن شريفاً، وكان حينها ملازماً طموحاً يحلم
بالترقى إلى رتبة نقيب.
الليلة التي جعل فيها بيلى من نفسه يتيماً، كانت الحقيقة مرعبة
وإنما واضحة وسهلة التحديد.

الفصل 57

من حلم فاحش، استيقظ بيلي وايلز ابن الأربعة عشر عاماً بسبب
أصوات مرتفعة وصراخ غاضب.

في البداية، شعر بالارتباك، شعر وكأنه انتقل من حلم جميل إلى
آخر مزعج.

وضع وسادة فوق رأسه، ودفن وجهه في وسادة أخرى، محاولاً
إعادة نفسه مجدداً إلى الحلم الجميل.

إلا أن الحقيقة بقيت، الحقيقة أصرت.

الصوت كان صوت أمه وأبيه، في الأسفل، وكان الصوت عالياً
جداً بحيث لم ينجح السقف الفاصل بين الطابقين في إخماده.

قصصنا الخرافية غنية بالشخصيات الفاتنة: حوريات بحر تغني
للسحارة على الصخور، شريرة تحول الرجال إلى حيوانات مقززة،
عازفو مزامير يعزفون للأولاد يوم مماتهم، إنها استعارات للحاجة السرية
إلى التدمير الذاتي التي ترافقنا منذ أيام التفاحة الأولى.

بيلي نفسه هو عازف مزامير، فسمح لنفسه بالنهوض من السرير
بسبب أصوات أهله العالية.

الجدال ليس شائعاً في هذا المنزل، لكنه ليس نادراً أيضاً، إلا أن
الخلافات تبقى عادة هادئة، كثيرة، ووجيزة، إذا استمر الانزعاج لوقت
طويل، يتم التعبير عنه بصمت حزين يشفي مع الوقت، أو هكذا يبدو.

لا يعتبر بيلي أن أهله غير سعيدين في زواجهما، إنهما يجبان
بعضهما بعضاً، يعرف ذلك.

حافي القدمين، عاري الصدر، مرتدياً سروالاً بيجاماً، مستيقظاً
تدريجياً فيما مشى، مشى بيلى وايلز في المر، ونزل السلام...
لا يشك في أن أهله يجبانه، بطريقتهما، يعبر والده عن عاطفة
صارمة، تراوح عاطفة أمه بين الإهمال الحميد وحب الأم الصادق
والمفرط.

لطالما بقيت طبيعة المشاكل بين أمه وأبيه غامضة بالنسبة إلى بيلى،
وبدت أنهما لا تفضي إلى أي عواقب، حتى الآن.

عندما وصل إلى غرفة الطعام، برأى من باب المطبخ، وجد بيلى
نفسه مغموراً غصباً عنه - حقاً؟ - بحقائق باردة وأسرار فاضحة متعلقة
بالشخصين اللذين اعتقد أنه يعرفهما أفضل من أي شيء آخر في العالم.
لم يتحليل أبداً أن والده يمكن أن يكشف عن مثل هذا الغضب
الحاقد، لم يقتصر ذلك فقط على حجم الصوت العالي وإنما تعده أيضاً
إلى النبرة المريرة واللغة البذيئة التي كشفت عن استياء طويل الأمد كان
يغلي برفق في انتظار اللحظة الملائمة للانفجار.

اتهم والده أمه بالخيانة المتكررة، قال إنها ساقطة، وأطلق عليها
صفات أسوأ، مراوحة من الغضب إلى الغيظ الشديد.

في غرفة الطعام، حيث تسمر بيلى عند سماع الحديث، اضطرب
عقله بالاتهامات الموجهة ضد أمه، لطالما بدا له والداه غير مهتمين
بعلاقتهم، جذابين وإنما غير مباشرين لمثل هذه الرغبات.

إذا تساءل يوماً عن كيفية تكوينه، فإنه يعزو ذلك إلى واجب
الزواج والرغبة في تأسيس عائلة وليس إلى الشغف.

وما صدمه أكثر من الاتهامات كان اعتراف أمه بالحقيقة؛
واتهاماتها المقابلة التي كشفت أن والده رجل وأيضاً أقل من رجل،
وبّخت زوجها وسخرت منه بلغة أكثر بذاءة من تلك الموجهة إليها.

أدت سخريتها إلى زيادة غضبه ودفعته إلى الجنون، صفة اللحم على اللحم أوجت بضرب الوجه باليد بقوة. بكت ألماً لكنها قالت فجأة: "أنت لا تخيفني، لا تستطيع أن تخيفني".

تبعثرت الأغراض، وتطايرت وتكسرت، ثم صدر صوت مريع، صوت وحشي مفاجئ، صرخت أمه ألماً، ذعراً. لا يذكر بيلى كيف غادر غرفة الطعام، لكنه وجد نفسه في المطبخ، يصرخ على والده لكي يتوقف، لكن بدا أن والده لم يسمعه أو لم ينتبه حتى إلى وجوده. كان والده مأخوذاً، مفتوناً بالقوة الخفية للحقد الموجود داخله، إنه حقد طويل الأمد.

على الأرض، بكت والدة بيلى المحطمة مثل حشرة مسحوقة، عاجزة عن الصراخ، مصدرة أصوات عذاب. شاهد بيلى أسلحة أخرى موضوعة على طاولة المطبخ، مطرقة، سكين كبيرة، مسدس.

بدا أن والده رتب هذه الأدوات الثلاث لإخافة أمه. يبدو أنها لم تخف، لا بل اعتبرته جباناً وسخيفاً وأحمق، لا شك في أنه جبان، لأنه انقض على امرأة عاجزة، لكنها أساءت أيضاً في الحكم على قوة الشرف فيه.

أمسك بيلى بالمسدس وحمله بكلتا يديه، وصرخ على والده لكي يتوقف، وعندما لم يلق طلبه صدى، أطلق النار على السقف. تراجع السلاح الناري على نحو مفاجئ عبر كتفيه، فتمايل بذهول. استدار والده نحوه ولكن ليس بخنوع، فالحقد هو وحش ظالم يسيطر على الرجل ويتحكم فيه.

سأله والده: "ابن من أنت؟ ابن من كنت أطعم طوال كل هذه السنوات، أيها الحقيير الصغير؟".

تصاعد الرعب، وعندما أدرك بيلى أن عليه القتل أو يتعرض هو للقتل، ضغط على الزناد مرة أولى، وثانية، وثالثة، وارتدت ذراعه بفعل قوة السلاح.

رصاصتان خائبتان وجرح في الصدر.

تمايل والده، وتعثر، وسقط إلى الخلف فيما أفضت الرصاصة إلى تدفق الدم من صدره.

سقط على الأرض منهاراً، وبعد ذلك لم يصدر أي صراخ، أي كلمات غضب، وبقي فقط تنفس بيلى وتمتمات أمه اليائسة. ثم قالت: "بابا؟". كان صوتها متناقلاً ومليئاً بالألم. "بابا طوم؟".

والدها، الذي كان في المارينز، قُتل في أثناء الخدمة عندما كانت في العاشرة، بابا طوم هو زوج أمها. "ساعدني". أصبح صوتها أكثر خشونة، وتبدل بطريقة يائسة: "ساعدني بابا طوم".

بابا طوم هو رجل جاف، له شعر بلون الغبار، مع عينين بنيتين مثل الحجر الرملي، كانت شفتاه متشققتين على الدوام، وضحكته المهزولة تثير أعصاب أي مستمع.

فقط في الظروف القصوى، يطلب أي كان المساعدة من بابا طوم، ولا يتوقع أحد أن يتلقى هذه المساعدة. "ساعدني بابا طوم".

بالإضافة إلى ذلك، يعيش الرجل العجوز في ماساتشوستس، أي على مسافة بعيدة جداً من منطقة نابا.

إلحاح الوضع تغلغل في صدمة بيلى، وتحولت الآن عاطفته
المدعورة باتجاه أمه.

بدت مشلولة، فيما انتفض الإصبع الصغير في يدها اليمنى،
وانتفض، ولكن لم يتحرك أي شيء آخر فيها.
مثل إناء الفخار المرمم بطريقة سيئة، برز خطب في شكل
جمجمتها ووجهها.

ركزت عينها الوحيدة المفتوحة، عينها الوحيدة الباقية، على بيلى
وقالت: "بابا طوم".

لم تتعرف إلى بيلى، ابنها الوحيد، وظنت أنه الرجل العجوز من
ماساتشوستس.

قالت "أرجوك" وبرز الألم في صوتها.

أوحى الوجه المكسور بضرر فادح في الدماغ لدرجة دفعت بيلى
إلى البكاء بقوة.

انتقلت عينها الوحيدة من وجهه إلى المسدس في يده. "أرجوك،
بابا طوم. أرجوك".

إنه فقط في الرابعة عشرة، مجرد ولد، وكان صغيراً، وثمة خيارات
تُطلب منه لا يجدر به اتخاذها.

"أرجوك".

إنه خيار يحطم إنساناً ناضجاً، ولا يستطيع الاختيار، لن يختار.
لكن، أوه، ألمها، خوفها، ذعرها.

توسلت بلسان متناقل: "أوه، الله، أوه، الله، أين أنا؟ من أنت؟ من
هذا الذي يزحف هناك؟ من أنت هنا تخيفني؟ تخيفني!"

يتخذ القلب أحياناً قرارات يعجز عنها العقل، وبالرغم من أننا
نعرف أن القلب مضلل أكثر من أي شيء آخر، نعرف أيضاً أنه في

لحظات التوتر والخسارة الكبيرة، يندفع القلب بالمعاناة.
خلال السنوات القادمة، لن يعرف أبداً إذا كان الوثوق بقلبه في
هذه اللحظة هو الخيار الصحيح، لكنه فعل مثلما قال له.
قال: "أحبك" وأطلق الرصاصة القاتلة على أمه.

* * *

كان الملازم جون بالمر أول من وصل إلى مسرح الجريمة.
ما بدا أساساً الدخول الجريء لسلطة جديدة بالثقة، سيكون
لاحقاً، بالنسبة إلى بييلي، مثل استعجال النسر للانقضاض على
الجيفة.

في انتظار الشرطة، عجز بييلي عن الخروج من المطبخ، لم يتحمل
ترك أمه وحدها.

شعر أنها لم ترحل تماماً بعد، وأن روحها لا تزال هنا وتستمد
العزاء من وجوده، أو لم يشعر ربما بأي شيء من هذا القبيل، وتمعن فقط
أن يكون هذا صحيحاً.

بالرغم من عدم تمكنه من النظر إليها، إلى ما أصبحت عليه، بقي
قربها، حذراً.

عندما دخل الملازم بالمر، عندما لم يعد بييلي وحده ولم يعد بحاجة
إلى أن يبقى قوياً، انهار، ارتجف الولد بشدة.

سأل الملازم بالمر: "ماذا حصل هنا بييلي؟".

مع هاتين الوفتين، لم يعد بييلي ابن أحد، وشعر بالوحدة في
عظامه، بالفراغ في صميمه، بالخوف من المستقبل.

لذا، عندما سمع كلمة بييلي، بدت أكثر من مجرد كلمة، بدت
وكأنها يد ممدودة، أمل معروض.
تحرك بييلي نحو جون بالمر.

بما أن الملائم يحسب أو بالأحرى بما أنه إنسان، فتح ذراعيه.
ارتقى بيلى المرتجف بين هاتين الذراعين، فشده جون بالمر بالقرب
منه. "بني؟ ماذا حصل هنا؟".
"ضربها، قتلته، ضربها بمفتاح حديدي".
"قتلته؟".

"ضربها بالمفتاح الحديدي، قتلته، قتلته".
يمكن لرجل آخر أن يعتبر ذلك اضطراباً عاطفياً لشاهد صبي،
ولكن الاعتبار الرئيس للملائم هو أنه لم يصبح نقيباً بعد، إنه رجل
طموح، وغير صبور.

قبل عامين، قام شاب عمره سبعة عشر عاماً في لوس أنجلوس،
جنوب نابا، بإطلاق النار على أهله حتى الموت، طلب البراءة بسبب
الاعتداء الجنسي طويل الأمد.

تلك المحاكمة، التي انتهت قبل أسبوعين فقط من الليلة المفصليّة في
حياة بيلى وايلز، أفضت إلى الإدانة، توقع النقاد أن تتم تبرئة الشاب،
لكن التحري المسؤول عن القضية كان مجتهداً، وحرص على جمع عدد
كبير من الأدلة التي أثبتت كذب الشاب.

خلال الأسبوعين الماضيين، كان ذلك التحري نجم وسائل
الإعلام، ظهر كثيراً على شاشات التلفاز، أصبح اسمه مشهوراً أكثر من
اسم عمدة لوس أنجلوس.

باعتراف بيلى، لا يرى جون بالمر فرصة لتعقب الحقيقة، وإنما
يرى فرصة.

"على من أطلقت النار بني؟ عليه أم عليها؟".
"أطلقت النار عليه، أطلقت النار عليها، ضربها بشدة بالمفتاح
الحديدي، بحيث توجب عليّ إطلاق النار عليهما معاً".

فيما صدحت أصوات الصفارات في البعيد، أخرج الملازم بالمر بيلى من المطبخ، وأوصله إلى غرفة الجلوس، طلب من الصبي الجلوس على الأريكة.

لم يعد سؤاله ماذا حصل هنا بيّتي؟ وإنما بات سؤاله الآن: "ماذا فعلت بيّتي؟ ماذا فعلت؟".

لوقت طويل جداً، لم يعرف بيلى وايلز الصبي الفرق. هكذا، بدأت ستون ساعة من الجحيم.

في عمر الرابعة عشرة، لا يمكن محاكمته مثل شخص راشد، وبما أن الحكم بالإعدام أو بالسجن لمدة الحياة غير واردين، يفترض أن تكون ضغوط الاستجواب أقل مما هي مع مجرم راشد.

إلا أن جون بالمر صمم على تحطيم بيلى، على سحب اعتراف منه أنه هو من ضرب أمه بالمفتاح الحديدي، وأطلق النار على والده عندما حاول والده حمايتها، ثم قضى عليها أيضاً برصاصة.

بما أن عقوبة المجرمين الأحداث أقل صرامة مما هي للراشدين، يحمي النظام أحياناً حقوقهم باجتهد أقل مما هو ضروري، فإذا كان المشتبه به لا يعرف أنه يجدر به طلب محام، قد لا يتم إبلاغه بهذا الحق في الوقت المناسب والمثالي.

إذا كان افتقاد المشتبه به إلى المصادر يستلزم محامي دفاع عاماً، ثمة احتمال أن يكون الشخص المعين غير كفوء، أو أحمق.

ليس المحامون جميعاً نبلاء مثل أولئك الذين يدافعون عن المظلومين في المسلسلات التلفازية، تماماً مثلما لا يكون المظلومون نبلاء بهذا القدر في الحياة الحقيقية.

ضابط متمرس مثل جون بالمر، بالتعاون مع رؤساء مختارين، يدفعه الطموح الكبير والرغبة في المجازفة بمهنته، يملك الكثير من الخدع لإبقاء

مشتبه به بعيداً عن المشورة القانونية ومتوافراً لاستجواب غير محدود في الساعات المباشرة التي تلت اعتقاله.

لعل إحدى أكثر الخطط فاعلية هي جعل بيلى مساعد نادل، يصل محامي الدفاع إلى مركز التوقيف في نابا ليكتشف أنه بسبب المساحة المحدودة للزنزانات أو لأسباب أخرى مجهولة، تم نقل موكله إلى مركز شرطة كاليستوغا، وعند الوصول إلى كاليستوغا، يسمع أنه تم ارتكاب خطأ فادح: تم أخذ الولد إلى سانت هيلينا، في سانت هيلينا، أعادوا المحامي إلى نابا.

بالإضافة إلى ذلك، خلال نقل المشتبه به، تتعرض السيارة أحياناً لمشاكل ميكانيكية، وتستغرق رحلة الساعة الواحدة ثلاث أو أربع ساعات حسب التصليحات اللازمة.

خلال هذين اليومين ونصف اليوم، تنقل بيلى بين مجموعة من المكاتب، وغرف الاستجواب، والزنزانات، كانت عواطفه قوية على الدوام، ومخاوفه مستمرة فيما وجبات الطعام غير منتظمة، لكن أسوأ اللحظات حصلت في سيارة الشرطة، على الطريق.

بيلى جالس في الخلف، وراء حاجز الأمان، يده مكبلتان، فيما تم ربط هذه الأغلال بسلسلة متصلة بحلقة مثبتة في الأرض.

ثمة سائق لا يملك أبداً أي شيء لقوله، بالرغم من القوانين التي تمنع هذا التدبير، جلس جون بالمر في المقعد الخلفي مع المشتبه به.

الملازم رجل كبير البنية، والمشتبه به صبي عمره أربعة عشر عاماً، في هذا المكان الضيق، يمكن للاختلاف في الأحجام أن يكون بحد ذاته مصدر قلق بالنسبة إلى بيلى.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر بالمر خبيراً في التهيب، كلام متواصل وأسئلة مستمرة يفصل بينها فقط صمت اتهامي، بنظرات محسوبة،

بكلمات مختارة بعناية، بتقلبات مزاج كبيرة، أدى دوره بفاعلية كبيرة.

الاحتكاك هو الأسوأ.

جلس بالمر قريباً جداً في بعض الأوقات، جلس أحياناً قريباً جداً بقدر ما يرغب الصبي في الجلوس قرب فتاة، وضغط بجانبه الأيسر على جانب بيلى الأيمن.

عبث بشعر بيلى بعاطفة زائفة، وضع يداً كبيرة على كتف بيلى، ومن ثم على ركبته، وبعدها على فخذه.

"قتلها ليس جريمة إذا كنت تملك سبباً وجيهاً، بيلى. إذا تحرش بك والدك طوال أعوام وكانت أمك تعلم، لن يلومك أحد".

"لم يلمسني أبداً والذي هكذا، لماذا تستمر في تكرار ذلك؟".

"أنا لا أكرر بيلى، أنا أسأل، لا داعي لأن تخجل من أي شيء إذا كانا يعذبانك منذ الصغر، يجعلك ذلك ضحية، ألا تفهم؟ وحتى لو أعجبك ذلك...".

"لم يكن ليعجبني".

"حتى لو أعجبك، لا تملك سبباً للخجل، تبقى ضحية". اليد على الكتف.

"لست ضحية، لم أكن ضحية، لا تقل هذا".

"يفعل بعض الرجال أشياء مريعة بالصبيان العاجزين، ويجب بعض الصبيان ذلك". اليد على الفخذ. "لكن هذا لا يجعل الولد غير بريء بيلى، يبقى الولد الوسيم بريئاً".

تمنى بيلى تقريباً لو أن بالمر يضربه، اللمس، اللمس الرقيق والتلميح أسوأ من الضربة لأنه يبدو أن الضربة ستأتي على كل حال عندما يخفق اللمس.

في أكثر من مناسبة، كاد يبلي يعترف فقط للهروب من الإيقاعات المجنونة في صوت الملازم جون بالمر، للهروب من لمسائه.

بدأ يتساءل لماذا... بعدما وضع حداً لمعاناة أمه، لماذا اتصل بالشرطة بدل وضع فوهة المسدس في فمه؟

أخيراً، أنقذ يبلي بالعمل الجيد للمسعف الطبي ولتقنيي التحريات، وبالأفكار المغايرة لبقية رجال الشرطة الذين سمحوا لبالمر التلاعب بالقضية مثلما يشاء، فالأدلة تدين الوالد؛ ما من أدلة ضد الابن.

البصمة الوحيدة الموجودة على المسدس هي بصمة يبلي، لكن ثمة بصمة واضحة وجزءاً من راحة يد على المقبض الطويل للمسدس الفولاذي تخصان والد يبلي.

استخدم القاتل المفتاح الحديدي بيده اليسرى، على عكس والده، يستخدم يبلي يده اليمنى.

كانت ملابس يبلي ملطخة بمقدار ضئيل من الدم ولكن ليست ملطخة ببقع متناثرة، ثمة رذاذ من الدم على كميّ قميص والده.

حاولت المرأة صدّ زوجها، لذا، علق دمه ولحمه، وليس دم يبلي ولحمه، تحت أظافرها.

مع الوقت، أجبر اثنان من رجال القسم على الاستقالة، فيما تم طرد ثالث، وعندما تبدد الدخان، بقي الملازم جون بالمر صامداً من دون أي شائبة.

فكّر يبلي في اتهام الملازم، لكنه خاف من الشهادة، خاف خصوصاً من عواقب عدم الفوز في المحكمة، الحذر نصحه بالانسحاب.

ابقَ منخفضاً، ابقَ هادئاً، دع الأمور بسيطة، لا تتوقع الكثير، استمتع بما لديك، تحرك قدماً.

المذهل أن التحرك قدماً عنى في النهاية الانتقال للعيش مع بيرل أولسن، أرملة رجل شرطة ووالدة رجل شرطة.
عرضت إنقاذ بيبي من خدمة رعاية الأولاد، وفي لقائهما الأول، عرف فوراً أنها لن تكون أبداً أكثر أو أقل مما تبدو عليه، بالرغم من أنه في الرابعة عشرة من عمره فقط، تعلم أن التناسق بين الحقيقة والمظهر قد يكون أكثر ندرة مما يتخيله أي ولد، وهذه ميزة أمل أن يعززها في نفسه.

الفصل 58

ركن السيارة تحت الأنوار الساطعة لمحطة الشاحنات، خارج المطعم، وتناول بيلى وايلز لوح شوكولاته هيرشي ولوح بسكويت بلانترز، وفكّر في ستيف زيليس.

الأدلة ضد زيليس، بالرغم من كونها ظرفية، تدعم على ما يبدو الشك أكثر من أي شيء آخر استخدمه جون بالمر قبلاً لتبرير بيلى. إلا أنه خشي أن يوجه التهمة إلى رجل بريء، فالعارضات البلاستيكية، والصور الإباحية، والوضع الإجمالي لمنزل زيليس تثبت أنه حقير، وحتى محبول، لكن ما من شيء يثبت أنه قتل أحداً. خيرة بيلى مع بالمر جعلته يبحث عن اليقين.

أمل في التوصل إلى حقيقة واحدة داعمة للقضية، أو حتى إلى شيء رقيق مثل الهلال الصغير الساطع فوق المطعم، رفع بيلى الجريدة التي اشتراها من نابا ولم يكن لديه الوقت لقراءتها، كتب على الصفحة الأولى عن جريمة جيزيل وينسلو.

أمل بجنون في أن يعثر رجال الشرطة على عنق حبة كرز مربوط على شكل عقدة قرب الجثة.

لكن ما لفت نظره في المقال، ما طار أمام عينيه بلمح البصر، هو أنه تم بتر اليد اليسرى لوينسلو، لقد أخذ القاتل معه تذكارات، ليس وجهاً هذه المرة، بل يداً.

لم يذكر لاني هذا، لكن عندما وصل لاني إلى مرأب سيارات المشرب فيما كان بيلى يرفع الورقة الثانية عن الزجاج الأمامي لسيارة

الإكسبلورر، كان قد تم العثور حديثاً على جثة وينسلو، لم يتم إبلاغ مركز الشريف بكل التفاصيل.

تذكر بيلى حتماً الورقة التي تم لصقها على براده قبل سبع عشرة ساعة والتي حفظها في نسخته من كتاب في زماننا، أفادت الرسالة: "سيأتي شريك لي لرؤيتك عند الساعة 11:00. انتظره على المصطبة الأمامية".

في الذاكرة، استطاع أن يرى آخر سطرين من الورقة، التي كانت مربكة جداً آنذاك، لكنها لم تعد هكذا الآن.

تبدو غاضباً جداً، ألم أمدّ لك يد الصداقة؟ بلى، فعلت.

حتى عند قراءة الورقة للمرة الأولى، بدت السخرية والإهانة في هذه العبارة، إنها الآن تسخر منه، تتحداه للقبول أنه خسر خسارة كبيرة.

في مكان ما في منزله، تنتظر اليد المبتورة حتى يتم اكتشافها من قبل الشرطة.

الفصل 59

خرج رجل وامرأة، ثنائي يرتدي كل منهما سروال جينز وقميصاً قطنياً وقبعة بايسبول - كُتب على قبعته بيتر بيلت وعلى قبعتها سيدة الطريق - من المطعم. نظّف الرجل أسنانه بعود أسنان خشبي، فيما تشاءبت المرأة، وبرمت كتفيها، ومددت ذراعيها. من خلف مقود الإكسبلورر، وجد يبلي نفسه يحدّق إلى يديّ المرأة، مفكراً كم هما صغيرتان، وكم يسهل إخفاء واحدة منهما. في العلوية، تحت لوح في الأرضية، وراء الفرن، في الجهة الخلفية لخزانة، في الفراغ تحت إحدى المصطبتين، الأمامية أو الخلفية، في المرآب ربما، أو داخل درج في محترف الخشب، محفوظة في سائل فورمالديهايد أو لا.

إذا تم وضع يد الضحية في منزله، لماذا لا يكون هناك جزء من ضحية أخرى أيضاً؟ ما الذي أخذه القاتل من المرأة الصهباء، وأين وضعه؟

أراد يبلي الذهاب إلى المنزل على الفور، لتفتيش المنزل جيداً من الأعلى إلى الأسفل، قد يحتاج إلى بقية الليل وكل الصباح للعثور على هذه الأدلة الجرمية المرعبة.

وإذا لم يعثر عليها، هل سيمضي بعد الظهر في البحث أيضاً؟ وهل يسعه فعل غير ذلك؟

حين يبدأ التحقيق، سيكون مجرباً، مهووساً بالمتابعة إلى أن يتم اكتشاف الدليل الفظيع.

حسب ساعة يده، إنها الساعة 1:36 بعد منتصف الليل، من صباح الخميس، منتصف الليل القادم بات بعد أقل من اثنتين وعشرين ساعة. آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس.

كان يبلي يعيش على الكافيين والشوكولاته، على الأناسين والفيسودين، إذا أمضى يومه في البحث المجنون عن أجزاء جثة، وإذا لم يتعرف على القاتل أو لم يحصل على أي راحة عند غروب الشمس، سيكون مرهقاً جسدياً وعقلياً وعاطفياً، في تلك الحال، لن يكون حارساً جيداً لباربارة.

لا يجدر به تبديد الوقت في البحث عن اليد.

بالإضافة إلى ذلك، فيما قرأ المقال في الجريدة للمرة الثانية، تذكر شيئاً آخر غير الورقة الملصقة على براده، العارضة البلاستيكية ذات الأيدي الست.

تم تثبيت المعصمين عند طرفي الذراعين، وحملت اليدان سكينين تم غرزهما في الخنجر.

جرى استبدال القدمين بيدين، للإمساك بالقضيب الحديدي بصورة أفضل.

ثمة زوج ثالث من اليدين تم ترهما من عارضة أخرى، نتأت اليدان من ثديي العارضة ذات الأيدي الست كما لو أنه وصف فاحش لكالي. بالرغم من أن العارضات الثلاث الأخرى في تلك الغرفة كشفت عن عدد طبيعي لليدين، فإن تلك التي حملت ست أيدي أوحى بأن زيليس مولع بالأيدي ربما.

في الصور الفوتوغرافية على أغشية أفلام الفيديو الإباحية، كانت أيدي النساء مكبلة في أغلب الأحيان، بأغلال، بحبال، بأساور جلدية مربوطة بإحكام.

حقيقة قطع اليد من جيزيل وينسلو بدت ذات معنى كبير، إن لم تكن مدينة.

بدأ بيلي يصل، يتوسع، لا يملك دليلاً كافياً لإدانة ستيف زيليس بشكل قانوني.

ألم أمد لك يد الصداقة؟ بيلي، فعلت.

مزاح صيبي مقرف، استطاع بيلي رؤية زيليس وهو يتسم ابتسامة متكلفة، استطاع سماعه وهو يقول تلك الكلمات، استطاع سماعه يقولها بذلك الصوت المغرور والمسرحي.

فجأة، بدا أن معظم أعمال زيليس في المشرب تنطوي على استعمال يديه، إنه بارع فيهما بطريقة غير اعتيادية، يتلاعب بحبات الزيتون وأشياء أخرى، يعرف خدع ورق اللعب، وكل الألعاب اليدوية، يستطيع جعل قطعة نقود معدنية تمشي على أصابعه، أو جعلها حتى تختفي، إلا أن أياً من هذا لم يساعد على هُدنة بيلي.

ستصبح الساعة الثانية بعد منتصف الليل بعد قليل، إذا أراد مطاردة زيليس، يفضل فعل ذلك تحت جناح الليل. الضماد السائل على الجرحين في يده تعرض للكثير من المشقات، تشقق عند الحواف وتمزق.

فتح القنينة، ودهن طبقة أخرى فوق الطبقة الأولى، متسائلاً إذا كان هناك من مغزى معين لكون الجرح الثاني عبارة عن مسمار في يده.

إذا طارد زيليس، سيتحدث معه أولاً، لا شيء أكثر، لا شيء أسوأ، فقط حديث جدي، فإذا كان زيليس هو القاتل، يفترض أن يتم طرح الأسئلة بمساعدة مسدس.

طبعاً، إذا تبين أن زيليس مجرد حقير مقرف لكنه ليس قاتلاً، لن يفهم، سينزعج كثيراً، قد يرغب في رفع دعوى على الاعتداء عليه، أو ما شابه.

الطريقة الوحيدة لإبقائه هادئاً تقضي بإخافته، ولن يخاف على الأرحح إلا إذا ألحق به ببلي ما يكفي من الأذى للفت انتباهه وإلا إذا اعتقد أنه سيتعرض لأذى أكبر سيتصل بالشرطة.

قبل أن يطارد زيليس، عليه أن يتأكد من أنه يملك القدرة على الاعتداء على رجل بريء ومعاملته بوحشية لإبقائه صامتاً. ثنى يده اليسرى المتصلبة قليلاً وفتحها، ثناها وفتحها.

إنه خيار غير مفروض عليه تماماً: يستطيع وضع نفسه في موقع يتيح له إيذاء رجل بريء وترهيبه؛ أو التأجيل والتفكير والانتظار حتى تتكشف الأحداث، وبالتالي تعريض باربارة لخطر أكبر. الخيار خيارك.

لطالما كان كذلك، وسيبقى دوماً كذلك، التصرف أو عدم التصرف، الانتظار أو الانطلاق، إغلاق باب أو فتح آخر، الانسحاب من الحياة أو الدخول إليها.

لا يملك وقتاً أو أياماً لتحليل الوضع، على كل حال، سيتوه في التحليل.

بحث عن الحكمة التي تعلمها من خلال التجربة القاسية لتطبيقها في هكذا وضع، لكنه لم يعثر على أي شيء، الحكمة الوحيدة هي حكمة التواضع.

في النهاية، يستطيع اتخاذ قراره استناداً إلى نقاوة حافزه لا أكثر، وحتى الحقيقة الكاملة للحافز قد لا تكون معروفة. شغل المحرك، ابتعد عن محطة الشاحنات.

لم يستطع إيجاد القمر، ذلك الهلال الفضي الصغير، لا بد أنه وراءه.

الفصل 60

عند الساعة 2:09 دقائق، ركن بيلى السيارة في شارع سكاني هادئ، على مسافة مبنيين ونصف المبنى من منزل ستيف زيليس.

تدلت الأطراف السفلية لأكاليل هندية تحت مصابيح الشوارع، وعبر الأرصفة المضاءة بمصابيح صفراء، تلالأت ظلال الأوراق مثل كنز من النقود المعدنية السوداء.

مشى من دون استعجال، كما لو أنه مصاب دائم بالأرق، اعتاد على التجول خلال هذه الساعات الليلية. كانت نوافذ المنازل مظلمة، ومصابيح المصطبات مطفاة، ما من سيارات مارّة.

إلا أن الأرض عكست الآن الكثير من الحرارة المخزنة من النهار، لم يكن الليل حاراً ولا بارداً.

ربط كيس الخبز المفتول حول حزامه، فتدلى الكيس المغطى بفضة مطبخ، على جانبه الأيسر. توجد فيه أغلال يدوية، وقنينة رذاذ مايس الكيمايائية، ومسدس.

تدلى من حزامه على وركه الأيمن قراب ويلسون كومبات، وضع فيه المسدس المحشو بالخراطيش.

سحب قميصه القطني من تحت سروال الجينز، لجعله فضفاضاً، فأضفى القميص القطني المسدس نوعاً ما، من مسافة تتعدى بضعة أقدام، في الليل، لن يتعرف أحد إلى شكل السلاح تحت القميص.

عندما وصل إلى منزل زيليس، انعطف من الرصيف نحو المشى
ثم سار قرب جدار أشجار الأكالبتوس خلف المرأب.
في الجهة الأمامية، كان المنزل مظلماً وراء الستائر المسدلة، لكن
الأضواء سطعت برفق من بعض النوافذ الخلفية؛ غرفة نوم زيليس،
حمامه.

وقف يبلي في الفناء الخلفي، متأملاً المنزل، منتبهاً إلى كل شيء
في الليل، جعل عينيه تسيان مصابيح الشوارع للتكيف بصورة أفضل
مع الظلمة.

أدخل قميصه القطني تحت سروال الجينز مرة جديدة، للنفاذ
بسهولة أكبر إلى المسدس الموضوع في القراب.

أخرج من جيبه زوجاً من قفازات اللاتكس، ووضعه في يديه.
المنطقة المجاورة هادئة، المنازل غير بعيدة كثيراً عن بعضها، عليه
توخى الحذر بشأن الضجة حين يدخل، سيُسمع الصراخ، تماماً مثل
صوت الرصاص غير المحمد بوسادة.

ترك الفناء، ووصل إلى المصطبة المسقوفة، حيث يوجد كرسي
واحد من الألمنيوم، لا طاولة، لا منقل للشواء، لا نباتات مزروعة.
عبر الألواح في الباب الخلفي، استطاع رؤية المطبخ مضاء بساعتين
رقميتين، واحدة على الفرن وواحدة على المايكرووايف.

أرخى كيس الخبز عن حزامه، وسحب منه قنينة رذاذ مايس،
خففت فوطة المطبخ من صوت صليل الأغلال، برم طرف الكيس
وعقده مجدداً حول حزامه.

خلال زيارته الأولى، سرق مفتاحاً احتياطياً من درج المطبخ،
أدخل المفتاح بجذره، وبرمه ببطء، خشي أن يصدر القفل ضجيجاً
وينتقل ذلك الصوت في المنزل الصغير.

فتح الباب بسهولة، همست المفصلات بالصدأ لكنها لم تصدر صوت صرير.

دخل المنزل، وأغلق الباب وراءه.

لدقيقة، لم يتحرك، باتت عيناه متكيفتين جيداً مع الظلمة، لكنه لا يزال بحاجة إلى توجيه نفسه.

خفق قلبه بقوة، عزا ذلك جزئياً ربما إلى أقراص الكافيين.

فيما عبر المطبخ، صرّ النعل المطاطي لحذائه الرياضي على أرضية الفينيل، جفل لكنه تابع طريقه.

كانت غرفة الجلوس مكسوة بسجادة، تقدم خطوتين صامتتين قبل أن يتوقف مجدداً لتوجيه نفسه.

افتقاد منزل زيليس إلى المفروشات كان نعمة، فلا توجد عوائق للقلق بشأنها في الظلمة.

سمع بيلسي أصواتاً خفيفة، فأصغى بحذر، لم يستطع أن يفهم ما تقوله الأصوات.

توقع أن يجد زيليس وحده، ولذلك فكر في الانسحاب، لكن عليه معرفة المزيد.

ثمة نور خفيف أضاء مدخل الردهة المؤدية من غرفة الجلوس إلى غرفتي النوم والحمام، ضوء السقف مطفأ، لكن ضوءاً خفيفاً دخل الطرف البعيد من الأبواب المفتوحة للغرفتين الأخيرتين.

تواجه هاتان الغرفتان بعضهما عند الردهة، تذكر بيلسي أن الغرفة التي إلى اليسار هي الحمام، فيما غرفة نوم زيليس إلى اليمين.

بالحكيم على النبرة، وليس على المحتوى، ظن أنه سمع صوتين؛ صوت رجل وصوت امرأة.

أمسك بقنينة رذاذ مايس في يده اليمنى ووضع الإبهام تحت الزناد.

شعر بفطرته أنه يجدر به استبدال قنينة مايس بالمسدس. لكن لا يمكن الوثوق في الفطرة أكثر من المنطق.

إذا باشر بإطلاق النار على زيليس، لن يصل إلى أي مكان، عليه تعطيله أولاً، وليس جرحه، تحرك عبر الردهة، ومرّ أمام الغرفة التي جلست فيها المعارضات البلاستيكية.

كلما استطاع سماع الصوتين بصورة أفضل، تحسنت نوعيتهما أيضاً، إنهما ممثلان يؤديان دوراً سيئاً، أوحى نوعية الصوت الرديئة أن الصوتين صادران عبر مذياع تلفاز رخيص.

بكت المرأة فجأة بسبب ألم، وإنما أيضاً بطريقة مثيرة، كما لو أن ألمها هو متعة أيضاً.

كاد يبلي يصل إلى نهاية المعرجين حين غادر ستيف زيليس الحمام، إلى اليسار.

حافي القدمين، عاري الصدر، مرتدياً سروال بيجاما، كان يفرك أسنانه بفرشاة، مستعجلاً لرؤية ماذا يعرض على التلفاز في غرفة النوم.

اتسعت عيناه حين لمح يبلي، تحدث عبر فرشاة الأسنان: "ماذا تف..."

رش يبلي رذاذ مايس عليه.

رذاذ مايس الخاص بالشرطة فعال جداً لمسافة عشرين قدماً، بالرغم من أن مسافة الخمس عشرة قدماً تعتبر مثالية، وقف ستيف زيليس على مسافة سبع أقدام من يبلي.

رذاذ المايس المنتشر في الفم والأنف يجمع نوعاً ما المعتدي، يمكنك إيقافه بقوة وسرعة فقط في حال رش الرذاذ على عينيه.

تدفق رذاذ مايس على كلتا العينين، مباشرة، ودخل أيضاً في منخريه.

أقلت زيليس فرشاة الأسنان، وغطى عينيه بيديه، في وقت متأخر جداً، واستدار بعيداً عن بيلي، ارتطم بطرف الردهة، أصدر صوت أنين، وانحنى إلى الأمام، وتمدد، وأخرج رغوّة معجون الأسنان من فمه كما لو أنه كلب مسعور.

كان الحريق في عينيه شديداً، اتسع بؤبؤيه بقوة لكنه رأى فقط إشراقاً مشوشاً، ولم يتعرف حتى إلى شكل المعتدي عليه، ولا حتى إلى ظله، احترقت حنجرته أيضاً بالمادة الكيميائية التي دخلت عبر أنفه، وحاولت رثناه رفض كل نَفَس كرهه استنشقه.

انخفض بيلي صوبه، ووضع أحد الأغلال حول ساق البيجاما، وأخرج القدم اليسرى للرجل من تحته.

تمدد في الهواء بحثاً عن جدار، أو فتحة باب، أو أي شيء يمكن أن يوفر الدعم، ولم يجد أي شيء، فسقط زيليس بقوة كافية بحيث ارتجت الأرضية الخشبية.

بين الشهيق والزفير، بين نوبات الاحتناق، صرخ من عينيه، من الألم، من الوخز الساطع.

سحب بيلي مسدس عيار 9 ملم، وضربه على جانب رأسه بالأسطوانة، بقوة كافية للإيذاء.

صرخ زيليس فقال بيلي: "اهدأ وإلا ضربتك مجدداً، بقوة أكبر". عندما شتمه زيليس، ضربه بيلي بالمسدس مرة جديدة، ليس بقوة مثلما وعد، وإنما كان ذلك كافياً لإيصال الفكرة.

قال بيلي: "حسناً. حسناً. لن ترى جيداً لمدة عشرين دقيقة، نصف ساعة..."

استمر زيليس في الشهيق بسرعة، والزفير بسرعة، فقاطع بيلي قائلاً: "الله، أنا أعمى، أنا..."

"إنه فقط رذاذ مايس".

"هل أنت مجنون؟".

"مايس، لا يوجد ضرر دائم".

أصرّ زيليس: "أنا أعمى".

"ابق هنا".

"أنا أعمى".

"لست أعمى، لا تتحرك".

"اللعنة، هذا مؤلم".

خرج سيل من الدم من فروة رأس زيليس، لم يضربه بيلي بقوة كبيرة، لكن البشرة انخدشت.

قال بيلي: "لا تتحرك، أصغ إليّ، تعاون معي لنتهي من ذلك، سيكون كل شيء على ما يرام".

أدرك أنه يواجه زيليس كما لو أن براءة الرجل هي استنتاج سابق.

حتى الآن، بدا أن هناك طريقة لفعل ذلك، طريقة لفعل ذلك حتى لو تبين أن ستيف زيليس ليس القاتل، والخروج بأقل أضرار ممكنة.

لكن في خياله، لم يكن اللقاء الأول بينهما عنيفاً جداً، رشة مايس، أصبح زيليس فجأة معطلاً، مطيعاً، خطة سهلة جداً.

بالكاد بدأ، وبدا الوضع خارجاً عن السيطرة.

حاول بيلي بشدة أن يبدو واثقاً من نفسه فقال: "لا تريد أن تتأذى، استلقِ إذاً هناك وأنا أقول لك ماذا تفعل".

شهق زيليس.

سأل بيلي: "هل تسمعي؟".

"اللعنة، نعم، وكيف لا أسمعك؟".

"هل تفهمني؟".

"أنا أعمى ولست أصم".

دخل بيلي الحمام، وأوقف الماء الجاري من الصنبور، ونظر حوله.
لم يرَ ما هو بحاجة إليه، لكنه رأى شيئاً لا يريد رؤيته: انعكاسه
في المرآة، لقد توقع أن يبدو مسعوراً، أو حتى خطيراً، وهكذا كان،
توقع أن يبدو مخيفاً، وهكذا كان، لكنه لم يتوقع أن يرى الشر فيه،
لكنه هكذا كان.

الفصل 61

على شاشة التلفاز في غرفة النوم، ثم رجل عارٍ يضع قناعاً أسود ويضرب ثديي امرأة بمجموعة أسواط جلدية.

أطفاً بيلى التلفاز: "كنت أفكر كيف تتعاطى مع حبات الليمون التي تقطعها إلى شرائح للمشروبات، وأريد التقيؤ".

استلقتى زيليس عاجزاً في الردهة وراء الباب المفتوح، فلم يسمع بيلى أو تظاهر بأنه لم يسمعه.

لا يملك السرير لوحة رأسية أو لوحة للقدمين، الفراش وضع على إطار معدني بعجلات.

بما أن زيليس لا يهتم بالأناقة المتمثلة بالشراشف والكشاكش، كان إطار السرير مكشوفاً.

أخرج بيلى الأغلال اليدوية من كيس الخبز. وضع أحد الأساور حول الدرايزون السفلي لإطار السرير.

قال: "انهض على يديك وركبتيك، وازحف في اتجاه صوتي".

بقي زيليس على أرضية الردهة، وكان يتنفس بسهولة وإنما بصوت مرتفع، سقط بقوة على السجادة، أدت دموعه المنسابة إلى نقل رذاذ مايس إلى شفتيه، ودخل الطعم المرّ إلى فمه.

ذهب بيلى إليه، وضغط بفوهة المسدس على أسفل عنقه.

أصبح زيليس ساكناً جداً، وزفر بنعومة.

قال بيلى: "هل تعرف ما هذا؟".

"يا رجل".

"أريدك أن تزحف إلى غرفة النوم".
"اللعة".

"أقصد ذلك فعلاً".
"حسناً".

"عند أسفل السرير".

بالرغم من أن الضوء الوحيد في الغرفة كان منبعثاً من مصباح خافت قرب السرير، أغمض زيليس عينيه نصف إغماضة لإبعاد الضوء الساطع عنه فيما زحف إلى السرير.

توجب على بيلي إرشاده إلى الطريق مرتين. قال له: "اجلس على الأرض، واسند ظهرك عند أسفل السرير، هذا جيد، بيدك اليسرى، تحسس قربك، ثم مجموعة من الأغلال اليدوية متدلّية من درابزون السرير، ها هي".

دمعت عينا زيليس كثيراً، ملأ السائل منخريه. "لا تفعل بي ذلك أيها الرجل. لماذا؟ ما هذا؟".

"دع معصمك الأيسر في السوار الفارغ".

قال زيليس: "لا أحب ذلك".

"لست مجبراً على ذلك".

"ماذا ستفعل بي؟".

"ضع السوار الآن".

بعدما تحسس زيليس السوار، انحنى بيلي للتأكد من القفل المزدوج، الذي كان آمناً، لا يزال زيليس عاجزاً عن الرؤية كما يجب للاندفاع بقوة أو لفعل شيء ما.

يستطيع ستيف جرّ السرير حول الغرفة إذا أراد، يستطيع قلبه رأساً على عقب مع بعض الجهد، وقلب الفراش، وفك الإطار المعدني

بصبر إلى أن يتمكن من تحرير نفسه من الأغلال. لكنه لا يستطيع التحرك بسرعة.

بدأت السجادة متسخة، لن يجلس بيلى أو ير كع عليها. ذهب إلى غرفة الطعام وراء المطبخ وعاد مع الكرسي الوحيد الموجود في المنزل، وضعه أمام زيليس، بعيداً عن متناوله، وجلس عليه. "بيلى، أنا أموت هنا".

"لن تموت".

"أنا خائف بشأن عيني، لا أزال عاجزاً عن الرؤية".

"أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة".

"أسئلة؟ هل أنت مجنون؟".

اعترف بيلى: "أشعر أنني كذلك تقريباً".

سعل زيليس، تحول السعال إلى نوبة متسلسلة، ومن ثم إلى اختناق مخيف، لم يكن يتظاهر بأي من ذلك. انتظر بيلى.

حين استطاع زيليس التكلم، كان صوته خشناً، ومرتجفاً: "أنت تخيفني كثيراً بيلى".

"جيد، أريدك الآن أن تخبرني أين تضع مسدسك".

"مسدس؟ ولماذا أحتاج إلى مسدس؟".

"المسدس الذي قتلته به".

"قتلته؟ قتلت من؟ لم أقتل أحداً، الله، بيلى".

"قتلته في جبينه".

"لا. أبداً، ليس أنا أيها الرجل". غرقت عيناه بالدموع الناجمة عن رذاذ مايس، بحيث لم تظهر خيبة الأمل فيهما، غمز وغمز، محاولاً الرؤية. "أيها الرجل، إذا كنت تمزح معي...".

قال بيبي: "أنت الجوكر، وليس أنا، أنت المؤدي".
لم يتفاعل زيليس مع الكلمة.
ذهب بيبي إلى المنضدة الليلية وفتح الدرج.
سأل زيليس: "ماذا تفعل؟".
"أبحث عن المسدس".
"لا يوجد مسدس".
"لم يكن هناك واحد قبلاً، عندما لم تكن هنا، لكن يوجد واحد الآن. تبقية قريباً منك".
"جئت إلى هنا قبلاً؟".
"أنت منغمس في كل أنواع القذارة، أليس كذلك ستيف؟ أريد أن أستحم بالماء المغلي بعدما أغادر".
فتح بيبي الخزانة في أسفل المنضدة الليلية، وبعثر الأغراض فيها.
"ماذا ستفعل إذا لم تعثر على مسدس؟".
"قد أستمّر يدك بالأرض، وأقطع أصابعك الواحد تلو الآخر".
بدا زيليس كما لو أنه على وشك البكاء فعلاً. "أوه، يا رجل، لا تقل أشياء مجنونة كهذه، ماذا فعلت لك؟ لم أفعل أي شيء لك".
أبقى بيبي باب الخزانة مفتوحاً وقال: "عندما كنت في منزلي، ستيف، أين وضعت اليد المبتورة؟".
أطلق زيليس صرخة، وبدأ يهزّ رأسه ويقول: "لا، لا، لا، لا".
رف الخزانة فوق الملابس المعلقة كان مباشرة على مستوى العينين. فيما تحسس بيبي الرف بحثاً عن المسدس، قال: "ماذا خبأت أيضاً في منزلي؟ ماذا قطعت من المرأة الصهباء؟ أذن؟ ثدي؟".
قال زيليس وهو يرتجف: "لا أفهم شيئاً".
"حقاً؟".

"أنت بيلى وايلز! بالله عليك".

عاد إلى السرير، بحثاً عن المسدس، فتحسس بيلى المساحة الفاصلة بين الفراش وقاعدة السرير، وما كان ليجرؤ على فعل ذلك لو لم يضع القفاز.

كرر زيليس: "أنت بيلى وايلز!".

"ما يعني ماذا؛ هل تظن أنني لا أعرف كيف أهتم بنفسى؟".

"لم أفعل أي شيء، بيلى، أي شيء".

ذهب بيلى إلى الجهة الأخرى من السرير، وقال: "حسناً، أعرف كيف أهتم بنفسى، حسناً، حتى لو كنت لا أعرف كيف أرن الجرس".
تعرف زيليس إلى كلماته وقال: "لم أكن أقصد أي شيء بذلك، هل اعتبرها إهانة؟ لم أكن أقصد ذلك على كل حال".

بحث بيلى بين الفراش وقاعدة السرير مجدداً، لا شيء.

"أقول أشياء، بيلى، تعرف كيف أنا، أنا أمزح دوماً، أنت تعرفني، اللعنة، بيلى، أنا أحمق، تعرف أنني أحمق، أتحدث طوال الوقت، ولا أصغي نصف الوقت إلى نفسى".

عاد بيلى إلى الكرسي وجلس مجدداً. "هل يمكنك أن تراني بصورة أفضل ستيفي؟".

"ليس كثيراً، لا، أحتاج إلى بعض المناديل".

"استخدم شرشف السرير".

بيده الطليقة، أفلت زيليس الشرشف الرقيق الذي كان مقحماً تحت الفراش، حرر زاوية من الشرشف، ومسح وجهه بها، ونظف أنفه.

قال بيلى: "هل تملك فأساً؟".

"أوه، يا الله".

"هل تملك فأساً، ستيفي؟".
"لا".

"كن صادقاً معي ستيفي".
"بيلي، لا".

"هل تملك فأساً؟".
"لا تفعل هذا".

"هل تملك فأساً ستيفي؟".

"نعم" اعترف زيليس، وخرجت منه صرخة خوف.

قال بيلي: "إما أنت ممثل محترف أو أنك بالفعل أحمق حقير ستيف
زيليس"، وبدأ الاحتمال الثاني يقلقه فعلاً.

الفصل 62

سأل بيلى: "عندما تقطع العارضات البلاستيكية في الفناء الخلفي، هل تحلم أنها نساء حقيقيات؟".

"إنها مجرد عارضات بلاستيكية".

"هل تحب فرم البطيخ لأنه أحمر من الداخل؟ هل تحب رؤية اللب الأحمر وهو يتطاير، ستيفي؟".

بدا زيليس مذهولاً. "ماذا؟ هل أخبرتك عن هذا؟ ماذا أخبرتك؟".

"من تقصد بهي ستيفي؟".

"الحقيرة العجوز المجاورة لي، سيليا رينولدز".

قال بيلى: "لست في موقع للقول عن أي كان إنها حقيرة عجوز، لست في موقع على الإطلاق".

بدا زيليس معاقباً. أوماً برأسه. "أنت محق، أنا أسف؟ إنها فقط وحيدة، أعرف، ولكن، بيلى، إنها امرأة عجوز مزعجة، لا تستطيع الاهتمام بشأها وحسب، إنها تقف دوماً على النوافذ، تراقب من وراء الستائر، لا يمكنك الخروج إلى الفناء، إلا وتراقبك".

"هناك الكثير من الأمور التي تفعلها والتي لا تريد أن يراها الناس، أليس كذلك، ستيفي؟".

"لا. لا أفعل أي شيء، أريد فقط بعض الخصوصية، لذا، قدّمت لها مرتين استعراضاً بالفأس، فعلت أشياء مجنونة، فقط لإخافتها".

"إخافتها".

"فقط لجعلها تهتم بشؤونها، فعلت ذلك ثلاث مرات فقط، وفي المرة الثالثة جعلتها تعرف أنه استعراض، جعلتها تعرف أنني أراها تراقبني".

"كيف جعلتها تعرف؟".

"لست فخوراً بذلك الآن".

"أنا واثق أن هناك الكثير من الأمور التي لست فخوراً بها، ستيفي".

قال زيليس: "وجهت لها الإصبع، في المرة الثالثة، قطعت عارضة بلاستيكية ورأس بطيخ - علماً أنني لا أتخيلهما أي شيء سوى حقيقتهما - وذهبت إلى السياج، ووجهت لها الإصبع".

"قطعت كرسيًا ذات مرة".

"نعم. قطعت كرسيًا. ما المشكلة؟".

"الكرسي الذي أجلس عليه الآن هو الكرسي الوحيد الذي تملكه".

"كنت أملك كرسيين، أحتاج فقط إلى واحد، كان مجرد كرسي".

* * *

قال بيلي: "تحب رؤية النساء متألمات".

"لا".

"هل وجدت هذه الليلة بالصدفة الأفلام الإباحية تحت السرير؟ هل جاء شخص ما بالصدفة لوضع الأفلام هناك، ستيفي؟ هل يجدر بنا الاتصال بأوركين، والطلب منهم لإرسال فرقة للقضاء على شخص ما؟".

"لسن نساء حقيقيات".

"لسن عارضات".

"أقصد أنهن لا يتألن فعلاً، إنهن يمثلن".

"لكنك تحب المشاهدة".

لم يقل بيلى أي شيء، أخفض رأسه.

بطريقة ما، كان الأمر أسهل مما توقع بيلى، ظن أن طرح أسئلة مزعجة والإصغاء إلى شخص آخر يبر نفسه سيكون مزعجاً جداً بحيث لن يتحمل إجراء استجواب مثمر، إلا أنه أحس بدل ذلك بالقوة التي استمد منها الثقة بالنفس، والرضى، السهولة فاجأته، السهولة أخافته.

"إنها أفلام مزعجة جداً، ستيفي، إنها مقرفة جداً".

قال زيليس بهدوء: "نعم، صحيح، أعرف".

"هل مثلت يوماً ما أفلاماً من هذا النوع وأذيت النساء بهذه الطريقة؟".

"لا، يا الله، لا".

"أنت تمس ستيفي".

رفع ذقنه عن صدره، لكنه لم ينظر إلى بيلى. "لم أؤذ أبداً امرأة بهذه الطريقة".

"أبداً؟ ألم تؤذ أبداً امرأة بهذه الطريقة؟".

"لا، أقسم".

"كيف أذيتهن إذاً ستيفي؟".

"لم أؤذ أحداً، لا أستطيع".

"أنت ولد بريء، أليس كذلك؟".

"أحب... مشاهدتهن".

"مشاهدة النساء وهن يتألن".

"أحب المشاهدة، اتفقنا؟ لكنني أشعر بالخجل".

"لا أظن أنك حجل على الإطلاق".
"بلى، أشعر بالحجل، ليس خلال حضور الفيلم، وإنما بعد".
"بعد ماذا؟".
"بعد... المشاهدة. ليس هذا... أوه، أيها الرجل، ليس هذا ما
أريد أن أكونه".
"ومن تريد أن تكون ستيفي؟".
"لا أعرف".
"سم لي شخصاً، شخصاً تريد أن تكونه".
قال زيليس: "لا أحد ربما".
أصرّ بيلي: "كيف أنت حجل؟".
"رسمت أفلام الفيديو، في العديد من المرات، حتى إنني أتلفتها،
لكن بعدها، تعرف... بعدها، اشتري أفلاماً جديدة. أحتاج إلى
المساعدة للتوقف".
"هل بحثت يوماً عن المساعدة، ستيفي؟".
لم يجب زيليس.
ألح بيلي: "هل بحثت يوماً عن المساعدة؟".
"لا".
"إذا كنت تريد فعلاً أن تتوقف، لماذا لم تطلب المساعدة؟".
"ظننت أنني أستطيع التوقف وحدي، ظننت أنني أستطيع".
بدأ زيليس ييكي، لا تزال عيناه تلمعان من رذاذ ميس، لكن هذه
الدموع كانت حقيقية.

* * *

"لماذا فعلت هذه الأشياء بالعارضات في الغرفة الأخرى، ستيفي؟".

"لن تفهم".
"نعم، أنا مجرد الأحمق بيلي وايلز، الذي لا يعرف أي شيء، لكن جربني على كل حال".
"لا يعني ذلك أي شيء، ما فعلته بها".
"لشيء لا يعني أي شيء، خصصت حتماً الكثير من الوقت والطاقة له".
"لن أتحدث عن ذلك، ليس هذا، لن أفعل". لم يكن يرفض بقدر ما كان يتوسل.
"هل يجعلك ذلك تتورد خجلاً، ستيفي؟ هل يهين أحاسيسك الرقيقة؟".
راح زيليس يبكي باستمرار، لا بكاء متقطعاً، بل سيلاً متواصلاً من دموع الذل والخجل.
قال: "فعل ذلك ليس مماثلاً للتحدث عنه".
أوضح بيلي: "تقصد ما تفعله بالعارضات البلاستيكية".
"يمكنك... يمكنك تفجير دماغي، لكنني لن أتحدث عن الموضوع، لن أفعل".
"حين تشوه العارضات البلاستيكية، هل تشعر بالإثارة ستيفي؟ هل تكون مشبعاً بالإثارة؟".
هزّ بيلي رأسه، وأخفضه.
سأل بيلي: "هل تقصد أن فعل ذلك هما والتحدث عن الموضوع هما أمران مختلفان؟".
"بيلي، بيلي، أرجوك. لا أريد أن أسمع نفسي أتحدث عن الموضوع".
"لأنه حين تفعل ذلك، يكون مجرد شيء تفعله. لكن إذا تحدثت عنه، يكون شيئاً من حقيقتك".

تعابير زيليس أكدت أن بيلي فهم المسألة جيداً. لا يمكن كسب الكثير من الاعتداء على العارضات البلاستيكية، إنها ما هي عليه، يمكن لفرك وجه ستيف زيليس في الانحراف أن يفضي إلى عكس النتيجة المرجوة.

لم يحصل بيلي بعد على ما يحتاج إليه، ما جاء به إلى هنا لإثباته. شعر فوراً بالتعب واليقظة، بالحاجة إلى النوم وإنما بتوق إلى الكافيين، في بعض الأحيان، آلمته يده المثقوبة، بدأ مفعول الفيسودين يختفي.

بسبب الإرهاق المترافق مع تأثير المواد الكيميائية، قد لا يجري الاستجواب بذكاء كاف.

إذا كان زيليس هو القاتل، يكون عبقرياً في التمثيل العاطفي. لكن هذه هي حال المرضى الاجتماعيين: عنكب مفترسة مع موهبة فريدة في إعطاء صورة مقنعة لكائن بشري معقد تحجب الحقيقة المقرفة للنية الشريرة.

قال بيلي: "حين تفعل ما تفعله بالعارضات البلاستيكية، حين تشاهد أفلام الفيديو المقرفة تلك، هل تفكر في جوديث كيسلمان؟". خلال هذا اللقاء، تفاجأ زيليس أكثر من مرة، لكن هذا السؤال صدمه، اتسعت عيناه الحمراوان نتيجة تأثير رذاذ المايس، أصبح وجهه شاحباً، كما لو أنه تلقى ضربة.

الفصل 63

كان زيليس مقيداً بالسرير، جلس يبلي حراً على الكرسي وإنما أحسنّ أكثر فأكثر أنه عالق في شرك مرواغة سجينه.
"ستيفي، طرحت عليك سؤالاً".
"ما هذا؟" قال زيليس بجدية ظاهرية وحتى بشيء من التحدي المحق.

"ماذا، ماذا؟".

"ماذا جئت تفعل هنا؟ يبلي، أنا لا أفهم ماذا تفعل هنا".

"أصرّ يبلي: "هل تفكر في جوديث كيسلمان؟".

"كيف تعرف عنها؟".

"كيف تظن أنني أعرف؟".

"تجيب عن الأسئلة بأسئلة، لكن يفترض بي أن أملك أجوبة حقيقية لكل شيء".

"مسكين ستيفي، ماذا عن جودي كيسلمان؟".

"حصل شيء لها".

"ماذا حصل لها ستيفي؟".

"حصل ذلك في الجامعة، قبل خمسة أعوام أو خمسة أعوام ونصف".

"هل تعرف ماذا حصل لها ستيفي؟".

"لا أحد يعرف".

قال يبلي: "لكن أحداً يعرف".

"لقد اختفت".

"كما في استعراض العاب الخفة؟".

"لقد اختفت".

"كانت فتاة رائعة، أليس كذلك؟".

قال زيليس: "أحبها الجميع".

"إنها فتاة رائعة، بريئة جداً، الأبرياء هم الأكثر لذة، أليس كذلك ستيفي؟".

قَطَّبَ زيليس وجهه وقال: "لذة؟".

قال بيلي: "الأبرياء هم الأكثر نضارة والأكثر إرضاء، أعرف ما حصل لها"، وأراد الإيحاء بأنه يعرف أن زيليس خطفها وقتلها.

ارتعد ستيف زيليس في كل جسمه لدرجة أن الأغلال طقطقت بقوة على إطار السرير المعدني.

سُرَّ بيلي بردّ الفعل وقال: "أعرف، ستيفي".

"ماذا؟ ماذا تعرف؟".

"كل شيء".

"ما حصل لها؟".

"نعم، كل شيء".

كان زيليس جالساً وظهره على السرير، فيما تمددت ساقاه على الأرض أمامه، سحب الآن فجأة ركبتيه إلى صدره. "أوه يا الله". صدر منه صوت أنين يأس واضح.

قال بيلي: "بالضبط كل شيء".

ارتحنى فم زيليس، وأصبح صوته مرتعداً. "لا تؤذني".

"ماذا تظن أنني سأفعل بك ستيفي؟".

"لا أعرف، لا أريد التفكير".

"تملك الكثير من الخيال، الكثير من الموهبة في ما يتعلق بابتكار الطرائق لإيذاء النساء، لكنك فجأة لا تريد التفكير؟".

بات زيليس يرتجف الآن بشكل مستمر وقال: "ماذا تريد مني؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟".

"أريد التحدث عما حصل لجوديث كيسلمان".
عندما بدأ زيليس يبكي مثل ولد صغير، هُض يبلي عن الكرسي، أحس أن شيئاً مهماً سيحصل.
"ستيفي؟".

"أذهب بعيداً".
"تعرف أنني لن أذهب، دعنا نتحدث عن جودي كيسلمان".
"لا أريد ذلك".

"أظن أنك تريد". لم يقترب يبلي من زيليس، وإنما جلس القرفصاء أمامه بحيث أصبح تقريباً على مستواه. "أظن أنك تريد كثيراً التحدث عن الموضوع".

هزّ يبلي رأسه بعنف. "لا أريد، لا أريد، إذا تحدثنا عن الأمر، ستقتلني حتماً".

"لماذا تقول هذا ستيفي؟".

"أنت تعرف".

"لماذا تقول إنني سأقتلك؟".

"لأنني أعرف الكثير، أليس كذلك؟".

حدّق يبلي إلى سجينه، محاولاً قراءته.

"أنت فعلتها"، قال زيليس بزمجرة.

"فعلت ماذا؟".

"قتلتها، ولا أعرف لماذا، لا أفهم، لكنك الآن ستقتلني".

أخذ يبلي نفساً عميقاً، وكثّر في وجهه. "ماذا فعلت؟".
اكتفى زيليس بالبكاء.
"ستيفي، ماذا فعلت بنفسك؟".
سحب زيليس ركبته إلى صدره، مدد الآن ساقيه مجدداً.
"ستيفي؟".
كان سروال بيجاما الرجل داكناً بالبول، لقد بال في ثيابه.

الفصل 64

بعض الوحوش مرضى أكثر مما هم مجرمون، ملاذهم ليس ملاذاً بالمعنى الحقيقي للكلمة لأنهم لا يمكنون فيه، يجبتون في جحور قدرة، مع عدد ضئيل من المفروشات وأغراض تجسد افتقارهم إلى حس الجمال، يأملون فقط في الانغماس في أوهامهم المريضة وإطلاق العنان لحياتهم الوحشية بأكبر سلام يستطيعون العثور عليه، وهذا أمر نادر جداً، لأنهم يعذبون أنفسهم حتى عندما يتركهم بقية العالم وحدهم.

قاوم بيلى الاستنتاج أن ستيف زيليس هو واحد من هذه السلالة المريضة.

للاعتراف أن زيليس ليس مريضاً اجتماعياً مهروساً بالقتل، يجدر بيلى القبول أنه تم تبديد الكثير من الوقت الثمين في البحث عن ذئب، يفترض أن يكون مفترساً لكن تبين أنه مجرد كلب جبان.

الأسوأ من ذلك أنه إذا لم يكن زيليس القاتل، لا يعرف بيلى أبداً ماذا سيفعل بعد ذلك، بدت كل الأدلة متجهة نحو استنتاج واحد، الأدلة الظرفية.

الأسوأ من كل شيء، إذا لم يكن القاتل أمامه الآن، يكون قد وصل إلى هذه الوحشية من دون فائدة.

نتيجة ذلك، استمر لبرهة في استجواب أسيره ومضايقته، لكن بدا فجأة أن النقاش بينهما ليس نقاشاً بقدر ما هو قمع، لا يجد مصارع الثيران أي متعة عندما يخسر الثور روح المهجوم ولا ينقض على الراية الحمراء.

أخفى بيلى سريعاً بأسه المتزايد، وجلس على الكرسي مرة جديدة، وتطرق إلى المسألة الأخيرة، على أمل أن يظهر فخ في الوقت الذي لا يتوقعه.

"أين كنت الليلة، ستيف؟".

"تعرف، ألا تعرف؟ كنت في المشرب، أعمل مكانك".

"حتى التاسعة مساءً، قال جاكبي إنك عملت بين الثالثة والتاسعة

لأنه توجب عليك إنجاز أمور قبل ذلك وبعده".

"صحيح، كان لديّ عمل".

"أين كنت بين التاسعة مساءً ومنتصف الليل؟".

"ولماذا يهم ذلك؟".

طمأنه بيلى: "هذا يهم، أين كنت؟".

"ستؤذيني... ستقتلني على كل حال".

"لن أقتلك، ولم أقتل جوديث كيسلمان، أنا واثق تماماً من أنك

أنت من قتلها".

"أنا؟". بدا ذهوله صادقاً مثل أي ردّ فعل آخر كشف عنه منذ أن

بدأ ذلك.

أخبره بيلى: "أنت بارع فعلاً في ذلك".

"بارع في ماذا؟ قتل الناس؟ أنت مجنون حقيقي! لم أقتل أبداً أيّاً

كان".

"ستيف، إذا استطعت إقناعي بعذر قوي يبرر غيابك بين التاسعة

مساءً ومنتصف الليل، ينتهي كل شيء، أخرج من هنا، وتصبح حراً".

بدا زيليس مشككاً. "بهذه السهولة؟".

"نعم".

"بعد كل ذلك؛ بهذه السهولة؟".

"يمكن، حسب العذر المبرر".

قلق زيليس بشأن جوابه.

بدأ بيلى يظن أنه يحاول استنباطه.

ثم قال زيليس: "ماذا لو أخبرتك أين كنت، وتبين أنه لهذا السبب أنت هنا، لأنك تعرف أصلاً أين كنت، وتريد أن تسمعي أقول ذلك كي تسخر مني".

قال بيلى: "لا ألاحقك".

"حسناً، لا بأس، كنت مع امرأة، لم أسمعها أبداً وهي تذكرك، لكن إذا كان لديك شيء ضدها، ماذا ستفعل بي؟".
نظر إليه بيلى غير مصدق. "كنت مع امرأة؟".

"لم أكن معها، ليس في السرير، كان مجرد موعد، مجرد عشاء متأخر، تأخر قليلاً لأنه توجب عليّ العمل مكانك، كان هذا موعدنا الثاني".

"من هي؟".

حاول زيليس حماية نفسه من غضب بيلى الغيور فقال: "أماندا بولارد".

"ماندي بولارد؟ أعرفها، إنها فتاة لطيفة".

قال زيليس بحذر: "صحيح، إنها فتاة لطيفة".

يملك آل بولارد كروماً ناجحة، إنهم يزرعون العنب لأحد أهم تجار الشراب في الوادي، ماندي في عمر العشرين تقريباً، جميلة، وودودة، إنها تعمل مع العائلة، وبالحكم على كل الأدلة، إنها حكيمة كفاية للغوص في علاقة أفضل من هذه.

حرّك بيلى نظره في غرفة النوم الرديئة، من أشرطة الأفلام الإباحية الموضوعية على الأرض قرب التلفاز إلى كومة الغسيل القذر في الزاوية.

قال زيليس: "لم تأتِ أبداً إلى هنا، خرجنا فقط في مواعيد،
أبحث عن مكان أفضل، عن شقة جميلة، أريد التخلص من كل هذه
الأشياء، بدء انطلاقة نظيفة".
"إنها فتاة محترمة".

وافق زيليس بحماسة: "صحيح، أعتقد أنه إذا بقيت معي، أستطيع
ترتيب أموري، والانطلاق من جديد، وفعل الأمور الصحيحة".
"عليها أن ترى هذا المكان".
"لا، لا، بالله عليك بيبي، ليس هذا ما أريد أن أكون عليه، أريد
أن أكون أفضل لأجلها".

"إلى أين ذهبتما لتناول العشاء؟".
ذكر زيليس اسم مطعم. ثم قال: "وصلنا إلى هناك عند التاسعة
وعشرين دقيقة تقريباً، غادرنا عند الحادية عشرة والرابع لأننا كنا
الشخصين الوحيدين في المطعم آنذاك".
"بعد ذلك؟".

"قمنا بجولة في السيارة، جولة جميلة، لا أقصد أننا أوقفنا السيارة،
ليست من هذا النوع، قمنا فقط بجولة، وتحدثنا واستمعنا إلى الموسيقى".
"حتى أي وقت؟".
"أوصلتها إلى المنزل بعد الواحدة بقليل".
"وعدت إلى هنا".
"نعم".

"ووضعت فيلماً لرجل يضرب امرأة بالسوط".
"حسناً، أعرف من أنا، لكنني أعرف أيضاً ما أستطيع أن أكونه".
ذهب بيبي إلى المنضدة الليلية، ورفع الهاتف، للهاتف حبل طويل،
أحضره إلى زيليس، "اتصل بها".

"ماذا؟ الآن؟ بيلى، تجاوزت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل".
"اتصل بها، أخبرها كم استمتعت بالأمسية، وكم هي مميزة، لن تمنع إذا أيقظتها من أجل ذلك".
قلق زيليس: "لم نصل بعد إلى هذا النوع من العلاقة، ستجد الأمر غريباً".

قال بيلى: "اتصل بها، ودعني أصغي إلى الحديث وإلا وضعت هذا المسلسل في أذنك وفجرت دماغك، ما رأيك؟".
ارتجفت يدا زيليس بقوة لدرجة أنه أخطأ في طلب الرقم مرتين،
نجح في المرة الثالثة.

جلس بيلى قرب أسيره، ووضع فوهة المسلسل على رأس زيليس بحيث لا تراوده أفكار أخرى، وأصغى إلى ماندي بولارد وهي تجيب عبر الهاتف،
وتعبر عن دهشتها لسماع صوت حبيبها الجديد في مثل هذه الساعة.
قالت ماندي لزيليس: "لا تقلق، لم توقظني، أنا مسلتقية هنا أحرق إلى السقف".

ارتعش صوت زيليس، لكن ماندي افترضت أنه متوتر بسبب اتصاله بها عند هذه الساعة المتأخرة والتعبير لها عن عاطفته بطريقة مباشرة أكثر مما فعل قبلاً.

لبضع دقائق، أصغى بيلى إليهما وهما يتذكran الأمسية - العشاء والجلولة في السيارة - ثم أشار إلى زيليس لإنهاء المكالمة.
لقد أمضت ماندي بولارد الأمسية مع هذا الرجل، وهي ليست فتاة سيئة تخرج مع الشباب السيئين.

بما أن ستيف زيليس تناول العشاء مع ماندي، لا يمكن أن يكون هو القاتل الذي وضع جثة رالف كوتل في غرفة جلوس لاني وقام بتسمير يد بيلى في أرضية الممر.

الفصل 65

أعاد بيلى المسدس إلى القراب عند وركه، وقال: "سأتركك مقيداً بالسريـر".

بدا ستيف زيليس مرتاحاً لابتعاد السلاح عنه، وإنما بقي حذراً. نزع بيلى شريط الهاتف من الجدار ومن الهاتف، وربطه، ووضعـه في كيس الخبز. "لا أريدك أن تتصل بأحد إلى أن يمرّ وقت كاف حتى تهدأ وتفكر في ما سأقوله لك".

"لن تقتلني؟".

"لن أقتلك، سأترك مفتاح الأغلال على رف في المطبخ. حسناً. المطبخ. لكن كيف سيساعدني ذلك؟".

"بعـدما أرحل، يمكنك إبعاد الفراش عن الإطار المعدني، الإطار مثبت براغ، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن...".

"يمكنك فك البراغي بأصابعك".

"إنها صدئة ربما...".

"انتقلت للعيش هنا قبل ستة أشهر، لن تصدأ خلال ستة أشهر، إذا كانت محكمة جداً، حاول برم أعمدة السريـر والتلاعب قليلاً بالوصلات، ستتدبر الأمر بنفسك".

"أستطيع تدبر الأمر، طبعاً، لكنني لا أزال لا أفهم لماذا فعلت ذلك، لا يمكن أن تصدق أنني قتلت جوديث كيسلمان، مثلما قلت، أعرف أنه لا يمكن أن تصدق ذلك، ما هذا؟".

وضع بيلى علة رذاذ مايس في كيس الخبز، وقال: "لن أشرح، ولا تريد أن تعرف، صدقني، لا تريد".

قال زيليس باكياً: "انظر إليّ هنا، لا تزال عيناى تؤلماني، أنا جالس في بركة، بالله عليك، هذا مخز، تضربني بهذا المسدس، وتقطع فروة رأسي، وتؤذيبي، بيلى".

طمأنه بيلى: "كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ، كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير".

قرر زيليس اعتبار هذه الكلمات بمثابة تهديد، فأصبح مسترضياً: "حسناً، لا بأس، أسمعك، أنا هادئ".

"حسب مدى إحكام البراغي، ستحتاج إلى ساعة على الأقل، أو ربما إلى ساعتين، للإفلات من السرير، مفتاح الأغلال سيكون في المطبخ، بعدما تستعمله، باشر في توضيب أغراضك".
جفل بيلى. "ماذا؟".

"اتصل بجاكي وقل له إنك ستترك العمل".
"لا أريد أن أترك العمل".

"هيا ستيف، لن نرى بعضنا كل يوم، ليس بعد ما عرفت عنك وليس بعد ما تعرفه عني، يجب أن ترحل".
"إلى أين؟".

"لا أبالي إلى أين، ولكن ليس في منطقة نابا".
"أحب المكان هنا، بالإضافة إلى ذلك، لا أملك المال للانتقال في الوقت الحاضر".

قال بيلى: "اذهب إلى المشرب ليلة الجمعة للحصول على آخر راتب لك، سأترك لك مغلفاً مع جاكي، سيحتوي على عشرة آلاف دولار نقداً، سيساعدك ذلك للانطلاق من مكان ما".

"لم أفعل أي شيء، لكن حياتي كلها انقلبت رأساً على عقب، هذا ليس عدلاً".

"أنت محق، هذا ليس عدلاً، لكن هكذا هي الأمور، لا تساوي مفروشاتك أي شيء، يمكنك رميها، وضب أغراضك الشخصية واخرج من البلدة ليلة الجمعة".

"أستطيع الاتصال بالشرطة، أستطيع رفع دعوى".
"حقاً؟ تريد أن يرى رجال الشرطة مسرح الجريمة، فتحضرهم إلى هنا لرؤية الأفلام الإباحية والعارضات البلاستيكية في الغرفة الثانية؟".

بالرغم من أن زيليس لا يزال خائفاً، عثر على جرأة كافية للرد:
"من مات وجعلك...؟".

هزّ بيلي رأسه. "ستيف، أنت مريض، ستأخذ العشرة آلاف دولار، وتسعد أنك لا تزال على قيد الحياة، وتخرج من هنا، ثمة أمر آخر؛ لا تتصل أبداً بماندي بولارد مجدداً".

"انتظر دقيقة، لا يمكنك...".

"لا تتصل بها، لا ترها، أبداً".

"بيلي، تستطيع أن تحدث كل الفرق لي".

"إنها فتاة لطيفة، إنها فتاة محترمة".

"هذا ما أفصده، أعرف أنني أستطيع تحسين أموري إذا...".

قال بيلي: "المرأة الجيدة تستطيع تبديل الرجل، ولكن ليس رجلاً قديراً بقدرتك. إذا اتصلت بها أو رأيته، حتى ولو لمرة واحدة، سأعرف، وسأجرك، هل تصدق ذلك؟".

لم يقل زيليس أي شيء.

قال بيلي: "وإذا لمستها، فليساعديني الله، سأقتلك، ستيف".

عندما وضع بيلى يده على مقبض المسدس الموضوع في القراب،
قال زيليس: "هاي، حسناً، فهمتك".
"جيد، سأرحل الآن".
قال زيليس: "هذا المكان مقرف على كل حال، كروم العنب هي
رديف لكلمة مزرعة، ولست مزارعاً".
قال بيلى عند الباب: "لا، لست كذلك".
"لا يوجد حماسة هنا".
"وافق بيلى: "لا توجد إثارة".
"اللعنة عليك".
قال بيلى: "رحلة موفقة أيها الرفيق".

الفصل 66

بعدها ابتعد مسافة نصف ميل فقط عن منزل زيليس، كان يبلي يرتجف بشدة بحيث اضطر إلى توقيف سيارة الإكسبلورر للسيطرة على نفسه.

تحت الضغط، أصبح أكثر شيء يكرهه، لرهة، أصبح جون بالمر. إن دفع عشرة آلاف دولار لزيليس لا يجعل ذلك يبلي أقل من بالمر أيضاً.

عندما توقفت الرجفة، لم يشغل محرك السيارة لأنه لم يعرف إلى أين يذهب من هنا، شعر أنه على شفير الهاوية. أراد العودة إلى المنزل، ولكن ما من شيء هناك سيساعده على إيجاد حل لهذا اللغز.

أراد العودة إلى المنزل فقط ليكون في المنزل، تعرف إلى الحاجة المألوفة للانعزال، حين يصبح في المنزل، يستطيع الجلوس على مقعد النحت أمام كتل السنديان، وليذهب العالم إلى الجحيم. لكن هذه المرة، سيذهب إلى الجحيم معه، لا يستطيع أخذ باربارة معه إلى المنزل، وإذا تركها وحدها وفي خطر، يكون قد قضى على عذره الوحيد للعيش.

لقد دفعته الأحداث إلى الحركة، إلى عجلة الحياة، لكنه شعر بالرغم من ذلك بالانعزال واليأس، طوال وقت طويل، لم يزرع جيداً وليس لديه الآن أي شيء لحصاده، أصدقاؤه مجرد معارف، بالرغم من أن الحياة مجتمع، لا يملك مجتمعاً.

في الواقع، كان وضعه أسوأ من الانعزال، الأصدقاء الذين هم مجرد معارف لم يعودوا الآن حتى معارف بقدر ما باتوا مشتبهاً بهم، لقد حفر لنفسه حفرة من الوحدة المليئة بالرهاب الفظيع.

ابتعد عن حافة الطريق، وانطلق يبلي في السيارة من دون وجهة محددة في رأسه، بقدر ما يعي، مثل العصفور، تجول ليلاً، وهو ينوي فقط البقاء عالياً من دون الوقوع في اليأس المطلق قبل أن يظهر بصيص أمل. عرف عن آيفي إيلجين في زيارة واحدة وجيزة إلى منزلها أكثر مما عرف عنها طوال السنوات التي عملا فيها معاً، وبالرغم من أنه يستطلف آيفي، وجدها الآن أكثر غموضاً مما كانت عندما لم يكن يعرفها.

لا يظن أنها تملك أي ارتباط بالقاتل المرتكب لهذه الجرائم، إلا أن تجربته الخاصة مع أمه وأبيه ذكّرت أنه لا يمكن الوثوق بأي كان. هاري أفاكيان هو رجل لطيف ومحام جيد؛ وإنما أيضاً أحد الأوصياء الثلاثة على السبعة ملايين دولار، وهذا إغراء لا يمكن تجاهله، قبل باربارة، زار يبلي منزل هاري مرة واحدة فقط، لكن باربارة أقامت علاقة اجتماعية معه، ذهبا إلى منزل هاري لتناول العشاء ست مرات خلال سنة؛ لكن منذ الغيبوبة، لم يقم يبلي بزيارة هاري في أي مكان باستثناء مكتبه.

يعرف هاري أفاكيان، لكنه لا يعرفه.

توجه عقل يبلي إلى الدكتور فيرييه، وهذا جنون، فالأطباء المشهورون في المجتمع لا يقتلون الناس.

إلا أن الدكتور فيرييه أراد أن يتعاون يبلي معه لقتل باربارة مانديل، عبر نزع أنبوب الغذاء من معدتها، وتركها تموت، تركها تتضور جوعاً حتى الموت في غيبوبتها.

إذا توجب عليك التقرير عن شخص آخر- عن شخص لا يشعر
بألم جلّي- فإن نوعية حياتها غير كافية لتبرير نفقات الأموال عليها،
فكم هو سهل نزع الأنبوب بدل الضغط على الزناد؟
سخافة، إلا أنه لا يعرف عن فيرييه شيئاً نسبة إلى ما كان يعرفه
عن والده، وبالرغم من كل الأمور التي ظن يبلي أنه يعرفها، استعمل
والده ذلك المفتاح الفولاذي الكبير كما لو أنه لعبة خبيثة.
جون بالمر، إنه رجل يظهر جلياً حبه للقوة، لكن شعوره الداخلي
بقي غامضاً بقدر كوكب بعيد.

كلما فكّر يبلي أكثر في الأشخاص الذين يعرفهم، توصل أكثر إلى
احتمال أن القاتل قد يكون غريباً تماماً، وأصبح بالتالي أكثر اضطراباً
من دون هدف.

طلب من نفسه أن يبالي ولا يبالي، أن يبقى ساكناً.
لامتلاك ما لا تملكه، عليك المرور عبر طريق التخلي.
وما لا تعرفه هو الشيء الوحيد الذي تعرفه.

قاد السيارة، وحاول الاستسلام لذلك السكون الداخلي، ووصل
فجأة، من دون نية واعية، إلى محطة الشاحنات، ركن السيارة حيث
ركنها قبلاً، أمام المطعم.

ألمته يده اليسرى، عندما ثناها ثم فتحها، أحسّ أنها بدأت تتورم،
لقد احتفى مفعول الفيسودين، لا يعرف ما إذا كان يجدر به تناول حبة
أخرى، لكن عليه تناول بعض الموترين.

كان جائعاً، لكن فكرة تناول لوح آخر من السكاكر أفقدته
الشهية، احتاج إلى جرعة كافيين، وإنما أراد شيئاً أكثر من الحبوب.
بعدهما خبأ المسدس تحت المقعد الأمامي للسيارة، بالرغم من أن
النافذة المكسورة تبقي السيارة غير آمنة، دخل إلى المطعم.

عند الساعة 3:40 بعد منتصف الليل، وجد الطاولات فارغة.
جلس أربعة سائقي شاحنات أمام المشرب، وكانوا يشربون
القهوة ويتناولون فطيرة.
ساعدتهم نادلة بدينة لها عنق غليظ ووجه جميل، في ثنايا شعرها،
المصبوغ بالأسود اللماع، وضعت أشرطة زينية صفراء على شكل
فراشات.
جلس بيلى أمام المشرب.

الفصل 67

حسب اللصيقة الموضوعة على بذلتها، كان اسم النادلة جاسمين، نادت بيلى عزيزي، وقدّمت إليه القهوة السوداء وفطيرة الليمون مثلما طلب.

خاضت جاسمين مع سائقي الشاحنات حديثاً شيقاً عندما استقر بيلى بينهم، حسب الحديث، فهم أن أحد الرجال يدعى كورلي، والثاني آرفين، لم يوجه أحد الكلام إلى الرجل الثالث إلا بالقول أنت وكشف الرابع عن سن ذهبية في الجهة الأمامية لقمه.

في البداية، كانوا يتحدثون عن قارة أتلانيس التائهة. اقترح آرفين أن تدمير تلك الحضارة الأسطورية أصبح من الماضي لأن الأتلانتيين عملوا في الهندسة الوراثية وابتكروا وحوشاً قضت عليهم.

تحول الحديث بسرعة من أتلانيس إلى الاستنساخ وأبحاث الحمض النووي، ثم ذكر كورلي أنه في جامعة برنستون أو هارفارد، أو يال، في إحدى تلك الجامعات اللعينة، يحاول العلماء ابتكار حيوان مقرز بدماع بشري.

قالت جاسمين: "لست واثقة من أن الخبر جديد، دعوني أقول لكم، فعلى مرّ السنوات، التقيت بالعديد من الحيوانات المقرزة البشرية".

تساءل آرفين: "وما الفائدة من حيوان مقرز بشري؟".

قال أنت: "فقط ليكون موجوداً".

"أين؟".

أوضح أنت: "مثلما يوجد جبل هناك فيقوم بعض الناس بتسلقه، يحاول أشخاص آخرون ابتكار حيوان مقررز بشري فقط للإثبات أنهم يستطيعون فعل ذلك".

سأل صاحب السن الذهبية: "وما الجدوى من ذلك؟".
قال كورلي: "لا أظن أنهم يريدون فعل هذا من أجل جدوى معينة".

قال صاحب السن الذهبية: "يقصدون شيئاً من وراء ذلك".
أعلنت جاسمين: "لثة أمر أكيد وهو أن الذين يعتقدون بمذهب الفاعلية سيصابون بالجنون".

سأل آرفين: "أي معتقدون بمذهب الفاعلية؟".
قالت: "ناشطون من نوع ما، عند ابتكار حيوانات مقرزة بأدمغة بشرية، تكون هذه نهاية إمكانية تناول المارتاديليا أو اللحم المقدد".

قال كورلي: "لا أفهم لماذا، فالمارتاديليا واللحم المقدد يأتيان من الحيوانات المقرزة التي لا تملك أدمغة بشرية".

توقعت جاسمين: "ستكون مسألة تعاطف، كيف سترر تناول المارتاديليا واللحم المقدد فيما يذهب أولادك إلى المدرسة مع حيوانات مقرزة ذكية ويدعوها إلى منازلهم للنوم عندهم".

قال أنت: "لن يحصل ذلك أبداً".

وافق آرفين: "أبداً".

قالت جاسمين: "ما سيحصل هو أن أولئك الحمقى الذين يتلاعبون بالجينات البشرية يفعلون شيئاً غيباً وسيقتلوننا جميعاً".

لم يعارضها أي من سائقي الشاحنات الأربعة، ولم يعارضها بيلي أيضاً.

أحس صاحب السن الذهبية أن العلماء يفكرون في عمل ما من أجل الحيوان المقزز البشري. "لا ينفقون ملايين الدولارات على شيء مجرد المتعة، لا يفعلها أولئك الأشخاص".

عارضت جاسمين: "أوه بلى، فالمال لا يعني لهم شيئاً، ليس ما لهم".

قال كورلي: "إنه مال الضرائب، مالك ومالي".

أطلق بيلي تعليقاً أو اثنين، ولكنه أصغى مبدئياً، إذ كان معتاداً

على هذه الأحاديث، والغريب أنه يرتاح إليها.

كانت القهوة غنية، ثمّة نكهة ليمون رائعة في الفطيرة مع مارنغ

لذيذ على سطحها.

تفاجأ بمدى الهدوء الذي شعر به، جلس فقط أمام المشرب،

وأصغى.

قال صاحب السن الذهبية: "إذا أردت الحديث عن التبديد الأحق

للمال، انظر إلى تلك الوحشية التي يشيدونها قرب الطريق العام.

سأل آرفين: "ماذا، تقصد قبالة المشرب، ذلك الشيء الذي سيتم

إحراقه ما إن ينتهوا منه؟".

ذكرتهم جاسمين: "أوه، لكن هذا فنّ، ألا يدوم الفنّ طويلاً؟".

أخبرهم كورلي: "سيحني الرجل ملايين الدولارات من بيع نسخ

عن تلك اللوحة الجدارية، لقد حصل على مئة إعلان ترويجي".

سأل صاحب السن الذهبية: "هل يستطيع أي كان أن يسمي

نفسه فناناً؟ ألا يجدر بهم اجتياز فحص أو ما شابه؟".

قال كورلي: "إنه يسمي نفسه فناناً من نوع خاص".

قال آرفين: "مؤخرتي خاصة".

أخبرته جاسمين: "اسمع عزيزي، لا تعتبر ذلك إهانة لكنني لا أرى

مؤخرتك خاصة".

قال كورلي: "يسمي نفسه فنان أداء".

"ماذا يعني ذلك؟".

قال كورلي: "ما فهمته هو أن الفن لا يدوم، إنه يهدف إلى إنجاز

شيء ما، وعند إنجاز الشيء، ينتهي".

تساءل أنت: "بماذا ستمتلى المتاحف بعد مئة عام؟ مساحات

فارغة؟".

قالت جاسمين: "لن تبقى هناك متاحف، المتاحف هي للناس، لن

يكون هناك ناس، مجرد حيوانات مقززة بشرية".

أصبح بيلى ساكناً جداً، جلس وفتحان القهوة على شفتيه، وإنما

عجز عن شربه.

سألت جاسمين: "عزيزي، هل من خطب ما؟".

"لا، لا، أنا بخير، في الواقع، أريد فتحاناً آخر، هل تقدمون القهوة

في فناجين كبيرة؟".

"هناك فتحان ثلاثي في وعاء بلاستيكي، نسميه الجرعة الكبيرة".

قال بيلى: "أعطني واحداً منها".

الفصل 68

ثمة مختلى خارج المطعم يعمل بمثابة مقهى إنترنت، ست محطات عمل توفر وصلات بشبكة الإنترنت.

جلس سائق شاحنة أمام كمبيوتر، وضغط على لوحة المفاتيح والفأرة، وثبت نظره على الشاشة، إنه يتحقق ربما من مواعيد الشحن في شركته أو يلعب لعبة إنترنت أو يتصفح موقعاً ما. كان الكمبيوتر مثبتاً على طاولة فيها مساحة للطعام، ثمة فوهة في الطاولة اتسعت لفنجان القهوة الخاص ببيلي.

لا يعرف اسم موقع فاليس، ولذلك بدأ بالبحث عن مواقع فن الأداء عموماً إلى أن وصل إلى الموقع www.valisvalisvalis.com. يملك الفنان موقعاً متقناً ومغرياً، شاهد ببلي فيديو ملوناً للجسر الأسترالي الذي ثبت عليه فاليس عشرين ألف بالون أحمر، راقبها وهي تنفجر كلها دفعة واحدة.

عرض عينات لمشاريع فردية، كانت تلك المشاريع مفرطة وغير متناسقة كثيراً، حاملة شعار الفن العصري.

في مقابلة عاصفة، قال فاليس إن كل فنان رائع هو صياد سمك، لأنهم يريدون "لمس أرواح، وحتى التقاط أرواح" الذين يشاهدون أعمالهم.

ساعد فاليس عامة الناس على فهم مغزى كل واحد من مشاريعه عبر توفير ثلاثة سطور من الإرشاد. احتوى كل سطر على ثلاث كلمات، قرأ ببلي العديد منها.

أخرج من محفظته الورقة التي طبعت عليها الأسطر الستة التي كانت موجودة في المستندات الثلاثة على القرص الأحمر الذي وجده في يد رالف كوتل، فتح الورقة، وسطحها على الطاولة.

السطر الأول- لأنني أنا أيضاً صياد سمك.

السطر الخامس- آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس

السطر السادس- انتحارك: بعد فترة وجيزة

كان السطر الثاني والثالث والرابع مشاهمة جداً للإرشاد الذي قدمه فاليس لمساعدة المعجبين به على فهم أعماله بصورة أفضل.

السطر الأول في هذه الإرشادات أشار إلى أسلوب المشروع، إلى الأداء، في هذه الحال، الأسلوب هو وحشية، عنف، موت.

السطر الثاني يختصر التقنيات التي ينوي الفنان تنفيذ العمل الفني بها، مع ببلي، التقنية هي حركة، سرعة، تأثير.

السطر الثالث وصف الوسيلة أو الوسيط الذي يقترحه فاليس، في الأداء الحالي، الوسيلة هي لحم، دم، عظم.

في بعض الأحيان، يكون أنجح القتل مشردين متجولين يسافرون كثيراً بين نشاطاتهم الإجرامية.

لا يعتبر القاتل القتل بمثابة لعبة، في جزء منه، يعتبره بمثابة أداء، بالنسبة إليه، الجوهر هو فنه.

من مواقع فن الأداء عبر شبكة الوب، عرف ببلي أن فنان الموت هذا خجل دوماً من الكاميرا، زعم فاليس إن الفن أهم من الفنان، نادراً ما تم تصويره.

أتاحت له مثل هذه الفلسفة شهرة وثروة؛ وإنما درجة من الغفلة.

عرض الموقع www.valisvalisvalis.com صورة رسمية، تبين أن هذه الصورة ليست صورة حقيقية بل رسماً بقلم الرصاص أنجزه الفنان بنفسه.

عن قصد ربما، لم يكن الرسم مطابقاً تماماً لمظهر فاليس الحقيقي، لكن بيلى تعرف إليه فوراً، إنه الرجل الذي شرب شراب الشعير الفنلندي، بعد ظهر يوم اثنين، وجلس يستمع بصبر إلى نيد بيرسال وهو يخبره قصة موت هنري فريدل بسبب تمثال الحديدية. أنت رجل مثير، بيلى باركيب.

حتى آنذاك، عرف القاتل اسم شهرة بيلى، بالرغم من ادعائه بجهلها، لا بد أنه كان يعرف كل شيء عنه، لأسباب وحده فاليس يفهمها، تم التعرف إلى بيلى وايلز، والبحث عنه، واختياره لهذا الأداء.

الآن، بالإضافة إلى الخيارات الأخرى تحت الصورة، لاحظ بيلى عبارة تقول: "مرحبا بيلى".

بالرغم من أنه لم يعد يملك القدرة للشعور بالدهشة، حذق بيلى إلى العبارة لدقيقة.

أخيراً، حرّك الفأرة، ونقر عليها.

اختفت الصورة، وظهرت على الشاشة تعليمات: مستوى خاص؛ ادخل كلمة السر.

شرب بيلى القهوة، ثم كتب وايلز، وضغط على زر الإدخال.

حصل فجأة على جواب: "أنت تستحق العناء".

بقيت هذه الكلمات الثلاث أمامه لعشر ثوانٍ، ثم أصبحت

الشاشة فارغة.

فقط هذا ولا شيء آخر.

عادت الصورة المرسومة بقلم الرصاص، لم تعد الخيارات الموجودة
تحتها تشمل عبارة مرحبا بيبي.

الفصل 69

لم تسطع أي أضواء على اللوحة الجدارية الكبيرة. العجلات، المحركات، العربات، الوصلات، الأنابيب والصفائح الغريبة تضاءلت في الظلمة.

الصورة البشرية العملاقة، المعذبة والمحاصرة، كانت معتمدة في كفاحها الصامت.

انتصبت الخيمة الصفراء والأرجوانية في أغوار مظلمة، لكن ضوءاً خفيفاً سطع من نوافذ المنزل المتحرك الكبير.
توقف بيلي أولاً على جانب الطريق السريع وتأمل العربة من بعيد.

الفنانون والحرفيون الستة عشر الذين يشيدون اللوحة الجدارية تحت إشراف فاليس لا يعيشون في الموقع، تم حجز غرف لهم في فندق فينيارد هيلز إن لمدة ستة أشهر.

إلا أن فاليس يعيش هناك طوال مدة المشروع، المنزل المتحرك مزود باللوازم الكهربائية والمائية.

يتم إفراغ خزانات المياه المتبدلة مرتين أسبوعياً بواسطة شركة غلين لتتقويم. كان غلين غورتنر فخوراً بشهرته نتيجة هذا التعاون، بالرغم من أنه اعتبر اللوحة الجدارية "شيئاً يجب التخلص منه على كل حال".

لم يعرف بيلي ما إذا كان يجدر به التوقف أو متابعة السير، فأبعد الإكسيلورر عن حافة الطريق، وتوجه نحو منخفض بسيط في مرج أخضر، توجه نحو الطرف البعيد من المنزل المتحرك.

كان الباب المؤدي إلى حجرة السائق مفتوحاً، ثمّة حصيرة ترحيب ملونة موضوعة على الأرض تحت الدرجات.
توقف، أبقى لبرهة محرك السيارة قيد العمل، ووضع قدماً على المكبح فيما القدم الأخرى فوق دواسة الوقود.
كانت معظم النوافذ غير مغطاة، لم يستطع رؤية أحد في المساحات الداخلية.

وحدها النوافذ الموجودة في الجهة الخلفية، التي كانت ربما في غرفة النوم، كشفت عن ستائر، توهجت المصابيح هناك، أيضاً، وكانت مغطاة بمادة ذهبية.

استنتج بيلى أن زيارته مرتقبة بلا شك.
اشمأز من قبول هذه الدعوة، أراد الابتعاد لكنه ليس لديه مكان للذهاب إليه.

بقيت أقل من عشرين ساعة حتى منتصف الليل، حين سيحصل القتل الأخير، لا تزال باربارة في خطر.

بسبب الأدلة التي زرعتها فاليس إضافة إلى ما هو موجود على الجثث، يبقى بيلى مشتبهاً به في الاختفاءات التي ستعرف بها الشرطة قريباً: لاني، رالف كوتل، المرأة الشابة الصهباء.

كانت يد جيزيل وينسلو في مكان ما في منزله أو مرأبه، أو مدفونة في فنائه.

ركن سيارة الإكسبلورر في الموقف، وأطفأ الأضواء الأمامية، لكنه لم يوقف عمل المحرك.

ثمّة سيارة لينكولن نافيجاتور مركونة قرب الخيمة المظلمة، إنها بلا شك السيارة التي يستعملها فاليس للتنقلات المحلية.
أنت تستحق العناء.

وضع بيلى زوجاً جديداً من قفازات اللاتكس.
شعر ببعض التيبس، ولكن ليس بالألم في يده اليسرى.
تمنى لو أنه لم يتناول الفيسودين في منزل لاني، على عكس
معظم مسكنات الألم الأخرى، يترك الفيسودين العقل صافياً، لكنه
خشى أنه إذا تعكر إدراكه ورد فعله، ولو حتى بنسبة نصف في المئة،
سيواجه الموت حتماً.
قد تعوض أقراص الكافيين والقهوة عن ذلك، وكذلك فطيرة
الليمون.

أوقف عمل المحرك، في اللحظة الأولى التي تلت، بدت الليلة
صامتة مثل منزل أصم.

نسبة إلى عدم إمكانية توقع عدوه، استعد للقتل وغير القتل.
وبالنسبة إلى اختيار السلاح الأكثر فتكاً، فضل المسدس عيار
0.38 ملم لأنه معتاد عليه، فقد قتل به قبلاً.
خرج من سيارة الإكسبلورر.

ارتفعت أصوات حشرات الزيز لكسر الصمت، وكذلك أصوات
الضفادع، الرايات على الخيمة رفرفت بفعل نسيم الهواء العليل.
توجه بيلى إلى الباب المفتوح للمنزل المتحرك، وقف في الضوء
لكنه تردد في صعود الدرج.

من الداخل، عبر مكبرات الصوت العالية الجودة في النظام الصوتي
المتطور للمنزل المتحرك، قال صوت: "يمكن السماح لباربارة
بالعيش".

تسلق بيلى الدرجات.
احتوت حجرة القيادة على كرسيين متحركين أنيقين للسائق
ومساعده، كانا منجدين بما بدا جلد نعام.

أغلق الباب، الذي يتم التحكم فيه عن بعد، وراء بيلي، افترض أنه تم إقفاله أيضاً.

في هذه العربة الشديدة التطور، ثمة حاجز يفصل حجرة القيادة عن مكان السكن، ثمة باب مفتوح آخر في انتظاره.

دخل بيلي إلى مطبخ مذهل، كل شيء بالألوان القشدية والعسلية، أرض رخامية، خزانات خشبية لها أطراف دائرية متموجة مثل خزانات السفن، الاستثناءات تمثلت في رفوف الغرانيت السوداء والأدوات الكهربائية الفولاذية.

من مكبرات الصوت المثبتة في السقف، قدّم صوت فاليس الرخيم والإكراهي اقتراحاً: "أستطيع تحضير فطور باكر لك إذا شئت".

استمرت الأرض الرخامية في غرفة طعام يمكن أن تتسع بسهولة لستة أشخاص، أو حتى لثمانية، كان سطح الطاولة المصنوع من خشب القيقب مطعماً بخشب أسود لماع وخشب أبيض مثل العظام، على شكل شريط متشابك؛ ما كشف عن براعة يدوية مذهلة ومكلفة.

عبر قنطرة في حاجز آخر، دخل بيلي إلى غرفة جلوس كبيرة. بلغ سعر الأقمشة خمسمئة دولار على الأقل لليارد المربع الواحد، فيما سعر السجادة الضعف على الأقل، المفروشات عصرية، لكن التماثيل البرونزية اليابانية العديدة هي نماذج فاخرة على عمل حقبة مايجي.

حسب بعض الزبائن الدائمين للمشرب، الذين قرأوا عن هذا المنزل المتحرك عبر شبكة الإنترنت، بلغت كلفته أكثر من مليون ونصف مليون دولار، لا يشمل ذلك سعر التماثيل البرونزية.

يطلق أحياناً على مثل هذه العربات اسم اليخوت الأرضية، وهذه العبارة غير مبالغ فيها.

السابب المغلق في الطرف الآخر من غرفة الجلوس يفضي بلا شك إلى غرفة نوم وحمام، إنه مغلق، لا بد أن فاليس موجود في تلك الغرفة، يصغي، يراقب، وهو مسلح تماماً.

استدار يبلي صوب ضجيج خفيف خلفه.

في جهة غرفة الجلوس، تم تزيين حاجز غرفة الطعام بطارة جميلة من الخيزران المغزول، التفت هذه الألواح بصورة تدريجية لتختفي وتكشف عوضاً عنها عن لوحات عرض سرية.

أسدلت الآن ستائر من الفولاذ المعدي الملون لتغطية كل النوافذ، وإنما بحركة سريعة مفاجئة ومذهلة.

لا يظن يبلي أن هذه الستائر زخرفية فقط، فاختراقها أمر صعب لا بل مستحيل.

خلال مرحلة التصميم والتركيب، تم اعتبارها بلا شك وسائل سلامة.

فيما استمرت ألواح الطارة المتصاعدة بكشف المزيد من لوحات العرض، صدح صوت فاليس من مكبرات الصوت مجدداً: "يمكنك رؤية مجموعتي، علماً أن عدداً ضئيلاً من الأشخاص فعلوا ذلك، إلا أنه ستتاح لك فرصة مغادرة هذا المكان حياً بعد رؤيتها، استمتع بها".

الفصل 70

كانت الألواح الداخلية للخزانات وراء ألواح الطارة منجدة بالحرير الأسود، ثمة أوعية زجاجية بحجمين شكّلت مجموعة. كانت قاعدة كل وعاء زجاجي مثبتة بإحكام على رفها، ثمة ملزم أسود لماع يمسك بالغطاء العلوي، لتثبيته بالجهة السفلية للرف العلوي. لا تتحرك هذه الأوعية أبداً عند انتقال المنزل المتحرك، لا تتمايل على الإطلاق.

كان كل وعاء مضاء بخيوط ألياف بصرية تحته، بحيث توهجت المحتويات أمام الستارة الخلفية من الحرير الأسود، وفيما كان ضوء المصابيح في غرفة الجلوس خافتاً الآن لتعزيز العرض، فكّر بيلي في أحواض السمك.

إلا أن كل واحد من هذه الأوعية الزجاجية الصغيرة لم يحتوي على سمك وإنما على ذكرى جريمة، طافت وجوه وأيدٍ في سائل الحفظ. كان كل وجه شبحياً، مثل يسروع شاحب يسبح باستمرار، ولا يمكن تمييز القسمات بين وجه وآخر.

كانت الأيدي مختلفة عن بعضها، وتحدثت عن كل ضحية أكثر مما فعلت الوجوه، وكانت أقل ترويعاً مما افترض، غريبة وأثرية. قال فاليس: "أليست جميلة؟" وبدا نوعاً ما مثل هال 9000 في فيلم 2001: أوديسييه الفضاء.

قال بيلي: "إنها حزينة".

قال فاليس: "يا لها من كلمة غريبة اخترتها، إنها تفرحني".

"إنها تملأني باليأس".

قال فاليس: "اليأس جيد، يمكن أن يكون اليأس نظير حياة واحدة ونقطة الانطلاق لدخول حياة أخرى، حياة أفضل".

لم يتعد بيلي عن المجموعة بسبب الخوف أو الاستمزاز، افترض أنه مراقب بواسطة كاميرات، بدا ردّ فعله مهماً لفاليس.

بالإضافة إلى ذلك، وبالرغم من اليأس الذي توحى به هذه المجموعة، كشفت عن أناقة مخفية وفرضت بعض الإبهار.

لم يكن صاحب المجموعة فظاً جداً بحيث لم يعرض أعضاء تناسلية أو أنداء.

شك بيلي في أن فاليس لا يقتل بسبب إشباع غريزة، ولا يغتصب ضحاياه الإناث، لأن فعل ذلك ربما يعني الاعتراف بجانب واحد على الأقل من الإنسانية، بدا أنه يريد اعتبار نفسه كائناً منفصلاً.

لم يشوه الفنان أيضاً مجموعته بأشياء مبهرجة أو فظة، لا مقالات عيون، لا أعضاء داخلية، وجوه وأيد، وجوه وأيد.

حدّق بيلي إلى الأوعية المضاءة، وتخيّل فيها مهرجين يرتدون الأسود مع وجوه مرشوشة بالأبيض ومع أياد مغلقة بالقفازات.

بالرغم من انحرافه، بدا القاتل صاحب عقل جمالي في العمل.

قال بيلي، وهو يصف العرض الحيوي: "مظهر متوازن، تناسق في الخطوط، مراعاة للشكل، والأكثر أهمية ربما، تحفظ محتشم ولكنه ليس نيقاً".

لم يقل فاليس أي شيء.

اللافت أنه عند الوقوف وجهاً لوجه أمام الموت وعدم السماح للخوف بالسيطرة، لم يعد بيلي يهرب أبداً من الحياة، وإنما على العكس يعانقها.

قال فاليس: "قرأت كتابك المشتمل على القصص القصيرة".
أجابه بيلى: "عند انتقاد عملك، لم أكن أنتظر انتقاداً لعملي".
خرجت ضحكة صغيرة من فاليس، ضحكة دافئة كما بدت عبر
مكبرات الصوت. "في الواقع، وجدت قصصك فائنة وقوية".
لم يجب بيلى.

قال فاليس: "إنها قصص باحث، تعرف حقيقة الحياة، لكنك تحوم
حول تلك الفاكهة، تحوم وتحوم، رافضاً الاعتراف بها، تذوقها".
ابتعد بيلى عن المجموعة، وانتقل إلى أقرب تمثال برونزي، وهو
عبارة عن زوج أسماك، بسيط وإنما رائع التفاصيل، مصنوع من
البرونز الذي يحاكي الحديد الصدئ لناحية اللون والتركيبية.
قال بيلى: "القوة، القوة هي جزء من حقيقة الحياة".
وراء الباب المقفل، انتظر فاليس.

قال بيلى: "والفراغ، الفراغ، الهاوية".
انتقل إلى تمثال برونزي آخر: تلميذ يرتدي ثوباً، ويجلس جانباً
إلى جانب مع أيل، كشف التلميذ عن لحية وكان يتسم فيما كان ثوبه
مطرزاً بخيوط ذهبية.

قال بيلى: "الخيار هو فوضى أو سيطرة، مع القوة نستطيع
الابتكار، مع القوة والنية المحتشمة، نبتكر فناً، والفن هو الجواب الوحيد
للفوضى والفراغ".

بعد صمت، قال فاليس: "ثمّة شيء واحد فقط يتشبث بالماضي،
أستطيع تحريك منه".

سأل بيلى: "بجرمة أخرى؟".

"لا، تستطيع العيش، ويمكنك الانتقال إلى حياة جديدة...
حين تعرف".

"وما هو الشيء الذي تعرفه ولا أعرفه؟".
قال فاليس: "باربارة، إنها تعيش في ديكنز".
سمع بيلى نفسه يشهق، وكان ذلك تعبير مفاجأة واعتراف.
"حين كنت في منزلك بيلى، راجعت الدفاتر الصغيرة التي
ملأتها بالعبارات التي قالتها في أثناء غيوبتها".
"حقاً؟".

"إنها تحب ديكنز".
"قرأت كل القصص، مرات عدة".
"ولكن ليس أنت".
قال بيلى: "قرأت قصتين أو ثلاثاً، لم أحب ديكنز أبداً".
قال فاليس: "أعتقد أنه مكان مليء كثيراً بالحياة، مليء كثيراً
بالحيوية بالنسبة إليك".
"ربما".

"تعرف هذه القصص جيداً، بحيث تعيشها في أحلامها، الكلمات
التي تقولها في غيوبتها تتوالى في فصول معينة".
قال بيلى، وهو يتذكر زيارته الأخيرة إلى باربارة: "سيدة جو،
لقد قرأت تلك القصة، زوجة جو غارجري، أخت بيب، المرأة السليطة
المتنمرة، نادها بيب سيدة جو".
أكد فاليس: "توقعات عظيمة، تعيش باربارة كل الكتب،
خصوصاً المغامرات الخفيفة، وليس الرعب كما في قصة مدينتين".
"لم أدرك...".

أكد له فاليس: "إنها تحلم بأغنية الميلاد أكثر مما تحلم باللحظات
الدموية للثورة الفرنسية".
"لم أدرك ذلك، لكنك فعلت".

"على كل حال، لا تعرف الخوف أو الألم لأن كل مغامرة هي طريق معروف جيداً، مصدر راحة وامتعة".

تحرك بيلى في غرفة الجلوس، مرّ أمام تمثال برونزي آخر، ثم تجاوزه.

قال فاليس: "لا تحتاج إلى شيء يمكنك منحه لها، أي شيء أكثر مما تملك، إنها تعيش في ديكنز ولا تعرف الخوف".

فهم بيلى ما أراد الفنان الوصول إليه، فوضع المسدس على طاولة قديمة أثرية إلى يسار باب غرفة النوم، ثم عاد بخطواته إلى وسط غرفة الجلوس، وجلس في كرسي.

الفصل 71

دخل فاليس، وبدا أكثر وسامة من الصورة التي رسمها بنفسه على موقع الوب.

ابتسم، ورفع المسدس عن الطاولة، وتأمله.
قرب الكرسي الذي جلس فيه بيلى، على طاولة صغيرة، ثمة تمثال برونزي ياباني آخر من حقبة مايجي: كلب بدين يتسم ويحمل سلحفاة على رسنه.

اقترب فاليس من المسدس، تماماً مثل آيفي إيلجين، مشى برشاقة راقص كما لو أن الجاذبية لا تستطيع جذب نعليّ قدميه إلى الأرض.
شعره الكثيف الأسود، كان مطعماً بشعر أبيض عند الصدغين، كانت ابتسامته فاتنة، أشرفت عيناه الرماديتان بوضوح.
امتلك حضور النجم السينمائي، ثقة الملك في نفسه، هدوء الناسك.

وقف أمام الكرسي، ووجه المسدس إلى وجه بيلى وقال: "هذا هو المسدس".

قال بيلى: "نعم".

"قتلت والدك به".

"نعم".

"كيف كان شعورك؟".

حدق بيلى إلى الفوهة وقال: "مرعب".

"وأملك، بيلى؟".

"صحيح".

"هل كان قتلها صائباً؟".

قال بييلي: "في ذلك الوقت، في تلك اللحظة".

"ولاحقاً؟".

"لست واثقاً".

"الخطأ صح، الصح خطأ، كل شيء حسب المنظور بييلي".

لم يقل بييلي أي شيء.

لكسي تصل إلى ما لست عليه، عليك الذهاب في الطريق الذي

لست فيه.

نظر إليه فاليس عبر أسطوانة المسدس وقال: "من تكره بييلي؟".

"لا أفكر في أحد".

"هذا جيد، هذا صحي، الكره والحب يرهقان العقل، يقمعان

التفكير الواضح".

قال بييلي: "أحب هذه التماثيل البرونزية كثيراً".

"أليست رائعة؟ يمكنك الاستمتاع بالشكل، بالتركيبية، بالمهارة

البارعة للفنان، ولا تبالي بالرغم من ذلك بالفلسفة الكامنة وراءها".

قال بييلي: "خصوصاً السمك".

"ولماذا السمك تحديداً؟".

"وهم الحركة، مظهر السرعة، إنها تبدو حرة جداً".

"لقد عشت حياة بطيئة، بييلي، أنت مستعد ربما لبعض الحركة،

هل أنت جاهز للسرعة؟".

"لا أعرف".

"أعتقد ذلك".

"أنا جاهز لشيء ما".

قال فاليس: "جئت إلى هنا وفي نيتك العنف".
رفع بيلى يديه عن ذراعيّ الكرسي وحدث إلى قفاز اللاتكس،
نزعه.

"هل هذا غريب بالنسبة إليك بيلى؟"
"تماماً".

"هل تتخيل ماذا سيحصل لاحقاً؟"
"ليس تماماً".

"هل تهتم، بيلى؟".

"ليس بقدر ما كنت أعتقد".

أطلق فاليس رصاصة، دخلت الرصاصة في الظهر العريض
للكرسي، على مسافة إنشين فقط من كتف بيلى.
في اللاوعي، عرف أن الطلقة آتية صوبه، رأى في عقله الغراب
على حافة النافذة، الغراب الساكن والصامت والمراقب، ثم جاء الدوي،
ولم يجفل أو يطرف بعينيه، وإنما جلس لامبالياً.
أخفض فاليس المسدس، جلس في الكرسي قبالة بيلى.
أغلق بيلى عينيه، وأرجع رأسه إلى الخلف.
قال فاليس: "كان في وسعي قتلك بطريقتين من دون ترك
الغرفة".

هذا صحيح حتماً، لم يسأل بيلى كيف.

قال فاليس: "لا بد أنك متعب جداً".

"جداً".

"كيف حال يدك؟".

"لا بأس، فيسودين".

"وجينك؟".

"جيد".

تساءل بيلى إذا كانت عيناه تتحركان تحت جفنيه، مثلما تفعل
باربارة أحياناً في أحلامها، شعر أن عينيه ساكتتان.
قال فاليس: "كنت أخطط لجرح ثالث لك".
"ألا تستطيع الانتظار حتى الأسبوع المقبل؟".
"أنت رجل مضحك، بيلى".
"لا أشعر أنني مضحك".
"هل تشعر بالارتياح؟".
"ممممممم".
"هل أنت متفاجئ من ذلك؟".
فتح بيلى عينيه. "نعم، هل أنت متفاجئ؟".
قال الفنان: "لا، رأيت الاحتمال لديك".
"متى؟".

"في قصصك القصيرة، قبل أن ألتقي بك". وضع فاليس المسدس
جانباً على طاولة قرب كرسيه. "ظهرت قدراتك بوضوح في
الصفحات، وعندما بحثت في حياتك، أصبحت القدرات أكثر
وضوحاً".

"قتل أهلي".

"ليس إلى هذا الحد، فقدان الثقة".

"فهمت".

"من دون ثقة، لا يمكن أن يستريح العقل".

قال بيلى: "لا راحة، ليس من سلام حقيقي".

"من دون ثقة، لا يوجد اعتقاد راسخ، لا يوجد اعتقاد راسخ في

اللطافة، أو الكمال، أو أي شيء".

"يبدو أنك تعرف عني أكثر مما أعرف".
قال فاليس: "حسناً، أنا أكبر سنّاً، وأكثر خبرة".
قال بيلي: "أكثر خبرة بكثير، منذ متى خططت لهذا الأداء؟ أليس
يوم الاثنين في المشرب؟".
قال فاليس: "قبل أسابيع وأسابيع، الفن العظيم يتطلب التحضير".
"هل التزمت مشروع اللوحة الجدارية لأنني هنا، أم جاء الالتزام
بالمشروع قبلاً؟".
أجاب فاليس: "الاثنان معاً، كان الأمر مصادفة، غالباً ما تكون
الأشياء هكذا".
"مذهل، وها نحن الآن".
"نعم، ها نحن الآن".
قال بيلي، وهو يستعيد كلمات فاليس حول أسلوب هذا الإنتاج:
"حركة، سرعة، تأثير".
"حسب ما وصل إليه الأداء الآن، أظن أنه يجدر بنا القول
"حركة، سرعة، حرية".
"مثل السمك".
"نعم، مثل السمك، هل تريد الحرية، بيلي؟".
"نعم".
"أنا حر تماماً".
قال بيلي: "كم مضى وقت علي...؟".
"اثنان وثلاثون عاماً، منذ أن كان عمري ستة عشر عاماً، التجارب
الأولى كانت محرّجة؛ عمل فظ، لا سيطرة، لا تقنية، لا أسلوب".
"لكن الآن...".
"الآن، أصبحت ما أنا عليه، هل تعرف اسمي؟".

نظر بيلى إلى تلك العينين الرماديتين اللامعتين.
أجابه فاليس: "نعم، أرى ذلك، أنت تعرف اسمي".
خطرت فكرة لبيلى، وانحنى إلى الأمام في كرسيه، وهو يشعر
ببعض الفضول. "هل بقية العاملين في مشروعك...؟".
"ما بهم؟".
"هل هم... نجاحات سابقة لك؟".
ابتسم فاليس قال: "أوه لا، لم يرَ أي منهم مجموعتي، الرجال
مثلك ومثلي... نحن صنف نادر، بيلى".
"أفترض ذلك".
"لديك ربما الكثير من الأسئلة حول كل ذلك".
"عندما أحصل على بعض النوم ربما".
"ذهبت إلى منزل الشرطي أولسن قبل قليل، تركته نظيفاً تماماً".
كشّر بيلى. "لم تزرع أي دليل هناك، أليس كذلك؟".
"لا، لا، عرفت أننا نقترب من هذه اللحظة، فلا حاجة إلى
تعذيبك أكثر، تحولت فقط في منزلك، متأملاً بإعجاب طريقة
تفكيرك، وكم أنت حريص".
تشاءب بيلى. "الأدلة الظرفية، أخاف منها".
"لا بد أنك متعب جداً".
"أنا مرهق".
"لدي غرفة نوم واحدة فقط، لكنك تستطيع النوم على الأريكة".
هزّ بيلى رأسه. "هذا يذهلني".
"إنني مضياف؟".
"لا، أنني موجود هنا".
"الفن يحول، بيلى".

"هل سأشعر بشيء مختلف عندما أستيقظ؟"
قال فاليس: "لا، لقد اتخذت خيارك".
"كانت شيئاً تلك الخيارات".
"منحتك فرصة لفهم إمكاناتك".
"تبدو هذه الأرائك نظيفة جداً، وأنا متسخ".
قال فاليس: "أنت جيد، إنها مغلقة بمادة واقية".
فيما نهضا في الوقت نفسه عن الكرسيين، سحب بيلى قنينة رذاذ
مايس من تحت قميصه القطني.
تفاجأ فاليس على ما يبدو، وحاول برم وجهه بعيداً.
كانا على مسافة عشر أقدام فقط، فرش بيلى الرذاذ على عينيه.
أصيب فاليس بالعمى، وبحث عن المسدس الذي على الطاولة لكنه
أوقعه أرضاً.
مرّ بيلى أمامه، ورفع المسدس، فيما تشبث فاليس في الهواء محاولاً
العثور عليه.
استدار بيلى حول القاتل، وضرب الجهة الخلفية لجمجمته بعقب
المسدس، ثم ضربه مجدداً.
على عكس رشاقته المعهودة، انهار فاليس على الأرض على
وجهه، ركع بيلى على ركبتيه للتأكد من عجز القاتل، كان عاجزاً.
كان فاليس يضع قميصه تحت سرواله، أرخاها بيلى ورفعها فوق
رأس الرجل بحيث تحولت إلى قلنسوة بعد ربط طرفيها ببعضهما.
الهدف ليس عصب عينيّ فاليس وإنما تكوين ضمادة في حال
بدأت فروة رأسه تنزف حيث ضربه بالمسدس، أراد بيلى تفادي بقع
الدم على السجادة.

الفصل 72

أدخل بيلى يديه في قفاز من اللاتكس، باشر بالعمل.
كانت حجرة النوم أكثر فخامة من بقية المنزل المتحرك، وكان
الحمام نظيفاً ولامعاً، مثل جوهرة من الرخام والزجاج والمرايا
والأكسسوارات المطلية بالذهب.
في أعلى المكتب في حجرة النوم، ثمة شاشة حساسة للمس توفر
تحكماً بالأنظمة الإلكترونية من الموسيقى إلى جهاز الأمان.
يبدو أنه تبرز الحاجة إلى رمز سري للنفوذ إلى أوامر التحكم هذه،
لكن فاليس ترك لحسن الحظ النظام مفتوحاً بعد استعماله لإسدال
الستائر فوق النوافذ.
كشفت كل أوامر التحكم عن لصائق واقية، فتح بيلى قفل الباب
الأمامي.
في غرفة الجلوس، لا يزال فاليس فاقد الوعي، ورأسه مغطى
بقميصه.
قام بيلى بجرّ فاليس خارج حجرة الجلوس، عبر حجرة الطعام
والمطبخ، وصولاً إلى الردهة الأمامية. نزل الدرج وخرج من المنزل
المتحرك.
بقيت أقل من ساعة واحدة من الظلمة، كشف الهلال الصغير
الآن عن نجوم وراء الأفق الغربي.
ركن سيارة الإكسبلورر بين الخيمة والمنزل المتحرك، بعيداً عن
الطريق السريع، ما من سيارات مارة.

جرّ فاليس إلى السيارة الرباعية الدفع.
لا يعيش أحد في الجوار، سيبقى المشرب قبالة الطريق العام خالياً
لساعات طويلة.

عندما أطلق فاليس النار على الكرسي، لم يكن هناك أحد
لسمعه.

فتح بيلى الباب الخلفي للسيارة، أخرج إحدى البطانيات المضربة
التي استخدمها لإخفاء جثة رالف كوتل المسكين، بسط البطانية في
أرضية صندوق السيارة.

على الأرض، تحرك فاليس، بدأ يصدر صوت أنين.
شعر بيلى فجأة بالضعف، يارهاق في العقل والقلب أكثر من
التعب الجسدي.

العالم يدور والعالم يتغير، لكن شيئاً واحداً لا يتغير، مهما حاولت
إخفاءه، لا يتغير هذا الشيء: إنه الصراع الدائم بين الخير والشر.
مع بطانية أخرى، ركع بيلى قرب الفنان المشهور، أقحم مسدسه
في إحدى الطيات المضربة للبطانية، وجعلها بمثابة كاتم للصوت، وأطلق
الرصاصات الخمس الباقية في صدر القاتل.

لم يجرؤ على الانتظار لمعرفة إذا تم سماع صوت المسدس هذه المرة،
فتح فوراً البطانية المطوية ولفها حول الرجل الميت.

تبين أن وضع الجثة في سيارة الإكسبلورر أكثر صعوبة مما توقع،
كان فاليس أثقل من رالف كوتل.

إذا كان هناك شخص يصوّر بيلى، لصورّ بالكاميرا فيلماً كوميدياً
كلاسيكياً.

بعد لف فاليس بالبطانية ووضعه في السيارة، أغلق بيلى باب
الصندوق وعاد إلى المنزل المتحرك.

الرصاصية التي أطلقها فاليس احترقت الكرسي المبطن وخرجت من ظهره، أحدثت ضرراً في الجدار الذي خلفها. حاول بيلى البحث عنها هناك.

بما أنه تم قتل والده ووالدته بمسدس من عيار 0.38 ملم. توجد ملفات جنائية للمسدس، لا يظن أنه يوجد احتمال كبير لإجراء تطابق، لكنه لا يريد أن يجازف على الإطلاق. خلال دقائق قليلة، عثر على الرصاصية المعدنية تحت طاولة القهوة، وضعها في جيبه.

ستعرف الشرطة أن الثقب في متن الكرسي ناجم عن سلاح ناري، ستعرف الشرطة أنه تم استعمال سلاح، ولن يكون في وسعها فعل أي شيء حيال ذلك.

إلا أن الشرطة لن تعرف ما إذا كان فاليس أو هو من أطلق النار، من دون دم، لن تتمكن الشرطة من معرفة من هو الشخص الذي لحق به الضرر.

استدار بيلى ببطء في دائرة كاملة، واسترجع ذاكرته، وحاول أن يتذكر ما إذا كان قد لمس أي سطح وترك عليه بصماته خلال الوقت القصير الذي نزع فيه القفاز من يديه، لا، المكان نظيف.

ترك الستائر الفولاذية مسدلة، ترك ألواح الطارة مرفوعة للكشف عن مجموعة الوجوه والأيدي، لم يغلق الباب عندما خرج من المنزل المتحرك، تركه مفتوحاً كما لو أنه يدعو إلى دخوله.

يا لها من مفاجأة بالنسبة إلى فريق الفنانين والحرفيين.

لم تكن هناك أي سيارات على الطريق العام في الوقت الذي ابتعد فيه عن المنزل المتحرك، خارج المرج الأخضر، وصولاً إلى الزفت.

ستختفي الآثار التي تركتها إطارات سيارته في الغبار، إذا تركت
أصلاً أي آثار، عندما يصل فريق العمل بعد ساعات قليلة.

الفصل 73

عاد مرة جديدة إلى أنبوب الحمم، هذه المرة من طريق مختلف لتفادي ترك الآثار نفسها في الشجيرات كما حدث قبلاً.
فيما رفع بيلى الغطاء الأحمر الخشبي، ظهرت أولى علامات الفجر حول أطراف الجبال في الشرق.
من غير الملائم تلاوة دعاء.

كما لو أن جاذبيته الخاصة أكبر من جاذبية الجثث الثلاث السابقة، سقط فاليس في الأنبوب الجائع بسرعة أكبر مما فعل الموتى الآخرون قبله.

عندما اختفت أصوات انحدار الجثة وساد الصمت، قال بيلى:
"أكبر وأكثر خيرة، أيها الحقير". ثم تذكر رمي محفظة لاني في الأنبوب، وأعاد الغطاء إلى مكانه.

فيما قاوم الليل عبثاً الضوء الأول للفجر، ركن بيلى سيارة الإكسبلورر في الفناء وراء مرأب لاني، ودخل المنزل.

إنه يوم الخميس، اليوم الثاني في إجازة لاني الممتدة على يومين، لا يحتمل أن يسأل عنه أحد أو يأتي أحد للبحث عنه قبل يوم الجمعة.

بالرغم من أن فاليس أنكر ترك أي دليل إضافي بعد زيارة بيلى الليلة الماضية، قرر بيلى تفتيش المنزل مرة جديدة. لا يمكنك ببساطة الوثوق ببعض الأشخاص.

بدأ في الطابق العلوي، وتحرك بتعب فائق، وعندما وصل إلى المطبخ، لم يعثر على أي شيء يدينه.

شعر بالعطش فأخذ كوباً من خزانة وملاه بالماء البارد، لا يزال
يضع القفاز في يديه، فلم يقلق بشأن ترك بصمات.
روى عطشه، فشطف الكوب الزجاجي وجففه بفوطة مطبخ،
وأعادته إلى الخزانة التي أخرجته منها.
ثمة شيء غير صحيح.

شكّ في أنه فوتّ تفصيلاً يحتمل أن يدينه، كان منهكاً من الإرهاق،
فحرك نظره مرة جديدة بحثاً عن أدلة مُدنية من دون الكشف عن أهمية.
عاد إلى غرفة الجلوس مرة جديدة، فتحرك حول الأريكة التي
وضع عليها فاليس جثة رالف كوتل، ما من بقع تلتخ المفروشات أو
السجادة المحيطة.

رفع بيلي الوسادات لرؤية ما إذا كان قد وقع شيء من جيوب
كوتل بينها، عندما لم يعثر على أي شيء، أعاد الوسادات إلى مكانها.
بقي بيلي مغموراً بإحساس الريبة في أنه أهمل شيئاً ما، فجلس
للتأمل. بما أنه كان متسخاً، لم يجازف في تلوّث كرسي وإنما جلس
على الأرض وشبك ساقيه مع تنهيدة تعب.

لقد قتل للتو رجلاً، أو شيئاً أشبه برجل، لكنه لا يزال يخشى من
تلويث المفروشات، بقي شاباً مهذباً، متوحشاً مرتباً.

اعتبر هذا التناقض مضحكاً، فضحك بصوت عال، كلما ضحك
أكثر، وجد مراعاته للمفروشات أكثر هزلية، ثم راح يضحك على
ضحكته، مستمتعاً باستهتاره غير الملائم.

عرف أنها ضحكة خطيرة، يمكن أن تسلب منه توازنه، تمدد على
السجادة، مستلقياً على ظهره، وتنفس بعمق لتهدئة نفسه.

خفّت الضحكة، وتنفس بعمق أقل، وسمح لنفسه نوعاً ما بالخلود
إلى النوم.

الفصل 74

استيقظ بيلى مرتبكاً، نظر لبرهة إلى قوائم الكراسي والأرائك حوله، وظن أنه نام في ردهة فندق، وتساءل كم أن إدارة الفندق راعته بعدم إزعاجه.

ثم أيقظته الذاكرة تماماً.

هُض على قدميه، وأمسك بذراع الأريكة بيده اليسرى، هذا خطأ، كان جرح المسمار ملتهباً، بكى وكاد يقع، لكنه لم يقع. بدا النهار خلف الستائر المسدلة ساطعاً ومتقدماً في ساعاته.

عندما نظر إلى ساعة يده، رأى أنها الساعة 5:02 بعد الظهر، لقد نام تقريباً عشر ساعات، أصيب بالهلع، وخفق قلبه مثل أجنحة مسعورة، ظن أن غيابه غير المبرر سيحعله مشتتاً رئيساً في اختفاء فاليس.

ثم تذكر أنه اتصل زاعماً المرض لليوم التالي، لا يتوقعه أحد في أي مكان، ولا يعرف أحد أن هناك رابطاً يجمعه بالفنان الميت.

إذا أرادت الشرطة البحث عن أحد، ستبحث عن فاليس نفسه، لسؤاله أسئلة محددة بشأن محتويات الأوعية في غرفة جلوسه.

في المطبخ، أخرج بيلى كوباً من الخزانة، ملاء بماء من الصنبور. فتش في جيوب سروال الجينز خاصته، فعثر على حبيتي أناسين فتناولهما مع الماء، وابتلع أيضاً قرص سايرو وقرص فيسودين.

شعر لبرهة بالغثيان، لكن الإحساس اختفى، ستتفاعل ربما كل الأدوية مع بعضها بطريقة مميتة وتطرحة أرضاً بين خطوة وأخرى، لكنه لن يتقيأ على الأقل.

لم يعد مكثرثاً للإحساس أنه ترك دليلاً جرمياً في هذا المنزل، ذلك الخوف كان عارض إرهاق، بعد أن ارتاح الآن، وراجع تدابيرهِ الوقائية، عرف أنه لم يفوت أي شيء.
بعد إقفال المنزل، أعاد المفتاح الاحتياطي إلى الفتحة في جذع الشجرة.

مستفيداً من ضوء النهار، فتح الباب الخلفي لسيارة الإكسبلورر وتحقق من أرضية مساحة الصندوق بحثاً عن دم فاليس، لم يتسرب أي دم عبر البطانيات، وذهبت البطانيات مع الجثة إلى أنبوب الحمام.
ابتعد عن منزل أولسن بارتياح، بتفاؤل حذر، وإحساس كبير بالنصر.

بدا موقع مشروع فاليس مثل معرض لبيع السيارات الخاصة فقط
برجال الشرطة.

تحركت الكثير من البدلات حول المنزل المتحرك والخيمة واللوحة الجدارية، لا شك في أن الشريف جون بالمر بينهم لأنه توجد أيضاً عربات تلفاز مركونة على جانب الطريق الرئيس.
أدرك يبلي أنه لا يزال يضع قفاز اللاتكس، حسناً، لا مشكلة، لن يراه أحد ويتساءل لماذا، لم تبق مساحة واحدة فارغة في مرأب سيارات المشرب، أخبار فاليس ومجموعته المروعة ستحضر كل الزبائن الدائمين إضافة إلى زبائن جدد، مع شيء للتحدث عنه غير الحيوانات المقززة ذات الأدمغة البشرية، لحسن حظ جاكي.

عندما رأى يبلي منزله، أحس بالارتياح، المنزل، بعد موت الفنان لا حاجة إلى تغيير مفاتيح الأقفال، لقد عاد الأمان مجدداً، والخصوصية.
في المرأب، نظف سيارة الإكسبلورر ووضع النفايات في كيس، ورتب مفك البراغي والأدوات الأخرى.

في مكان ما من هذا المنزل، توجد تذكارات جرمية، ولا بد من إجراء بعض التنظيفات الأخيرة.

عندما اجتاز عتبة المطبخ، ترك فطرته ترشده، لا يحتمل أن يكون فاليس أحضر يد جيزيل وينسلو إلى هنا في وعاء زجاجي مليء بالفورمالديهايد، فمثل هذا الوعاء سيبدو غريباً ولا يتيح العمل السريع، أوحى له فطرته بالحل الأكثر بساطة.

ذهب إلى البراد وفتح دُرج الثلاجة في الأسفل، بين أوعية البوظة ورزم بقايا الطعام، وجد شيئين ملفوفين بورق الألمنيوم لم يتعرف إليهما.

فتحهما على الأرض: يدان، كل منهما من امرأة مختلفة، تنتمي واحدة منهما على الأرجح إلى المرأة الصهباء.

استخدم فاليس ورق الألمنيوم الجديد غير اللاصق، سيسرّ الصانع حين يعرف أن المنتج نجح مثلما روج له.

لم يستطع بيلي منع نفسه من الارتجاف فيما أعاد لف اليدين، فكر لبرهة أنه أصبح معتاداً على الرعب، لكن هذا غير صحيح.

قبل أن ينتهي اليوم، عليه رمي كل محتويات الثلاجة، لا يمكن أن يكون قد حصل أي تلوث، لكن فكرة التلوث جعلته يشعر بالغثيان، عليه التخلص من البراد نفسه.

أراد اليدين خارج المنزل، لا يتوقع أن تأتي الشرطة إلى بابه مع إذن بالتفتيش، لكنه أراد اليدين بعيداً على كل حال.

دفنهما في مكان ما في المنزل هو فكرة سيئة، سيعاني على الأقل من كوابيس يرى فيها اليدين تخرجان من القبور وتدخلان المنزل ليلاً.

إلى أن يقرر ماذا سيفعل بهما، وضع اليدين المجلدتين في براد صغير.

أخرج من محفظته الصورة المطوية لوالف كوتل حين كان شاباً، وبطاقة عضوية كوتل في الجمعية الأميركية للمشككين، وصورة المرأة الصهباء، لقد احتفظ بما ظناً منه أنه سيقلب الطاولة على القاتل من خلال زرع أدلة ضده، إلا أنه رماها الآن في البراد الصغير مع اليدين. حمل الهاتف الخليوي الخاص بلاني، تردد لبرهة في إضافته إلى البراد الصغير، كما لو أن اليدين ستخرجان من ورق الألمنيوم وتطلبان الرقم 911، وضع الهاتف الخليوي على طاولة المطبخ، لإخراج اليدين من المنزل، أخذ البراد الصغير إلى المرأب ووضعه في سيارة الإكسبلورر، على الأرض أمام المقعد قرب السائق، أقفل المرأب وراه بعدما خرج. اختفى حرّاً بعد الظهر، السادسة وست وثلاثون دقيقة.

حلق نسر في الأعالي مع آخر أضواء النهار. وقف يبلي يراقب فيما رسم الطائر أشكالاً دائرية. ثم دخل المنزل، متشوقاً لأخذ حمام ساخن بقدر ما يستطيع التحمل. التعاطي مع يديّ المرأتين قمع شهيته، لا يظن أنه سيشعر بالارتياح لتناول الطعام في المنزل.

قد يعود ربما إلى محطة القطارات لتناول العشاء، شعر وكأنه يدين للنادلة، جاسمين، ببقشيش أكبر من ذاك الذي تركه لها البارحة. في الردهة، متوجهاً إلى الحمام، رأى يبلي نوراً في مكتبه، عندما نظر عبر الردهة، رأى الستائر مسدلة، مثلما تركها.

لا يتذكر أنه ترك مصباح المكتب مضاء، لكنه كان مستعجلاً للتخلص من جثة كوتل، من دون الذهاب إلى المكتب، أطفأ المصباح. بالرغم من أن كوتل لم يعد جالساً على كرسي الحمام، استطاع يبلي تذكره بسهولة كيف كان جالساً هنا، إلا أنه الحمام الوحيد الذي لديه، وتبين أن رغبته في الاستحمام أكبر من اشمزازه.

نبح الماء الساخن في تخفيف آلام عضلاته تدريجياً. فاحت رائحة الصابون الرائحة.

شعر مرتين بخوف شديد وراء ستارة الحمام وأصبح نصف مقتنع أنه أدى دور جانيت لاي في فيلم Psycho.

في النهاية، نبح لحسن الحظ في الاستحمام من دون ترك ستارة المغطس مفتوحة، أنهى الاستحمام من دون التعرض لطعنة سكين.

تساءل كم سيمضي من الوقت قبل أن يتغلب على خوفه، بقية حياته على الأرجح.

بعد تخفيف نفسه بالمنشفة وارتداء الثياب، وضع ضمادة نظيفة على الجروح في جبينه.

ذهب إلى المطبخ، وفتح قنينة شراب شعير دانماركي واستخدمها لتناول حبيتي موترين، أقلقه قليلاً الالتهاب في يده اليسرى.

جلس أمام الطاولة مع قنينة شراب الشعير، وبعض لوزام الإسعافات الأولية، حاول إدخال اليود في جرح المسمار، ثم وضع طبقة جديدة من الضماد السائل.

وراء النوافذ، اقترب مغيب الشمس.

ينوي الذهاب إلى وايسرينغ باينز وتمضية بضع ساعات، تدبر تمضية الليل هناك بذريعة التضرع؛ لكن بالرغم من نومه لعشر ساعات، لا يظن أنه قادر على البقاء لهذا الوقت الطويل هناك، فبعد موت فاليس، لم يعد لمنتصف الليل أي معنى.

فيما كان يبلي يعتني بجرح المسمار، وهو جالس على الطاولة يشرب شراب الشعير، وقع نظره على المايكرووايف، كاميرا الفيديو.

طوال هذا الوقت، كان يسجل نفسه أمام الطاولة، ثم أدرك أنه صور نفسه وهو يخرج اليدين من الثلاجة، تملك الكاميرا عدسة

عريضة، لكنه لا يعتقد أنها سجلت عمله المروع بطريقة جيدة كفاية لتكون دليلاً.

لكن...

أحضر السلم الصغير من غرفة الأكل، تسلقه وفتح الخزانة الموجودة فوق المايكرووايف.

باستعمال نمط الإرجاع إلى الخلف، تأمل الشاشة الصغيرة، ورأى نفسه يمشي إلى الخلف في المطبخ، لم تكشف زاوية العدسة اليدين المبتورتين.

تساءل فجأة ما إذا كان فاليس قد زار المنزل لغرض معين بين الوقت الذي تركه فيه بيلى في اليوم السابق ولقائهما في المنزل المتحرك قبل الفجر، فاستمر في إرجاع التسجيل إلى الخلف بعد دخوله المنزل قرابة الساعة السادسة.

لم يضطر إلى مراجعة كل اليوم الفائت، فعند الساعة 3:07 من هذا اليوم، فيما كان بيلى نائماً في منزل أولسن، دخل رجل من غرفة الجلوس، وعبر المطبخ متوجهاً إلى الباب، ثم خرج من المنزل. لم يكن الزائر فاليس، طبعاً، لأن فاليس مات.

الفصل 75

لم يستطع بيلى تذكر الرقم، استخدم هاتف لاني الخلوي فطلب دليل الهاتف في دنفر، وقاموا بتحويله إلى التحري رامسي أوزغارد.

مشى بيلى بتوتر فيما رنّ الهاتف هناك في ظلال الروكيز. كان فاليس واثقاً ربما من حديث بيلى لأنه قام قبلاً بإخضاع شخص بدل تدميره، ما من أحد مثله في الفريق المؤلف من ستة عشر شخصاً، لكن هذا لا يعني أن الفنان وحده القاتل.

أجاب رامسي أوزغارد بعد الرنة الخامسة، وعرف بيلى عن نفسه على أنه لاني أولسن، قال أوزغارد: "أسمع حيوية في صوتك، حضرة الشرطي، قل لي إنك قبضت على رجلك".

قال بيلى: "أظن أنني سأفعل بعد فترة وجيزة، لديّ وضع طارئ هنا، أريد أن أعرف في السنة التي اختفت فيها جوديث كيسلمان، هل كان هناك أستاذ في الجامعة اسمه فاليس؟".

قال أوزغارد: "ليس أستاذاً، كان الفنان المقيم طوال ستة أشهر، وعند انتهاء مدته، فعل ذلك الشيء السخيف الذي أسماه فن الأداء، فقام بلف مبنيين من الجامعة بألاف الياردات من الحرير الأزرق وربطهما بـ...".

قاطعه بيلى: "امتلك ستيف زيليس عذراً مثالياً". طمأنه أوزغارد: كان عذراً محكماً تماماً، أستطيع سرده لك إذا كانت لديك عشر دقائق".

"لا أملك الوقت، لكن قل لي هل تذكر ما كان اختصاص زيليس في الجامعة؟".

"كان يدرس الفنون".

"الحقير".

لا عجب أن زيليس لم يشأ التحدث عن العارضات البلاستيكية، لم تكن مجرد تعبير عن الأحلام المريضة لقاتل مجرم؛ وإنما كانت منه. في تلك المرحلة، لم يكن يبلي قد اكتشف بعد الكلمات الأساسية التي ستكشف هوية القاتل؛ فن الأداء، كان يملك فقط الأداء ولم يشأ زيليس منحه بقية العبارة، ليس حين كان يؤدي ببراعة لعبة غير مؤذية.

قال يبلي: "الحقير يستحق جائزة أوسكار، تركت منزله وأنا أشعر بالحقارة بسبب الطريقة التي عاملته بها".

"حضرة الشرطي؟".

"الشهير والمحترم فاليس قام بالشهادة لصالح ستيف زيليس، أليس كذلك؟ قال إن ستيف كان معه في مكان ما يوم اختفت جوديث كيلمان".

"أنت محق، لكن لا يمكنك استنتاج ذلك إلا إذا...".

"شاهد أخبار المساء حضرة التحري أوزغارد، في الوقت الذي اختفت فيه جودي كيلمان، كان ستيف وفاليس يعملان معاً، كانا العذر المبرر لبعضهما بعضاً، هل فهمت؟".

تذكر يبلي الضغط على الزر الأحمر لإنهاء المكالمة قبل رمي هاتفه لاني.

ما زال يحمل مسدس لاني والتايسر Taser، ثبت قراب ويلسون كومبات على حزامه.

من خزانة الحمام، أخرج معطفاً رياضياً وارتداه لإخفاء المسدس بأفضل طريقة ممكنة.

وضع التايسر في الجيب الداخلي لمعطفه.

ماذا كان ستيف يفعل هنا بعد الظهر؟ يفترض أنه عرف حينها باختفاء مرشده واكتشاف مجموعته من الوجوه والأيدي، قد يكون شك ربما في موت فاليس.

تذكر بيلي الضوء في المكتب، ذهب إلى هناك، وتوجه إلى المكتب الخشبي هذه المرة ووجد أن الكمبيوتر غير مطفأ، لم يكن قد شغله شخصياً.

عندما حرك الفأرة، ظهر مستند.

هل يمكن للتعذيب أن يوقف النائم في غيبوبة؟
دمها، تشويهاها سيكون جرحك الثالث.

ركض بيلي مسرعاً في المنزل، طار فوق درجات المصطبة الخلفية، وتعثّر حين هبط، وركض، لقد حل المساء، زعقت بومة، صفقت بجناحيها تحت النجوم.

الفصل 76

عند الساعة 9:06. احتوى مرأب سيارات الضيوف أمام وايسبرينغ باينز على سيارة واحدة فقط، لقد انتهت مواعيد الزيارات عند الساعة التاسعة.

لم يتم إقفال الباب الأمامي بعد، دفعه بيلى إلى الداخل، وتوجه إلى المكتب الرئيس للممرضات، ثم ممرضتان وراء المكتب، يعرفهما كلاً منهما، قال: "أخذت الموافقة للبقاء..."

كانت أضواء السقف مطفأة، أضواء مرأب السيارات مطفأة أيضاً، بدت الردهة الأساسية سوداء مثل أنبوب الحمم تقريباً. ترك الممرضتين في ارتباك، ومشى في الرواق المؤدي إلى الجناح الغربي.

في البداية، استعجل، لكن بعد عشر خطوات تقريباً، في الظلام، ارتطم بكرسي متحرك، فأمسك به وتحسس شكله.

من الكرسي، صرخت امرأة عجوز بخوف: "ماذا يحصل؟ ماذا تفعل؟". طمأنها "سيكون كل شيء بخير، ستكونين بخير"، وتابع طريقه. لم يعد يتحرك بسرعة الآن، ومدّ ذراعيه أمامه مثل رجل أعمى يتحسس العوائق أمامه.

أضيتت مصابيح الطوارئ المثبتة في الجدار ثم أطفئت، ثم أضيتت وأطفئت مجدداً.

صاح صوت رجولي هادئ قائلاً: "الرجاء البقاء في غرفكم، سنأتي إليكم، الرجاء البقاء في غرفكم".

حاولت مصابيح الطوارئ العمل مجدداً، إلا أنها أضيئت بشكل جزئي ثم انطفأت مجدداً.

كانت هذه المصابيح الومضة على نحو متقطع مسببة للارتباك، لكن بيلي استطاع رؤية ما يكفي أمامه لتفادي الارتطام بالناس في الممرات، ممرضة أخرى، حارس، رجل عجوز يرتدي بيجاما ويبدو مذهولاً...

أصدر إنذار الحريق صوتاً إلكترونياً، بدأ صوت مسجل يعطي تعليمات الإخلاء.

ثمة امرأة تمشي على عكاز أوقفت بيلي فيما اقترب منها، وأمسكت بكفه، طلباً للمعلومات، طمأنها فيما تابع طريقه مسرعاً: "أصبح كل شيء تحت السيطرة".

انعطف نحو الجناح الغربي، إلى الأمام، إلى اليمين، كان الباب مفتوحاً.

الغرفة مظلمة، ما من مصباح جداري آخر هنا، حجب جسمه الضوء الخافت النابض من الردهة الغربية.

سمع صرير أبواب، سلسلة من صرير الأبواب، لكنها لم تكن أبواباً وإنما صوت قلبه.

تحسس طريقه نحو السرير، يفترض أن يكون وصل إليه، تقدم بخطوتين إضافيتين، السرير ليس هنا.

استدار حول نفسه، محركاً ذراعيه في الهواء، لم يعثر إلا على الكرسي الصغير.

سريرها مزود بعجلات، قام أحد بنقلها.

عاد إلى الرواق مجدداً، ونظر إلى اليسار، إلى اليمين، خرج بعض

المرضى من غرفهم، ثمة ممرضة ترشدتهم إلى المخرج.

عبر رقصة الضوء والظل، رأى بيلي رجلاً يدفع سريراً في الطرف البعيد للرواق، ويتحرك بسرعة نحو لافتة حمراء وامضة كتب عليها مخرج.

ركض بيلي، وارتطم بالمرضى والمرضات وأشباح الظل. كان الباب في نهاية الرواق مفتوحاً فيما مرر الرجل السرير عبره. أمسكت ممرضة بذراع بيلي، وأوقفته، حاول إفلات نفسه، لكن قبضتها كانت قوية.

قالت: "ساعدني على إخراج بعض المرضى العالقين في أسرّتهم من هنا".

"لا يوجد حريق".

"لا بد من وجود واحد، علينا إخلاؤهم".

قال: "زوجتي، تحتاج زوجتي إلى المساعدة"، بالرغم من أنه لم يتزوج أبداً من باربارة.

أفلت من الممرضة، وكاد يوقعها أرضاً، وأسرع نحو اللافتة التي كتب عليها مخرج.

خرج عبر الباب، ووصل إلى الظلمة، ثمّة سيارات وعربات في مرأب سيارات الموظفين.

لبرهة، لم ير الرجل ولا السرير.

هناك، ثمّة سيارة إسعاف تنتظر على مسافة ثلاثين قدماً، إلى اليسار، ومحركها قيد العمل، كان بابها الخلفي مفتوحاً، كاد الرجل الذي يجرّ السرير أن يصل إليه.

سحب بيلي مسدس عيار 9 ملم، لكنه لم يجرؤ على استعماله، قد يصيب باربارة، اجتاز العتبة، وأعاد المسدس إلى قرابه ثم أخرج التايسر من الجيب الداخلي لمعطفه.

في اللحظة الأخيرة، سمع ستيف وصول بيلى، يملك القاتل
مسدساً، أطلق النار مرتين فيما استدار.
كان بيلى قد أصبح تحت ذراع ستيف، حلق الرصاص فوق
رأسه.

وضع طرف مسدس التايسر في بطن ستيف، وضغط على الزناد،
عرف أن المسدس سيحترق القميص الرقيق، لكنه لم يتأكد أبداً من
احتواء المسدس على بطاريات جديدة.

تشنج زيليس فيما أحدثت الصدمة الكهربائية فوضى في جهازه
العصبي، لم يوقع مسدسه أرضاً، وإنما رماه بعيداً، انحنى ركبتاه،
ارتطم رأسه بسيارة الإسعاف فيما وقع أرضاً.

ركله بيلى، حاول ركله في رأسه، ركله مجدداً.
سيأتي رجال الإطفاء، الشرطة، الشريف جون بالمر، عاجلاً أو
آجلاً.

وضع يده على وجه باربارة، أحس بنفسها على راحة يده، تبدو
بخير، أحس أن عينيها تتحركان تحت جفنيها، وهي تحلم بديكنز.
نظر مجدداً إلى وايسبرينغ باينز، فرأى أن أحداً لم يخرج بعد من
المخرج الغربي.

وضع سرير باربارة جانباً.
على الأرض، كان ستيف يتقلب ويقول: "أوننن، أوننن،
أوننن" في محاولة فاشلة لمحاكاة نوبة صرع.

ضربه بيلى مجدداً بمسدس التايسر، ثم وضع المسدس في جيبيه.
أمسك بالقاتل بحزامه، بياقة قميصه ورفع عن الزيت الأسود، لم
يظن أنه يملك القوة الكافية لرفع زيليس ورميه في الجهة الخلفية لسيارة
الإسعاف، لكن يبدو أن الذعر ملاءه بشحنة قوية من الأدرينالين.

ارتطمت أصابع اليد اليمنى للقاتل بباب سيارة الإسعاف،
وكذلك فعلت الجهة الخلفية لجمجمته.

أغلق بيلى الباب، وأمسك بدرابزون سرير باربارة ودفعه نحو
وايسرينغ باينز.

عندما أصبح على مسافة أقل من عشر أقدام من الباب، فُتح الباب
وظهر حارس يساعد مريضاً يمشي على عكاز.

قال بيلى: "إنها زوجتي، أخرجتها، هلا اعتنيت بها فيما أساعد
أشخاصاً آخرين؟".

طمأنه الحارس: "لا تقلق، من الأفضل أن أبقياها على مسافة بعيدة
إذا كان هناك حريق".

حسَّ الحارس الرجل الذي يمشي على العكاز للحاق به، ودفع
باربارة بعيداً عن المبنى وإنما بعيداً أيضاً عن سيارة الإسعاف المنتظرة.

عندما جلس بيلى وراء المقود، وأغلق باب السائق، سمع القاتل
يضرب بقدميه على شيء ما ويصدر أصواتاً مخنوقة يبدو أنها شتائم.

لا يعرف بيلى كم سيدوم تأثير التايسر، من غير الملائم ربما تخني
حصول نوبات تشنح، لكن هذا ما فعله.

عثر على دواسة المكبح، على علبة تغيير السرعة وتوجه بسيارة
الإسعاف إلى الجهة الأمامية للمبنى، حيث ركنها قرب سيارة
الإكسبلورر خاصته.

ثمة أناس يخرجون من المبنى نحو مرأب السيارات، كانوا مشغولين
جداً للانتباه إليه.

نقل اليراد الصغير المشتعل على اليدين المبتورتين إلى سيارة
الإسعاف ثم ابتعد من هناك، سار مسافة مبينين قبل أن يتعرف إلى زر
صفارة الإنذار.

عندما مرّ أمام شاحنات الإطفاء، الآتية في اتجاه فينيارد هيلز، كانت سيارة الإسعاف في أقصى سرعتها، وتدوي صفاراتها بأعلى صوت.

تصور أنه كلما لفت الانتباه أكثر إلى نفسه، تضاعل الشك فيه، تخطي السرعة المسموح بها وهو متوجه إلى شمال شرق البلدة، ثم استدار شرقاً نحو الطريق المؤدي إلى منزل أولسن.

حين ابتعد مسافة ميلين عن البلدة، وباتت كروم العنب على جانبي الطريق، سمع القاتل يدندن بتناسق أكبر ويركل الأشياء حوله في الخلف، وكان يحاول النهوض بلا ريب.

أراح بيلى السيارة إلى حافة الطريق، وركنها، وترك صفارة الإنذار قيد العمل، تسلق بين المقاعد للتوجه إلى الخلف.

كان زيليس راكعاً على ركبتيه، متشبثاً بأسطوانة الأوكسيجين، سعى جاهداً للوقوف على قدميه، كانت عيناه ساطعتين، مثل عينيّ ذئب في الليل.

ضربه بيلى مجدداً، فانقلب زيليس وسقط، لكن التايسر ليس سلاحاً قاتلاً.

إذا أطلق النار على المجرم، قد يتناثر الدم فوق كل المعدات في سيارة الإسعاف ويسبب فوضى عارمة، وأدلة.

ثمة وسادتان رقيقتان على محل بعجلات، أمسكهما بيلى معاً. كان زيليس مسطحاً على ظهره، يحرك رأسه من جانب إلى آخر، من دون أي قدرة للسيطرة على عضلاته.

ركع بيلى فوق صدره بكلتا ركبتيه، وأخرج منه النفس، وضربه أكثر من مرة على ضلوعه، ووضع الوسادتين فوق رأسه. حاول المجرم المكافحة للعيش، لكن جهوده باءت بالفشل.

لم يستطع بيلي الانتهاء من ذلك، جعل نفسه يفكر في جوديث
كيسلمان، في عينيها الحيويتين، في ابتسامتها الفاتنة، وتساءل إذا كان
زيليس قد أدخل قضيباً حديدياً فيها، ما إذا كان قطع أعلى جمجمتها
فيما كانت لا تزال حية وأعطاه إليها بمثابة كوب للشرب.
ثم انتهى.

بكي ولكن ليس على زيليس، ثم عاد مرة جديدة إلى عجلة
القيادة، انطلق على الطريق السريع، قبل مسافة ميلين من المنعطف
المؤدي إلى منزل أولسن، أطفأ بيلي صفارات الإنذار، أبطأ سرعة
السيارة.

بما أن الإنذار في وايسرينغ باينز كان زائفاً، لن يبقى رجال
الإطفاء لوقت طويل هناك، وفي الوقت الذي سيعيد فيه سيارة
الإسعاف مجدداً، سيكون مرأب سيارات الموظفين فارغاً مجدداً.
لقد ترك مفك البراغي في المنزل، لكنه واثق من أن لاني يملك
واحد، يستطيع استعارته، لن يمانع لاني.
فيما وصل إلى المنزل، رأى الهلال الصغير، الذي كان أكثر
سماكة قليلاً من الليلة الفائتة، ولمعانه الفضي أقوى قليلاً ربما.

الفصل 77

طوال السنة، يكون الوادي موطناً لطيور الحمام، لعصافير الدوري ولعصافير الجنك المزرقة.

مكثت هذه السنة أيضاً طيور الباز الأميركية ذات الأجنحة الطويلة والذبول الطويلة، كان ريشها المميز ساطعاً ومرحاً، أطلقت صرخات عالية شبيهة بعبارة كيلى كيلى كيلى كيلى التي يفترض ألا تكون لطيفة على السمع، لكنها كانت.

اشترى بيلى براداً جديداً، ومايكرووايف.

هدم جداراً، وجمع غرفة الجلوس مع المكتب لأنه ينوي استعمال المساحة بطريقة مختلفة عما كان يفعل قبلاً.

بعد اختيار لون أصفر مرح، أعاد طلاء كل غرفة.

رمى السجادات والمفروشات، واشترى كل شيء من جديد لأنه لا يعرف أين كانت تجلس أو تستلقي المرأة الصهباء عندما تم خنقها أو قتلها.

فكّر في هدم المنزل وإعادة بنائه من جديد، لكنه أدرك أن المنازل غير مسكونة، نحن المسكونين، وبغض النظر عن الهندسة التي نحيط بها أنفسنا، تبقى أشباحنا معنا إلى أن نصبح أشباحاً.

حين لا يعمل في المنزل أو وراء طاولة الشراب في المشرب، كان يجلس في الغرفة في وايسرينغ باينز أو على مصطبته الأمامية، يقرأ قصص تشارلز ديكنز، للاطلاع أكثر أين تعيش باربارة.

مع حلول الخريف، انتقلت طيور نقار الخشب من الوادي، ولم يعد يسمع صوتها إلا عند حلول الربيع، هاجرت أيضاً معظم الطيور

الصائدة للذباب، بالرغم من أن بعضاً منها بقيت وتكيفت مع الجو.

بجلول الخريف، بقي فاليس مادة دسمة في الأخبار، خصوصاً في الصحافة الصفراء والبرامج التلفازية التي تحدثت عن عمليات قتل متحولة دفعت الصحافة إلى التحقيق، ستتابع الصحافة هذه المسألة لمدة سنة على الأقل، مثلما تفتت طيور النصار من اليرقانات بصوت مزعج، بالرغم من أن الطبيعة الأم لم تعطها السلطة التي أعطتها لطيور النصار. تم ربط ستيف زيليس بفاليس، قيل إن الرجلين شوهدا معاً، متكرين وإنما بطريقة يمكن التعرف إليهما فيها، في أميركا الجنوبية، وآسيا، وفي بعض مناطق الاتحاد السوفياتي السابق.

تم الافتراض أن لاني أولسن مات وإنما جرى اعتباره بطلاً بطريقة غامضة، لم يكن تحريماً، بل مجرد شرطي، ولم يكن قبلاً شرطياً صاحب حافر، إلا أن اتصالاته برامسي أوزغارد، بقسم شرطة دنفر، أشارت إلى أنه امتلك سبباً للشك في زيليس، وفي النهاية، في فاليس أيضاً.

لم يستطع أحد أن يفسر سبب عدم قيام لاني بنقل شكوكه إلى المسؤول عنه، قال الشريف بالمر: "لطالما كان ذئباً وحيداً أنجز بعض أفضل أعماله خارج القنوات العادية"، ولسبب ما لم يضحك أحد أو يسأل الشريف عما يتحدث فعلاً.

ثمة نظرية - شاعت في المشرب - أفادت أن لاني أطلق النار على فاليس وجرحه، ولكن ستيف زيليس وصل وقتل لاني، ثم هرب ستيف بجثة لاني للتخلص منها، وبرفقة الفنان المصاب أيضاً، للاهتمام به حتى يتعافى في مخبأ ما، لأن كل الأطباء القانونيين يجدر بهم الإبلاغ عن جروح الطلقات النارية.

لا يعرف أحد في أي سيارة هرب ستيف، لأن سيارته الخاصة كانت في المرأب في منزله، إلا أنه سرق بلا شك سيارة من شخص ما، لم يأخذ المنزل المتحرك لأنه لم يقده أبداً من قبل، وخشي بلا شك أن يجذب الكثير من الانتباه عند الإبلاغ عن غياب فاليس.

قال علماء النفس والاختصاصيون في علم الجرائم المطلعون على سلوك المرضى الاجتماعيين إنه من المستبعد أن يقوم مريض اجتماعي مهووس بالقتل بالاهتمام بمريض اجتماعي آخر مهووس بالقتل لمساعدته على التعافي، إلا أن الصحافة، وعامة الشعب، أحبوا على ما يبدو فكرة تعاطي وحشين مع بعضهما بقلق واهتمام وحنان تجاه بعضهما بعضاً، إذا استطاع الكونت دراكولا والوحش فرانكنشتاين أن يكونا صديقين جيدين، مثلما كانا في عدد من الأفلام القديمة، سيكون زيليس متحمساً للاهتمام بمرشده الفني المصاب.

لم يلاحظ أحد اختفاء رالف كوتل.

تم بلا شك الانتباه إلى غياب المرأة الصهباء، لكنها جاءت ربما من مكان بعيد من البلاد وجرى خطفها على الطريق فيما كانت مارة في منطقة كروم العنب، إذ جرى الحديث عن اختفائها في ولاية أخرى، لم يتم ربطها أبداً بقضية فاليس، ولم يعرف يبلي أبداً اسمها.

يختفي الناس كل يوم، لا تملك الأخبار الوطنية مساحة أو وقتاً كافياً للتحدث عن كل اختفاء.

بالرغم من أن طيور النقار ومعظم الطيور الصائدة للذباب تغادر مع فصل الصيف، يظهر طائر الشنقب الشائع عندما ينتهي الخريف ويبدأ الشتاء، تماماً مثلما يفعل طير المليك الذي يملك زقزقة عالية وواضحة وحيوية.

في تلك الدوائر النقية حيث تكون أبسط الأفكار عميقة وحيث يكشف اللون الرمادي عن ظلال رمادية، برزت حركة لإنهاء اللوحة الجدارية غير المنجزة، وحرقتها مثلما كان مخططاً، قيل إن فاليس كان مجنوناً ربما، لكن الفن فن، ويجب احترامه.

جذب الحريق الكثير من الحشود المتحمسة من هيلز أنجيلز، والمعتقدين بالفوضوية والعديد من المعتقدين بالعدمية بحيث أغلق جاكبي أوهارا أبوابه في عطلة نهاية الأسبوع، لم يشأ استقبالم في مشرب عائلي. في أواخر الخريف، ترك بيلى عمله كنادل في المشرب، وأحضر باربارة إلى المنزل، ثمّة طرف من غرفة الجلوس الكبيرة كان بمثابة غرفة نومها ومكتبه، برقتها الهادئة، وجد أنه يستطيع التأليف مجدداً. بالرغم من أن باربارة لم تكن بحاجة إلى آلات داعمة للحياة، وإنما فقط إلى مضخة لتزويد دفق مستمر من الطعام عبر أنبوب إلى معدتها، أصرّ بيلى في البداية على الحصول على مساعدة مستمرة من ممرضات قانونيات، إلا أنه تعلم كيف يعتني بها، وبعد أسابيع عدة، نادراً ما بات يحتاج إلى ممرضة سوى في أثناء الليل، حين يكون نائماً.

أفرغ كيس قسطنطينها، وغيّر لها حفاظاتها، ونظفها، وحممها، ولم يمتعض أبداً، شعر أنه من الأفضل أن يفعل لها هذه الأشياء بنفسه بدل أن يفعلها أناس غرباء، في الواقع، لم يتوقع أن الاهتمام بها بهذه الطريقة سيجعلها تبدو أكثر جمالاً بالنسبة إليه، لكن هذا ما حصل.

لقد أنقذته ذات مرة، قبل أن يتم سلبها منه، وها هي الآن تنقذه مجدداً، بعد الرعب، والعنف القاسي، والقتل، أعطته الفرصة ليعتاد مجدداً على الخنان وليكتشف في نفسه رقة كان ليضعها إلى الأبد لولا ذلك.

غريب كيف بدأ الأصدقاء بالزيارة؛ جاكبي، آيفي، الطاهيان رامون وبين، وشيرلي تروبلاد، كما جاء هاري أفاكياي غالباً من نابا،

أحضروا معهم أحياناً أفراداً من عائلاتهم، وكذلك أصدقاء لهم أصبحوا بدورهم أصدقاء بيلي. بدا أن الناس يستمتعون أكثر فأكثر بالتواجد في منزل بيلي، اجتمعوا كلهم يوم الميلاد.

بجسول الربيع، حين عادت طيور النقار والطيور الصائدة للذباب بأعداد كبيرة، كان بيلي قد وسَّع الباب الأمامي وكسر العتبة للسماح بإخراج سرير باربارة إلى المصطبة، زاد طول الحبل لإبقاء مضخة الطعام قيد العمل وللسماح بتعديل الفراش حسب اللازم، فاستطاعت الاستلقاء في وضعية منتصبة بحيث كان وجهها أمام نسيمات الربيع الدافئة.

على المصطبة، قرأ، أحياناً بصوت عالٍ، وأصغى إلى زفرقة الطيور، وراقبها تحلم بأغنية الميلاد.

كان ربيعاً جيداً، وصيفاً أفضل، وخريفاً دافئاً، وشتاءً رائعاً، في تلك السنة، بدأ الناس ينادونه بيل بدل بيلي، ولم يلاحظ ذلك نوعاً ما إلا حين أصبح الاسم الجديد قيد التداول.

في ربيع السنة التالية، ذات يوم فيما كان وباربارة معاً على المصطبة، كان بيلي يقرأ لنفسه عندما قالت: "طيور سنونو".

لم يعد يحتفظ بدفتر لتدوين الكلمات التي تقولها، لأنه لم يعد قلقاً من أن تكون حائفة وتائهة ومتألمة، لم تكن تائهة.

عندما رفع عينيه عن كتابه، اكتشف أن مجموعة من تلك الطيور تحديداً، تتحرك مع بعضها، وترسم أشكالاً جميلة فوق الفناء وراء المصطبة.

نظر إليها ورأى أن عينيها مفتوحتان وكانت تراقب طيور السنونو.

قال: "إنها أكثر رشاقة من طيور السنونو الأخرى".

قالت: "أحبها".

كانت الطيور أنيقة بأجنحتها الطويلة والنحيلة وذيلها الطويلة والمستدقة، كانت ظهورها باللون الأزرق الداكن فيما صدورها باللون البرتقالي.

قالت: "أحبها كثيراً" وأغمضت عينيها.

بعدها حبس نفسه لبرهة، قال: "باربارة؟".

لم تجب.

قلت لروحي، ابقِي ساكنة، وانتظري من دون أمل، لأن الأمل سيكون أملاً بالشيء الخطأ.

الأمل والحب والإيمان كلها قيد الانتظار، القوة ليست حقيقة الحياة؛ حب القوة هو حب الموت.

طارت طيور السنونو إلى مكان آخر، عاد بيلي إلى الكتاب الذي كان يقرأه.

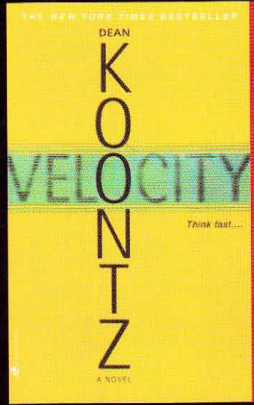
ما سيحصل سيحصل، ثمّة وقت للعجائب إلى ألا يبقى هناك وقت، لكن الوقت لا نهاية له.

أروع قصة يمكن أن تقرأها

دين كوتنز

موعد مع الجريمة

«إذا لم تأخذ هذه الورقة إلى الشرطة... سأقتل مدرّسة شقراء جميلة... وإذا نفّذت تعليماتي... سأقتل بدل عنها امرأة عجوز ناشطة في العمل الخيري. أمامك ست ساعات لتقرر. الخيار خيارك».



هذه الورقة المطبوعة على الآلة الكاتبة والموضوعة تحت حاجب الريح في سيارته تبدو وكأنها نكتة سمجة. لكن في أقل من أربع وعشرين ساعة، سيجد بيلى وايلز، وهو رجل عادي يعمل بكدّ، أن حياته قد تحولت بسرعة إلى كابوس، لأن مدرّسة شقراء قد قتلت بالفعل، وها هو الآن يتلقى رسالة أخرى، وأمامه موعد نهائي آخر.

هذه المرة يعرف أن المسألة ليست مزحة. إنه يتسابق مع قاتل أسرع من الشر نفسه. ويتوجب على بيلى قبول تحديه المروّع: ... «الخيار خيارك».

علي مولا

ISBN 978-614-01-0069-5



9 786140 100695

نيلا فرات كوم

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات، كوم
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com